

فردريك كوبلستون تاريخ الفلسفة

المجلد السادس

الفلسفة الحديثة

من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط

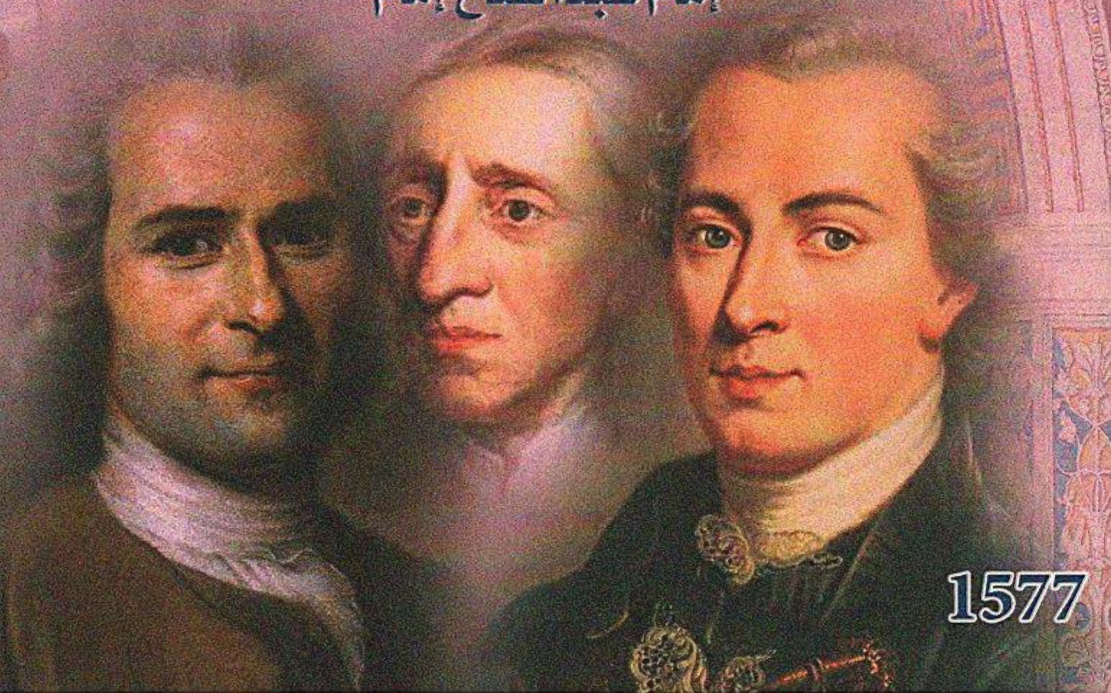
ترجمة

محمود سيد أحمد

حبيب الشاروني

مراجعة وتقديم

إمام عبد الفتاح إمام



تاريخ الفلسفة

(المجلد السادس)

الفلسفة الحديثة

من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1577
- تاريخ الفلسفة (مج ٦) الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط
- فردريك كوبلستون
- حبيب الشاروني، محمود سيد أحمد
- إمام عبد الفتاح إمام
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب:

A History of Philosophy

Volume VI

By: Frederick Copleston

Copyright © Frederick Copleston

تاريخ الفلسفة

(المجلد السادس)

الفلسفة الحديثة

من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1577
- تاريخ الفلسفة (مج ٦) الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط
- فردريك كوبلستون
- حبيب الشاروني، محمود سيد أحمد
- إمام عبد الفتاح إمام
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب:

A History of Philosophy

Volume VI

By: Frederick Copleston

Copyright © Frederick Copleston

المحتويات

- 11 مقدمة بقلم المراجع
- 15 تصدير بقلم المؤلف

الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا

- 19 الفصل الأول: عصر التنوير في فرنسا (١).....
- ملاحظات تمهيدية - النزعة الشكية عند ديل -
فوتينيل - مونتسكيو ودراسته للقانون -
موبرتوى - فولتير والدين الطبيعي - فوفينارج
- كوندياك والعقل البشرى - هلفسيوس عن
الإنسان.

- 67 الفصل الثاني: عصر التنوير في فرنسا (٢).....
- الموسوعة: ديدرو ودالمير - المادية (المذهب
المادى): لامترى ودولباك (هولباخ) وكابانيس
- التاريخ الطبيعي: بوفون وروبنه وبونيه -
دينامية بوسكوفتش - الفيزوقراطيون: كيناي
وتورجو - ملاحظات ختامية.

- 95 الفصل الثالث: روسو (١).....
- حياته وكتابه - مساوى الحضارة - أصل
التفاوت - ظهور نظرية الإرادة العامة -
فلسفة الشعور عند روسو.

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1577
- تاريخ الفلسفة (مج ٦) الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط
- فردريك كوبلستون
- حبيب الشاروني، محمود سيد أحمد
- إمام عبد الفتاح إمام
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب:

A History of Philosophy

Volume VI

By: Frederick Copleston

Copyright © Frederick Copleston

الجزء الرابع

كانط

- 259 **الفصل العاشر:** كانط (١): حياته وكتاباتة.....
حياة كانط وشخصيته - الكتابات الأولى
وفيزياء نيوتن - الكتابات الفلسفية فى مرحلة ما
قبل النقد - رسالة عام ١٧٧٠ وسياقها - تصور
الفلسفة النقدية.
- 297 **الفصل الحادى عشر:** كانط (٢): مشكلة كتاب نقد العقل الخالص.....
المشكلة العامة للميتافيزيقا - مشكلة المعرفة القبلية
- تقسيمات هذه المشكلة - ثورة كانط الكوبرنيقية
- الحساسية، والفهم، والعقل، وبناء كتاب نقد
العقل الخالص - دلالة كتاب نقد العقل الخالص
فى سياق المشكلة العامة لفلسفة كانط.
- 327 **الفصل الثانى عشر:** كانط (٣): المعرفة العلمية.....
المكان والزمان - الرياضيات - تصورات الفهم
الخالصة أو المقولات - تبرير تطبيق المقولات -
اسكيما أو (تخطيط) المقولات - المبادئ التركيبية
القبلية - إمكان علم الطبيعة الخالص - الفنومين
(الظواهر) والنومين (الشئ فى ذاته) - دحض
المذهب المثالى - ملاحظات ختامية.
- 379 **الفصل الثالث عشر:** كانط (٤): الهجوم على الميتافيزيقا.....
ملاحظات تمهيدية - أفكار العقل الخالص
الترنسندنتالية - مغالطات علم النفس العقلى -
نقائص علم الكون النظرى - عدم إمكان البرهنة
على وجود الله - الاستخدام المنظم لأفكار العقل
الترنسندنتالية - الميتافيزيقا والمعنى.

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1577
- تاريخ الفلسفة (مج ٦) الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط
- فردريك كوبلستون
- حبيب الشاروني، محمود سيد أحمد
- إمام عبد الفتاح إمام
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب:

A History of Philosophy

Volume VI

By: Frederick Copleston

Copyright © Frederick Copleston

ملاحظات تمهيدية - المذهب العقلي الأوروبي
 - المذهب التجريبي البريطاني - عصر التنوير
 وعلم الإنسان - فلسفة التاريخ - عمانوئيل
 كانط - ملاحظات ختامية.

مقدمة

بقلم المراجع

هذا هو المجلد السادس من موسوعة "كوبلستون" الكبرى فى تاريخ الفلسفة، وهو يغطى الفلسفة الحديثة من عصر التنوير فى فرنسا حتى كانتط.. وكان "المجلد الثامن" قد صدر منذ فترة وهو يعالج الفلسفة من "بنتام إلى رسل" ويحمل رقم ١٣٣٠ من ترجمة الزميل الدكتور محمود سيد أحمد. وربما تساءل القارئ عن سبب ظهور المجلد الثامن قبل المجلد السادس، وكان ينبغى - منطقياً - أن يحدث العكس!؟

والجواب أن "الأعمال الجماعية" كثيراً ما لا تعرف شبيهاً عن "المنطق"، فضلاً عن أنه من الصعب جداً أن تضع ترتيباً دقيقاً يلتزم به المشتركون جميعاً. بل قد تتدخل عوامل أقسى من أى جهة وظروف لا حيلة لنا فيها فتقلب الأوضاع رأساً على عقب، خذ مثلاً الكتاب الذى بين أيدينا الآن تجد أن القدر كان أسبق منا جميعاً - فقد بدأ فى ترجمته الزميل الدكتور حبيب الشارونى، لكنه لم يترجم فيه أكثر من اثنتى وخمسين صفحة (من الأصل الإنجليزى) ثم توفاه الله - وهكذا كان للقدر رأى آخر! بل أكثر من ذلك، فقد أوصى المترجم - رحمه الله - بشخص معين يقوم بإتمام الترجمة، إلا أن هذا الشخص - بعد أشهر طويلة - اعتذر عن إكمال هذا العمل. وعادت الترجمة إلى قائمة الانتظار والبحث عن متطوع جاد يكمل هذا العمل الكبير - وبعد فترة ليست بالقصيرة تفضل الدكتور محمود سيد أحمد - مشكوراً - بالموافقة على إتمام الترجمة - وهكذا بدأ الأمل يتجدد من جديد فى ظهور الكتاب وعودة مشروع الترجمة إلى الحياة!. ومعنى ذلك كله أن هناك عوامل كثيرة - تخرج عن إرادتنا - تتحكم فى سير العمل، وتضطرنا إلى إصدار مجلد معد بالفعل، لكنه متأخر فى الترتيب بحيث يصدر قبل غيره.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ثم يبدأ "كوبلستون" فى الفصل الثالث فى دراسة فلسفة كانط بشىء من التفصيل: المعرفة العلمية، ودور الزمان والمكان، والرياضيات، وكذلك دور المقولات وتبرير تطبيقها... إلخ.

ويتناول فى الفصل الرابع هجوم كانط على الميتافيزيقا، ومغالطات علم النفس العقلى، ونقائض الكسمولوجيا، ومشكلة البرهنة على وجود الله.

وفى الفصل الخامس دراسة كانط للأخلاق والدين فى شىء من التفصيل ابتداء من الإرادة الخيرة، والميل والواجب والحرية، ومسلمات العقل العملى حتى خلود النفس ووجود الله والمسلمات العامة... إلخ.

ويدور الفصل السادس عن فلسفة الجمال عند كانط بعنوان "الإستطائيقا والغائية"، وتبرير الأحكام الجمالية الخالصة، والفن الجميل والعبقريّة، والجميل باعتباره رمزا للخير أخلاقيا.

أما الفصل السابع فهو ملاحظات عن الأعمال المنشورة بعد وفاته.

وينتهى الكتاب بالفصل الثامن [أو السابع عشر بترتيب الكتاب] باستعراض ختامى للمذهبين العقلى والأوروبى، والتجريبي البريطانى - ملخصا عصر التنوير الذى يقف على قمته إمانويل كانط.

هذا استعراض سريع للمجلد السادس من موسوعة كوبلستون الكبرى فى تاريخ الفلسفة - وهى تكشف عن مؤلف هو مؤرخ وعالم وفيلسوف فى آن معا - ولك أن تستعرض قائمة المراجع "المختصرة" - على حد تعبيره - التى شغلت أكثر من ثلاثين صفحة من صفحات الكتاب لتؤكد أنك أمام بحث يستحق القراءة بآن وإمعان لتخرج بفائدة لا تندر!

والله نسأل أن يهدينا جميعا سواء السبيل.

إمام عبد الفتاح إمام

تصدير

بقلم المؤلف

لقد كانت نيتي الأساسية هي أن أعطي فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر في مجلد واحد يبدأ من ديكارت حتى كانط. بيد أنه تبين لي أن ذلك أمر مستحيل. فقسمت المادة بين ثلاثة مجلدات؛ يعالج المجلد الرابع "من ديكارت حتى ليبنتس" المذاهب العقلية في القارة. بينما أجملت في المجلد الخامس "من هوبز حتى هيوم" تطور الفكر الفلسفي البريطاني من هوبز حتى فلسفة الحس المشترك الاسكتلندية. وانصب اهتمامي في هذا المجلد السادس على عصر التنوير في فرنسا، وعصر التنوير في ألمانيا، وبزوغ فلسفة التاريخ، وفلسفة كانط.

ومع ذلك، على الرغم من أنني خصصت المجلدات الثلاثة للقرنين السابع عشر والثامن عشر، فإنني قد أقيمت على خطتي الأساسية بأن يكون هناك فصل تمهيدى عام، واستعراض ختامى عام. ويوجد الفصل التمهيدي العام، بالطبع، في بداية المجلد الرابع، ولن تتكرر الملاحظات التمهيديّة التي ترتبط بموضوع هذا المجلد هنا. أما الاستعراض الختامى فإنه يشكل الفصل الأخير من هذا الكتاب. وقد حاولت فيه أن أناقش، ليس من وجهة النظر التاريخية فحسب، وإنما من وجهة النظر الفلسفية أيضاً، طبيعة أساليب التفلسف المتنوعة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وأهميتها، وقيمتها. وبذلك فإن المجلد الرابع، والخامس، والسادس من هذه الموسوعة "تاريخ الفلسفة" يشكل كتاباً في ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول...

عصر التنوير فى فرنسا

الفصل الأول

عصر التنوير فى فرنسا (١)

- ملاحظات تمهيدية - النزعة الشككية عند بيسل -
- فونتنيل - مونتسكيو ودراسته للقانون - موبرتوى -
- فولتير والدين الطبيعى - فوفينارج - كوندياك والعقل البشرى - هلفسيوس عن الإنسان.

١ - ربما كان هناك ميل طبيعى فى أذهان الكثيرين إلى تناول التنوير فى فرنسا على أنه أساساً يتخذ تجاه المسيحية، أو بمعنى آخر تجاه الكنيسة الكاثوليكية، موقف البعد الهادم والعداء الصريح. ومن المحتمل أن يكون أشهر اسم بين الفلاسفة الفرنسيين فى القرن الثامن عشر، إذا استبعدنا روسو، هو اسم فولتير. فهذا الاسم يستحضر فى الذهن صورة أديب منقاد الذكاء وسريع الخاطر، لم يكل أبداً عن اتهام الكنيسة باعتبارها عدوة العقل وصديقة التعصب. وفوق ذلك من يعرف شيئاً عن مادية الكتاب أمثال لامترى La Mettrie ودولباك (هولباخ) d'Holbach، فهو قد يميل إلى اعتبار التنوير فى فرنسا كحركة مضادة للدين انتقلت من التأليه الطبيعى لدى فولتير وديدرو فى سنواته المبكرة إلى إلحاد دولباك (هولباخ) والنظرة المادية الفجة لدى كابانيس Cabanis. وفى ضوء هذا التفسير للتنوير يكون تقييم الشخص له معتمداً إلى حد كبير على معتقداته الدينية أو على افتقاره إليها. فقد برى شخص ما فلسفة القرن الثامن عشر الفرنسية كحركة مضت تتصاعد فى عدم التقوى وأنتجت ثمرتها فى تدنيس كاتدرائية نوتردام أثناء الثورة. وقد يعتبرها شخص آخر بمثابة تحرر تام للعقل من الخرافات الدينية ومن الطغيان الكنسى.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وكثير منهم كان يعارض المسيحية، والبعض على الأقل كان ملحدًا مترمّمًا يعارض بقوة كل دين إذ اعتبره بمثابة نتاج الجهل والخوف، وبمثابة عدو للتقدم العقلي، وعده ضارًا بالأخلاق الحقة.

ولكن على الرغم من أن كلاً من التفسير في حدود موقف تجاه الدين، وكذلك، وإن يكن في نطاق أقل، التفسير في حدود القناعات السياسية - له أسس في الواقع، فإن من يصفه باعتباره هجومًا ممتدًا على العرش وعلى مذهب الكنيسة إنما يعطى صورة غير ملائمة بالمرّة عن الفلسفة الفرنسية في القرن الثامن عشر. ومن الواضح أن الهجمات على الكنيسة الكاثوليكية وعلى دين الوحي، وفي حالات معينة، على الدين في أي صورة - كانت تتم باسم العقل. ولكن ممارسة العقل كانت تعنى لفلاسفة التنوير الفرنسي أكثر بكثير من مجرد النقد الهادم في المجال الديني، فقد كان النقد الهادم هو الجانب السلبي من التنوير إذا جاز التعبير. أما المظهر الإيجابي فيكمُن في محاولة فهم العالم، ولا سيما الإنسان ذاته في حياته النفسية والأخلاقية والاجتماعية.

وأنا لا أقصد بذلك أن أقل من شأن آراء الفلاسفة عن الموضوعات الدينية أو أصرف النظر عنها باعتبارها غير مهمة. وفي الحقيقة من الصعوبة أن يكون موقفهم موضوع لا مبالاة لأي شخص يشارك كاتب هذه السطور معتقداته الدينية. بيد أنه كان من الواضح أن موقف الفلاسفة تجاه الدين، بمعزل عن معتقدات الشخص الخاصة، له دلالة وأهمية ثقافية؛ لأنه يعبر عن تغير ملحوظ عن وجهة نظر ثقافة القرون الوسطى، ويمثل مرحلة ثقافية مختلفة. وفي الوقت نفسه علينا أن نتذكر أن ما نشاهده هو نمو وامتداد وجهة النظر العلمية. ففلاسفة القرن الثامن عشر الفرنسيون آمنوا بقوة في التقدم، أي في امتداد وجهة النظر العلمية من الطبيعيات إلى علم النفس والأخلاق وحياة الإنسان الاجتماعية. وإذا مالوا إلى رفض دين الوحي وأحيانًا كل دين، فإن ذلك كان يرجع جزئيًا لاعتقادهم بأن الدين، سواء أكان دين وحي بصفة خاصة أم دينًا بصفة عامة، هو عدو للتقدم العقلي

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الوحيد الذى فى حدوده يمكن أن تكون لدينا ميتافيزيقا عقلية هو عن طريق إعداد مركب من نتائج العلوم التجريبية. وفى العلم التجريبى نفسه لا نهتم بـ "الماهيات" وإنما بالظواهر. يمكننا بمعنى ما بالطبع أن نتحدث عن الماهيات، ولكن هذه هى بالطبع ما أسماه لوك ماهيات "اسمية" فالكلمة ليست مستخدمة بمعنى ميتافيزيقى.

وفى الحقيقة قد يكون من الخطأ الجسم أن يقول أحد بأن كل فلاسفة التنوير الفرنسى كانوا "وضعيين" ففولتير مثلاً اعتقد أنه يمكننا إثبات وجود الله. وبالمثل فعل موبيرتوى Moupertius^(١). بيد أنه يمكننا أن نميز اقتراباً واضحاً نحو الوضعية لدى بعض مفكرى هذه الفترة. وهكذا يمكن أن نقول بأن فلسفة القرن الثامن عشر قد عاوت على إعداد الطريق للمذهب الوضعى فى القرن التالى.

وهذا التفسير للتنوير الفرنسى هو فى الوقت نفسه تفسير متحيز: فهو بمعنى ما فلسفى أكثر من اللازم. ولتوضيح ما أعنى آخذ مثال كوندياك Condillac. فهذا الفيلسوف قد تأثر كثيراً بلوك. وشرع يطبق تجريبية لوك كما فهمها على قدرات الإنسان وقواه محاولاً أن يبين كيف يمكن تفسيرها كلها فى حدود "الإحساسات المحولة". إن كوندياك نفسه لم يكن بالضبط من يمكن أن نقول عنه إنه وضعى. ولكن يمكن بغير شك أن نفس كتابه "رسالة فى الإحساسات" كحركة فى اتجاه الوضعية وكمرحلة فى نموها. ومن الممكن أيضاً على أى حال أن نفسره ببساطة كمرحلة فى نمو علم النفس. وعلم النفس، معتبراً فى ذاته، ليس بالضرورة مرتبطاً بالوضعية الفلسفية.

كذلك العديد من فلاسفة التنوير الفرنسى أعمل فكره فى العلاقات بين حياة الشخص النفسية وشروطها الفسيولوجية. وفى حالات معينة، كما فى حالة كابانيس

(١) موبيرتوى: عالم رياضيات وفلك فرنسى (١٦٩٨ - ١٧٥٩) أرسله لويس الخامس عشر إلى "لابلاند" عاصمة بونس أيريس لقياس خط الطول، وقع فى مشاجرات مع فولتير الذى كان يسخر منه (المراجع).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

اختلفت بالتأكيد أفكارهم الأخلاقية اختلافاً شديداً يتراوح مثلاً بين مثالية ديدرو Diderot الأخلاقية والمذهب النفعي في درجته الدنيا لدى لامترى. ولكنهم كانوا متحدين بصفة تقريبية في محاولتهم إقامة الأخلاق مستقلة بذاتها إن صح التعبير، وهذا في الحقيقة هو دلالة تأكيد بيل Bayle^(١) أن الدولة المكونة من ملحدين كانت أمراً ممكناً تماماً وإضافة لامترى بأنها لم تكن فقط ممكنة، بل مرغوباً فيها. وعلى أي حال قد يكون من الخطأ أن نقول إن كل الفلاسفة اتفقوا على وجهة النظر هذه. ففي رأي فولتير مثلاً إذا لم يكن الله موجوداً يكون من الضروري أن نختصره بالضبط لأجل الخير الأخلاقي للمجتمع. ولكن بصفة عامة تضمنت فلسفة التنوير فصل الأخلاق عن الاعتبارات الميتافيزيقية واللاهوتية. وسواء أكان ممكناً الدفاع عن هذا الفصل أم لا، فإنه يظل بالطبع مجال نقاش.

وأخيراً يمكن أن نذكر أنفسنا بأن فلسفة القرن الثامن عشر في فرنسا، كما في إنجلترا، كانت أساساً إيداع أناس لم يكونوا أساتذة للفلسفة في الجامعات، وكثيراً ما كانت لهم اهتمامات فلسفية ممتازة. فهبوم في إنجلترا كان مؤرخاً كما كان فيلسوفاً. وفولتير في فرنسا كتب مسرحيات. وموبرتوي ذهب في بعثة للقطب الشمالي بغية المشاركة في تحديد شكل الأرض عند أطرافها بقياسات دقيقة عن خط العرض. ودالمبير كان رياضياً بارزاً. ومونتسكيو وفولتير كانت لهما أهميتهما في تطور علم التاريخ الرسمي. ولامترى كان طبيباً. إننا خلال القرن الثامن عشر لازلنا في الزمن حيث كان بعض المعرفة بالأفكار الفلسفية يعد مطلباً ثقافياً، وحيث لم تكن الفلسفة بعد قد أصبحت حكراً أكاديمياً. علاوة على ذلك لم يزل ثمة صلة بين الفلسفة والعلوم. وهي صلة كانت في الحقيقة، وإلى حد ما، سمة عامة للفكر الفلسفي الفرنسي.

(١) بيل (١٦٤٧ - ١٧٠٦): فيلسوف وناقد فرنسي ولد بروتستانتياً، ثم ارتد إلى الكاثوليكية، ثم عاد إلى الأولى، دافع عن حرية الفكر والتسامح الديني، طرد بسبب آرائه الشكية، كتب "معجم تاريخي نقدي عام ١٦٩٧" (المراجع).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

فإن البشر ميالون للاعتقاد بأن هناك فروقاً حيث لا توجد فروق، وأن هناك ارتباطات لا فكاك منها بين مواقف مختلفة حيث لا توجد هذه الارتباطات. وهكذا يعتمد كثير من الخلافات في استمرارها وقوتها على التحامل والافتقار إلى الحكم الواضح.

غير أن ما هو أهم من آراء بيل عن الخلافات في اللاهوت الدوجماتيقي هو آراؤه عن الميتافيزيقا واللاهوت الفلسفي أو الطبيعي. لقد اعتقد أن العقل البشري مؤهل للكشف عن الأخطاء على نحو أفضل من اكتشاف الحقيقة الإيجابية، وهذا هو على وجه الخصوص الحال بصدد الميتافيزيقا. وفي الحقيقة، إن الشائع المتعارف عليه هو أن من حق الفيلسوف أن ينتقد أى دليل معين على وجود الله بشرط ألا ينكر أنه يمكن بطريقة ما إثبات وجود الله. ولكن الواقع هو أن كل البراهين التى قُدمت كانت عرضة للنقد الهادم. كذلك لم يقم أحد أبداً بحل مشكلة الشر. وهذا لا يدعو إلى العجب؛ لأنه ليس من الممكن إنجاز أى مصلحة عقلية بين الشر فى العالم وبين إله لا متناه كلى العلم وكلى القدرة. لقد قدم المانويون، بفلسفتهم الثنائية، تفسيراً للشر أفضل بكثير من التفسير الذى اقترحه الأرثوذكسية. وفى الوقت نفسه، فإن الفرض الميتافيزيقي للمانويين كان فرضاً محالاً⁽¹⁾. أما بخصوص خلود النفس، فلم يكن فى المتناول ثمة دليل يبين عليه.

لم يقل بيل إن عقيدتى وجود الله وخلود النفس زائفتان، وإنما هو بالأحرى جعل الإيمان خارج مجال العقل. وتقرير ذلك يحتاج على أى حال إلى تقييد. ذلك لأن بيل لم يقل ببساطة بأن الحقائق الدينية غير قابلة للبرهان العقلى، رغم أنها لا تناقض العقل. لقد كان موقفه بالأحرى هو أن هذه تحتوى على كثير مما يتعارض مع العقل. ومن ثمة من الأفضل بكثير، كما يقترح، سواء بإخلاص أم لا، أن نقبل الوحي. وعلى أى حال إذا كانت حقائق الدين تخص دائرة ما هو غير عقلانى فليس ثمة داع للخوض فى جدل وخلافات لاهوتية. وينبغى أن يحل التسامح محل الخلافات.

(1) المانوية: ديانة فارسية أسسها مانى بن فاكك، وهى تطوير للزرانشتية، والحل الذى اقترحه وجود إلهين: إله للخير وآخر للشر (المراجع).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بالوصف الواضح والمفهوم لعلم الطبيعة الجديد. ومحاولته لإتجاز هذه الحاجة لاقت من النجاح بحيث أصبح أمين سر أكاديمية العلوم. كان بصفة عامة مدافعا عن طبيعيات ديكارت. وفي "أحاديث فى تعدد العوالم" (١٦٨٦) Emtretiens sur la pluralite des mondes قام بتبسيط النظريات الفلكية الديكارتية. لم يكن فى الحقيقة غافلاً عن أهمية نيوتن، وفى سنة ١٧٢٧ نشر "تأبين نيوتن" Eulogy of Newton، لكنه دافع عن نظرية ديكارت عن الدوامات فى "نظرية الدوامات الديكارتية" (١٧٥٢) Theorie des tourbillons cartesiens، وهاجم مبدأ نيوتن فى الجاذبية الذى بدا له أنه يتضمن افتراض وجود خفى. وما وجد فى مكتبه بعد وفاته من ملاحظات مخطوطة يبين بوضوح أن ذهنه قد اتجه بالقطع فى الفترة الأخيرة من حياته نحو المذهب التجريبي. فكل أفكارنا يمكن ردها فى نهاية الأمر إلى معطيات الخبرة الحسية.

وقد شارك فونتنبيل كذلك، بالإضافة إلى عمله على نشر المعرفة عن الأفكار العلمية فى القرن الثامن عشر فى فرنسا، وبطريق غير مباشر إلى حد ما، فى تنمية الشك بصدد الحقائق الدينية. نشر مثلاً بعض الأعمال عن "أصل الحكايات الخرافية" The Origin of Fables و "تاريخ العرّافات" The History of Oracles. وفى الكتاب الأول من هذين رفض رأى القائل بأن الأساطير أو الخرافات ترجع، لا إلى العقل، وإنما إلى عبث القوة التخيلية؛ فالأساطير اليونانية مثلاً نشأت من الرغبة فى تفسير الظواهر، وكانت من إبداع العقل، حتى وإن كان للخيال دور فى تطويرها. إن ذهن الإنسان فى العصور السالفة لم يكن مختلفاً جوهرياً عن ذهن الإنسان الحديث. فكل من الإنسان البدائي والحديث يحاول أن يفسر الظواهر ليرد المجهول إلى المعلوم. والفرق بينهما هو الآتى: فى الأوقات السالفة كانت المعرفة الإيجابية ضئيلة، وكان العقل مجبراً على اللجوء إلى التفسيرات الأسطورية. ومع ذلك، فإن العالم الحديث نمت فيه المعرفة الإيجابية إلى حد أصبح التفسير العلمى

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

١٧٢٩ فى إنجلترا حيث أعجب إعجاباً شديداً بسلمات معينة للنظام السياسى الإنجليزى، وفى عام ١٧٣٤ نشر "اعتبارات فى أسباب عظمة الرومان وانحطاطهم" *Considerations sur les causes de la grandeur et de la decadence des Romains*، وأخيراً فى عام ١٧٤٨ ظهر كتابه عن القانون "روح القوانين" *De l'esprit des lois* الذى كان ثمرة سبع عشرة سنة من العمل.

فى كتابه عن القانون يأخذ مونتسكيو على عاتقه دراسة المجتمع والقانون والحكومة دراسة مقارنة. إن معرفته الفعلية لم تكن فى الحقيقة دقيقة ومتسعة للقيام بعمل نتصوره يمثل هذا الاتساع، ولكن العمل ذاته، وهو مسح اجتماعى مقارن، كان ذا أهمية. حقيقة كان لمونتسكيو أسلاف مهنيون، فأرسطو بصفة خاصة قد بدأ يؤلف دراسات عن عدد كبير للذساتير اليونانية. ولكن ينبغي النظر إلى مشروع مونتسكيو فى ضوء الفلسفة المعاصرة. فقد كان يستخدم فى مجال السياسة والقانون المنظور التجريبي الاستقرائي الذى استخدمه فلاسفة آخرون فى مجالات أخرى.

على أى حال لم يكن هدف مونتسكيو مجرد وصف الظواهر الاجتماعية والسياسية والقانونية وتسجيل ووصف عدد كبير من الوقائع الخاصة. لقد أراد أن يفهم الوقائع وأن يستخدم المسح المقارن للظواهر كأساس لدراسة منهجية عن مبادئ التطور التاريخى. "درست أول الأمر الناس، وآمنت أنه فى هذا التنوع اللامتناهى من القوانين والأعراف لم يكونوا منقادين بموجب نزواتهم فحسب. وصغت مبادئ، ورأيت حالات معينة تتلاءم معها كما لو من تلقاء ذاتها، فتواريخ كل الشعوب هى فحسب نتائج (لهذه المبادئ)، وكل قانون خاص يرتبط بقانون آخر أو يعتمد على قانون آخر أكثر عمومية"^(١). هكذا تناول مونتسكيو موضوعه ليس فحسب بروح عالم الاجتماع الوضعى، وإنما بالأحرى كفيلسوف تاريخ.

(1) De L'esprit des lois, preface.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لقد وصفت نظرية مونتسكيو كما لو كان قصد بها مجرد تعميم تجريبي. وأحد أوضح الاعتراضات عليها عندما تفسر على هذا النحو هو أن تصنيفه تقليدي ومصطنع، وأنه غير ملائم كوصف للمعطيات التاريخية. ولكن من المهم أن نلاحظ أن مونتسكيو يتحدث عن أنماط نموذجية للحكومة. فمثلاً وراء كل نظم الطغيان يمكن أن نميز نمطاً نموذجياً لحكومة الطغيان. ولكن لا يتبع ذلك بأي حال أن أي طغيان معين سيجسد هذا النمط النموذجي والخالص سواء في بنيته أم في "مبادئه". فلا يمكننا أن نستنتج منطقياً من نظرية الأنماط أنه في أي جمهورية معينة يكون المبدأ الفعال هو الفضيلة السياسية، أو أنه في أي حكومة طغيان معينة يكون المبدأ الفعال في السلوك هو الخوف. وفي الوقت ذاته، إن أي شكل معين من الحكومة بقدر ما يفشل في تجسيد نمطه النموذجي يقال عنه إنه غير كامل. "تلك هي مبادئ الحكومات الثلاث؛ مما لا يعنى أنه في جمهورية معينة يكون الناس فضلاء، وإنما ينبغي عليهم أن يكونوا كذلك. وهذا لا يثبت أنه في ملكية معينة يكون لدى الناس إحساس بالخوف، وإنما يعنى أنه ينبغي عليهم أن يكون لديهم هذا الإحساس. وبدون هذه الخصائص تكون الحكومة غير كاملة"⁽¹⁾. يمكن إذن لمونتسكيو أن يقول إنه في ظل شكل معين من الحكومة ينبغي أن نجد نظاماً معيناً من القوانين أخرى من أن يقول إننا نجده. والمشرع المستنير سيعنى بأن تتجاوب القوانين مع نمط المجتمع السياسي، ولكنها لا تفعل ذلك بالضرورة.

ويمكن إصدار بيانات مماثلة عن علاقة القوانين بالطقس وبالأحوال الاقتصادية. فالطقس مثلاً يساعد في تشكيل أخلاق الناس وأهوائهم؛ فأخلاق الإنجليز تختلف عن أخلاق أهل صقلية. "وينبغي أن تكون القوانين مكيفة بطريقة معينة للناس الذين صيغت من أجلهم بحيث إن تلك الخاصة بشعب معين يكون صلاحها لشعب آخر أمراً بعيد المنال"⁽²⁾. لا يقول مونتسكيو بأن الطقس والأحوال

(1) De L'esprit des lois, III, 11.

(2) Ibid, I, 3.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ومع ذلك، فإن هذا التفسير قد يكون مضللاً باعتبارين: ففي المقام الأول اعترف مونتسكيو بقوانين عدالة ثابتة. إن الله الخالق للعالم وحافظه^(١) قد وضع قوانين وقواعد من شأنها أن تحكم العالم الطبيعي. "والإنسان كموجود طبيعي محكوم، مثل الأجسام الأخرى، بقوانين غير قابلة للتغير"^(٢). ومع ذلك فباعتباره موجوداً عاقلاً أو مفكراً فهو يخضع لقوانين يمكنه أن يخالفها. بعض هذه القوانين هو الذي وضعها، ولكن بعضها الآخر لا يعتمد عليه. "علينا إذن أن نعترف بعلاقات عدالة سابقة على القانون الوضعي الذي بموجبه تترسخ"^(٣). "فالقول بأن ليس هناك من عدل أو ظلم إلا ما تأمر به وتنهى عنه القوانين الوضعية، يعدل القول بأنه قبل وصف الدائرة لم تكن جميع أنصاف القطر متساوية"^(٤). ومع التسليم بفكرة حالة طبيعية يلاحظ مونتسكيو أنه يوجد قبل كل القوانين الوضعية تلك الخاصة بالطبيعة، والمسماة هكذا؛ لأنها تستمد قوتها بالكامل من جسمنا ووجودنا"^(٥). ومن أجل معرفة هذه القوانين يلزم النظر في الإنسان كما كان قبل تأسيس المجتمع "القوانين المعترف بها في مثل هذه الحالة تكون قوانين الطبيعة"^(٦). وتلازم هذه الفكرة بصورة جيدة مع المظاهر الأخرى لنظرية مونتسكيو أمر قابل للمناقشة. ولكن ليس ثمة شك أن مونتسكيو أكد وجود قانون أخلاقي سابق على كل القوانين الوضعية التي يقررها المجتمع السياسي. ويمكننا القول إذا شئنا إن بحثه في القانون يتطلع إلى معالجة تجريبية واستقرائية بكل معنى الكلمة للمؤسسات السياسية والقانونية، وأن نظريته عن القانون الطبيعي كانت أثراً مأخوذاً عن فلاسفة قانون سابقين. لكن هذه النظرية هي على الرغم من ذلك عنصر حقيقي في تفكيره.

(١) إن القوانين في معناها الأكثر عمومية هي "العلاقات الضرورية الناتجة عن طبيعة الأشياء" (De L'esprit des lois, I, 1). [المؤلف].

(2) De L'esprit des lois, III, 11.

(3) Ibid.

(4) De L'esprit des lois, I, 1.

(5) Ibid.

(6) Ibid.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

هذا العرض لشروط الحرية السياسية نصل إليه - كما يقول صراحة مونتسكيو - بدراسة الدستور الإنجليزي. لقد وجد في الدول المختلفة ويوجد مُثل عليا فعالة. فروما كان مثلهما الأعلى وهدفها زيادة المستعمرات، وهدف الدولة اليهودية حفظ الدين وازدهاره، وهدف الصين الهدوء العام. بيد أنه توجد أمة واحدة هي إنجلترا الهدف المباشر لدستورها هو الحرية السياسية. وبناء على ذلك "من أجل الكشف عن الحرية السياسية في دستور ما لا نحتاج إلى جهد شاق. فإذا كنا قادرين على أن نرى أين توجد لماذا نمضي إلى أبعد بحثًا عنها؟"⁽¹⁾.

لقد قال بعض الكتاب إن مونتسكيو رأى الدستور الإنجليزي بعين منظر سياسي مثل هارنجتون ولوك، وإنه عندما تحدث عن فصل السلطات كعلامة مميزة للدستور الإنجليزي أخفق في فهم أن ثورة ١٦٨٨ أدت في النهاية إلى تفوق البرلمان. وبعبارة أخرى، إن من يعتمد ببساطة على ملاحظة الدستور الإنجليزي ما كان يركز على ما سمي فصل السلطات على أنه السمة الرئيسية. ولكن حتى إذا كان مونتسكيو قد رأى الدستور الإنجليزي وفسره في ضوء نظرية عنه، وحتى إذا لم تكن عبارة "فصل السلطات" وصفًا ملائمًا للموقف، فإنه يبدو واضحًا أن العبارة لفتت الانتباه إلى سمات حقيقية للموقف. فالقضاة لم يشكلوا بالطبع "سلطة" بالمعنى الذي مارسته السلطة التشريعية، ولكن في الوقت ذاته لم يكونوا خاضعين في ممارستهم لوظائفهم لتحكم نزوات الملك ووزرائه. يمكننا أن نقول بحق إن ما أعجب به مونتسكيو في الدستور الإنجليزي كان بالأحرى ما تمخضت عنه العملية الطويلة من التطور، وليس تطبيق نظرية مجردة عن "فصل السلطات". بيد أن العبارة التي فسرت الدستور الإنجليزي على أنه فصل للسلطات لم يكن تأثيرها على مونتسكيو إلى حد أنه طالب بعد ذلك بضرورة محاكاتها في بلده. "كيف يمكن أن تكون لي مثل هذه الخطة. أنا الذي أعتقد أن استخدام العقل على نحو مبالغ فيه ليس أمرًا مرغوبًا فيه دائمًا، وأن الناس تقريبًا ما يتلاءمون دائمًا مع ما هو عادي

(1) De L'esprit des lois, XI, 5.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Cosmology بدعوة من فريدريك الأكبر كرئيس للأكاديمية البروسية في برلين. في هذا العمل يتحدث مثلاً عن تصور القوة التي تنشأ في تجربتنا للمقاومة في التغلب الفيزيقي على العوائق. "إن كلمة قوة في معناها الحقيقي تعبر عن إحساس معين نعانیه عندما نرغب في تحريك جسم كان ساكناً أو تغيير أو إيقاف حركة جسم كان متحركاً. إن الإدراك الذي نعانیه عندئذ يصاحبه دوماً تغير في سكون أو حركة الجسم بحيث لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الاعتقاد بأنه علة هذا التغير. وعندما نرى لذلك بعض التغير يحدث في سكون الجسم أو حركته لا يفوتنا أن نقول بأنه نتيجة قوة ما. وإذا لم يكن لدينا إحساس بأى جهد نبذله لنشارك في هذا التغير، وإذا كنا نرى قط أجساماً أخرى تضاف عليها هذه الظاهرة، فإننا نضع القوة فيها كما لو كانت تخصها"⁽¹⁾. إن فكرة القوة في أصلها هي فقط "إحساس في أنفسنا"⁽²⁾، ومن حيث هو كذلك لا يمكن أن يعود إلى الأجسام التي نضيفه عليها. على كل حال ليس هناك ضرر من الحديث عن قوة محرّكة حاضرة في الأجسام شريطة أن نتذكر أنها "مجرد كلمة ابتدعت لتزود حاجتنا للمعرفة، وأنها تدل فقط على نتيجة للظواهر"⁽³⁾. وبعبارة أخرى لا ينبغي أن نسمح لأنفسنا بأن يضللنا استخدامنا لكلمة قوة فنظن أن ثمة وجوداً خفياً بناظرها. إن القوة تقاس "قط بموجب آثارها الظاهرة". ففي العلم الفيزيقي نظل في عالم الظواهر. والتصورات الأساسية في الميكانيكا يمكن تفسيرها في حدود الحس. حقيقة اعتقاد مويرتوى أن الانطباع بالصلة الضرورية في المبادئ الرياضية والميكانيكية يمكن أيضاً أن تفسر في حدود تجريبية، مثال ذلك أن تفسر بموجب التداعي والعادة.

ومع ذلك، وفي الوقت ذاته، اقترح مويرتوى تصوراً غائياً لقوانين الطبيعة. فالمبدأ الرئيسي في الميكانيكا هو مبدأ "أقل قدر من الفعل"⁽⁴⁾. هذا المبدأ يقرر أنه

(1) Essai de Cosmologie, 2 partie, Œuvres, 1, edit, 1756, pp. 29-30.

(2) Ibid, p. 30.

(3) Ibid, p. 31.

(4) Ibid, p. 42.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وبناءً على هذه النظرية صُنّف موبرتوى أحياناً مع أصحاب المذهب المادى الفج فى التتوير الفرنسى، وهم من سنذكرهم فيما بعد. بيد أن الفيلسوف اعترض على تفسير ديدرو لنظريته باعتبارها معادلة للمادة وتلغى أساس أى برهان صحيح على وجود الله. ففى "الرد على اعتراضات السيد ديدرو" Reply to the Objections of M. Diderot الذى أضافه إلى طبعة ١٧٥٦ لـ "نظام الطبيعة" يلاحظ موبرتوى أن ديدرو عندما يرغب فى أن يبدل بعملية إخفاء إدراكات حسية أولية على الأشياء المادية الخالصة عملية إخفاء إحساس شبيه باللمس، إنما يتلاعب بالإنفاظ. ذلك لأن الإحساس هو صورة من صور الإدراكات الحسية الواضحة والمتميزة التى نتمتع بها. وليس هناك فارق حقيقى بين ما يقوله «بومان» Baumann وما يرغب ديدرو فى أن يقوله بومان. وواضح أن هذه الملاحظات لا تحسم مسألة ما إذا كان موبرتوى مادياً أم لا. ولكن هذا على أى حال سؤال يصعب الإجابة عليه. يبدو أن الفيلسوف أكد أن الدرجات العليا من «الإدراكات الحسية» تتبع من اتحاد ذرات أو جزيئات تتمتع بالإدراك الحسى الأولى، ولكنها نقط فيزيقية أخرى من كونها نقطاً ميّافيزيقية مثل موندات ليبنتس. ومسألة أن هذا الموقف مادى هى بالتأكيد مسألة قابلة للجدل. وفى الوقت نفسه يجب أن ننذكر حقيقة أنه بالنسبة لموبرتوى ليست الكيفيات فحسب، ولكن أيضاً الامتداد هى ظواهر أى تمثلات نفسية. بل إن برونيه Brunet قد أكد^(١) أن فلسفته فى بعض مظاهرها تشبه مذهب باركللى اللامادى. وحقيقة المسألة تبدو أنه على الرغم من أن كتابات موبرتوى قد ساهمت فى نمو المادية، فإن موقفه ملتبس إلى حد أنها تجيز لنا أن نصنّفه دون مسوغ ضمن فلاسفة التتوير الفرنسى الماديين، أما بخصوص تفسير ديدرو، فواضح أن موبرتوى خامره الشعور بأنه كان يتهم عندما تحدث عن النتائج "الرهيبية" الناجمة عن فرض بومان، وأنه أراد فحسب أن يعلن هذه النتائج، بينما هو حرفياً يرفضها.

(1) Maupertuis, Paris, 1929.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وفى عام ١٧٥٠ ذهب فولتير إلى برلين تلبية لدعوة فردريك الأكبر. وفى عام ١٧٥٢ نظم قصيدة "دكتور أكاكيا" Doctor Akakia يهجو فيها موبرتوى، وقد استاء فردريك من هذا الهجاء؛ ولما كانت العلاقات بين الفيلسوف ونصيره الملكى قد أصبحت متوترة ترك فولتير برلين عام ١٧٥٣ ورحل للإقامة فى جنيف. وفى عام ١٧٥٦ ظهر كتابه الهام "مقال عن الأعراف" Essai sur les mœurs.

اشترى فولتير ضيعة فى فرنساى عام ١٧٥٨. وظهرت قصة كانديد Candide عام ١٧٥٩، ومقالة عن التسامح عام ١٧٦٣، والقاموس الفلسفى عام ١٧٦٤، والفيلسوف الجاهل عام ١٧٦٦، وكتاب عن بولنجروك عام ١٧٦٧، ومهنة الإيمان لدى المؤمنين عام ١٧٦٨. وفى عام ١٧٧٨ ذهب إلى باريس ليشاهد العرض الأول لمسرحيته إيرينا. وقوبل فى العاصمة بحفاوة بالغة، ولكنه توفى فى باريس بعد العرض المسرحى بوقت ليس ببعيد.

وفى طبعة بوشو Beuchot أعوام ١٨٢٩ - ١٨٣٤ تشتمل أعماله على حوالى سبعين مجلداً. كان فيلسوفاً وكاتب مسرحيات وشاعراً ومؤرخاً وروائياً. وكانت له بالتأكيد كإنسان بعض المميزات. كان لديه قدر كبير من الحس المشترك، ودعوته لإجراء إصلاح فى إدارة القضاء مع مجهوداته، حتى وإن أوحى بها دوافع مختلطة، لإظهار بعض مواضع انعدام العدالة أمام الانتباه العام، تكشف عن قدر معين لديه من المشاعر الإنسانية. ولكن بصفة عامة لم تكن أخلاقه على وجه الخصوص مجال إعجاب. كان مختالاً وحقوداً وساخرًا ومجردًا فكريًا من المبادئ الخلقية. وهجومه على موبرتوى وروسو وآخرين انتقص من قدره. ولكن لا شىء طبعاً مما يمكن أن نقوله عن عيوب خلقه يمكن أن يغير واقع أنه يلخص بتألق فى كتاباته روح التنوير الفرنسى.

فى كتابه عن مبادئ الفلسفة النيوتونية يؤكد فولتير أن المذهب الديكارتى يودى مباشرة إلى الاسبينوزية. "لقد عرفت أناس كثيرين قادتهم الديكارتية إلى عدم الاعتراف بلإله آخر سوى ضخامة الأشياء، وعلى العكس من ذلك لم أرَ نيوتونياً لم

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

أن هذه الأجيال المتصلة التي تفترس باستمرار وتتوالد باستمرار تدخل في خطة الكون؟^(١).

ومع ذلك، فإن مشكلة الشر قد شددت انتباه فولتير بقوة في أعقاب كارثة الزلزال في لشبونة عام ١٧٥٥. وقد عبر عن انفعالاته إزاء هذا الحادث في قصيدة عن كارثة لشبونة، وفي كائديد. في القصيدة يبدو أنه يعيد تأكيد الحرية الإلهية، ولكن في كتاباته التالية يجعل الخلق ضرورياً. إن الله هو العلة الأولى والعليا وموجود أبدى. ولكن فكرة العلة دون أثر هي خلف. وعلى ذلك، فالعالم يلزم أن يصدر على نحو أبدى عن الله. إنه ليس في الواقع جزءاً من الله، وهو عسارض بمعنى أنه يعتمد عليه في وجوده. ولكن الخلق أبدى وضرورى. ربما أن الشر لا ينفصل عن العالم فهو أيضاً ضرورى. إنه يعتمد إذن على الله. ولكن الله لم يختصر أن يوجد. كان يمكن أن نعتبر الله مسئولاً عن الشر فقط لو خلق بحرية.

لنعد إلى الإنسان. في "فلسفة نيوتن"^(٢) يلاحظ فولتير أن عدداً من الناس الذين عرفوا لوك أكدوا له أن نيوتن اعترف مرة للوك بأن معرفتنا بالطبيعة ليست من الضخامة بما يكفي لأن يسمح لنا أن نقرر أنه يستحيل على الله أن يضيف هبة التفكير إلى شيء ممتد. ويبدو واضحاً بما فيه الكفاية أن فولتير اعتبر نظرية النفس على أنها موجود لا مادي جوهري هي فرض غير ضرورى. وفي المقال عن النفس في القاموس الفلسفي يدل على أن الألفاظ مثل "نفس روحية" هي مجرد كلمات تغطي جهلنا. لقد ميز اليونانيون بين النفس الحاسة والنفس العاقلة. ولكن الأولى بالتأكيد لا توجد؛ "إنها ليست شيئاً سوى حركة أعضائك". ولا يجد العقل برهاناً على وجود النفس العليا أفضل من البرهان على وجود النفس السفلى. "فمن طريق الإيمان فقط يمكنك معرفتها". وفولتير لا يقول هنا بالحرف الواحد إنه لا يوجد شيء مثل النفس الروحية والخالدة، ولكن رأيه يجيء واضحاً في موضع آخر.

(1) Ibid, I, 1.

(2) Ibid, I, 7.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

فى مقاله عن الحرية فى الغاموس الفلسفى يقول فولتير بصراحة إن حرية عدم الاكتراث هى "كلمة بلا معنى، اخترعها أناس نادراً ما كانوا هم حاصلين على شىء منها". إن ما يريده المرء يحدده الدافع، ولكن قد يكون الإنسان حرّاً لأن يفعل أو لا يفعل، بمعنى أنه قد يكون أو لا يكون فى قدرة الإنسان أن ينجز الفعل الذى يريد إنجازه. "إن إرادتك ليست حرية، ولكن أفعالك هى الحرية؛ إنك حر لأن تفعل عندما تكون لديك القدرة على الفعل". وفى "الفيلسوف الجاهل" (¹) The Ignorant Philosopher، يقرر فولتير أن فكرة إرادة حرية هى فكرة خلف؛ لأن الإرادة الحرة ستكون إرادة بغير دافع كاف وتقع خارج سياق الطبيعة. ولو أن "حيواناً واحداً صغيراً بارتفاع خمس أقدام" شذ عن حكم القانون الكلى، لكان الأمر شديد الغرابة. إنه سيسلك بالصدفة، ولا توجد هناك صدفة. "لقد اخترعنا هذه الكلمة لنعبر عن الأثر المعروف لأى علة مجهولة". أما بخصوص السوعى بالحرية أو الشعور بها، فهذا يتسق مع الحتمية فى إرادتنا. إنها لا تبين أكثر من أن المرء يمكنه أن يفعل كما يحلو له عندما تكون لديه القدرة لينجز الفعل المراد.

هذا التأكيد على الحتمية لا يعنى أن فولتير نبذ فكرة القانون الأخلاقى. لقد عبر عن اتفاقه مع لوك على غياب أى مبادئ أخلاقية فطرية. بيد أن الله قد شكلنا بحيث ندرك مع مرور الزمن ضرورة العدل. حقيقة كان فولتير معتاداً على أن يلفت الانتباه لتنوع القناعات الأخلاقية. وهكذا فى "مقال فى الميتافيزيقا" (²) يلاحظ أن ما يطلق عليه فضيلة فى منطقة ما يطلق عليه رذيلة فى أخرى، وأن القواعد الأخلاقية متنوعة مثل تنوع اللغات والأزياء. وفى الوقت ذاته "هناك قوانين طبيعية يتحتم على الموجودات البشرية فى كل بقاع العالم أن تتفق فيما يتعلق بها" (³). لقد وهب الله الإنسان مشاعر معينة لا تتحول هى التزام أيدى تحدثت عنه القوانين الأساسية للمجتمع الإنسانى. ومحتوى القانون الأساسى يبدو أنه محصور جداً

(1) 13.

(2) 9.

(3) Ibid.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

عن مقولة مونتسكيو "فصل السلطات". وفى الواقع يمكن للمرء أن يقول إنه كان مهتمًا بزيادة قوة الملكيّة، بمعنى أنه رغب فى أن تكون حرة من نفوذ رجال الدين.

ولا ينبغي أن نأخذ هذه الملاحظات على أنها تتضمن أن فولتير كان عدوًا للتقدم. بالعكس كان واحدًا من أكثر الناشرين لفكرة التقدم تأثيرًا. ولكن لفظ التقدم كان يعنى بالنسبة له سيادة العقل والتقدم العقلى والعلمى والاقتصادى أخرى من التقدم السياسى، إذا فهم المرء من هذا انتقالاً إلى الديمقراطية أو الحكم الشعبى. ذلك لأن من رأيه أن حكم الملكيّة المستتيرة هو الحكم الذى من المرجح إلى أقصى حد أن يشجع تقدم العلم والأدب والتسامح فى الأفكار.

وعلى الرغم من أننى تناولت نظريات مونتسكيو فى هذا الفصل، فإننى أقترح أن أرجئ آراء فولتير عن التاريخ إلى الفصل الخاص بيزوغ فلسفة التاريخ.

٧ - عندما يفكر المرء فى الفترة المعروفة بالتنوير أو عصر العقل، فإنه يميل بالطبع إلى التفكير فى تمجيد للعقل الهادئ والناقد. ومع ذلك، فإن هيوم، وهو أحد شخصيات التنوير البارزة العظيمة، هو الذى قال إن العقل عبد للأهواء وينبغى أن يكون كذلك، وهو الذى وجد أساس الحياة الخلقية فى الشعور. وفى فرنسا أعلن فولتير، الذى يصوره المرء بالطبع على أنه التجسيد الحى للعقل الناقد والسطحى إلى حد ما، أنه بدون الأهواء لن يكون هناك تقدم إنسانى. وذلك لأن الأهواء قوة محرّكة فى الإنسان؛ إنها العجلات التى تجعل الآلة تدور^(١). وبالمثل يقول لنا فوفينارج إن "أهواءنا ليست متميزة عن أنفسنا"^(٢). إن علينا أن نجد طبيعة الإنسان الحقيقية فى الأهواء أخرى من العقل.

ولد لوقا دى كلاييه وماركيز دى فوفينارج عام ١٧١٥ Luc de Clapiers. Marquis de Vauvenargues. ومنذ عام ١٧٣٣ عمل ضابطاً فى الجيش وشارك

(1) Treatise on Metaphysics 8.

(2) Introduction to the Knowledge of Human Mind. II. 42.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وهذا يعنى أن الإنسان، الذى هو بالطبع متعلق بوجوده، إذا كان وجوده غير ناقص على أى نحو، وإنما قد نمى نفسه دائماً بغير عائق أو نقص، فإنه لن يشعر بشيء سوى اللذة. أما لو كان هذا الوجود على حاله الأصلي، فإننا نستشعر اللذة والألم، "ومن خبرة هذين الضدين نستمد فكرة الخير والشر"^(١). والأهواء (على الأقل تلك التى تأتى بواسطة "عضو التأمل" وليست مجرد انطباعات مباشرة للحس) تقوم على "حب الوجود أو حب كمال الوجود أو على الشعور بنقصنا"^(٢). مثال ذلك أن من الناس من يكون شعوره بنقصه أكثر حيوية من شعوره بالكمال والقدرة والقوة. عندئذ نجد انفعالات مثل القلق والكآبة وما إلى ذلك. والانفعالات الهائلة تتبع من اتحاد هذين النوعين من الشعور: الشعور بقوتنا والشعور بنقصنا وضعفنا؛ لأن "الشعور بشقائنا يدفعنا للخروج من أنفسنا والشعور بالأمل"^(٣).

يتناول فوفينارج فى الكتاب الثالث الخير والشر الأخلاقيين. لقد رأينا أن فكرة الخير والشر تقوم على خبرات اللذة والألم. ولكن الناس المختلفين يجدون اللذة والألم فى أشياء مختلفة. على أى حال ليس هذا هو المعنى المقصود من الخير والشر الأخلاقيين. "فلكى يعد شيء ما خيراً من جانب كل المجتمع يجب أن يقضى إلى مصلحة كل المجتمع. ولكى يعد شيء ما شراً يجب أن يفرض على المجتمع. هنا لدينا الخاصية الرائعة للخير والشر الأخلاقيين"^(٤). والناس لكونهم ناقصين لا يكونون أنفسهم بأنفسهم، فالمجتمع ضرورى لهم. والحياة الاجتماعية تتضمن اندماج المصلحة الخاصة للمرء مع المصلحة العامة. "هذا هو أساس كل أخلاقية"^(٥). ولكن السعى للخير المشترك يتضمن التضحية، وليس كل إنسان مستعداً تلقائياً لمثل هذه التضحيات. ومن ثمة فالقانون ضرورى.

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) Introduction to the Knowledge of Human Mind, II, 22.

(4) Ibid, III, 43.

(5) Ibid.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

يريدون كل الناس معاً طيبين أو معاً أشراراً لا يعرفون الطبيعة. فى الإنسان كل شيء مختلط، وكل شيء هناك محدود وحتى الرذيلة لها حدودها^(١).

فى كتاب "أحكام" Maxims لفوفينارج يمكننا أن نجد عدداً من الأقوال تذكرنا بوضوح بيسكال. "العقل لا يعرف اهتمامات القلب"^(٢). و"الأفكار العظيمة تأتى من القلب"^(٣). ونحن نجد أيضاً إلحاحاً على الدور الأساسى للأهواء الذى سبق التنبيه إليه. "ربما ندين للأهواء بميزات العقل العظيمة"^(٤). "إن الأهواء قد علمت الإنسان التعلل. ففى طفولة كل الشعوب كما فى طفولة الأفراد كان الشعور دائماً يسبق التأمل وكان السيد الأول"^(٥). وربما يجدر ذكر هذه النقطة إذ قد يعتقد المرء بأن عصر العقل بمثابة فترة ينقص فيها عادة من قيمة الشعور والهوى لصالح العقل التحليلى البارد.

ولن يكون صحيحاً تماماً أن نقول إن فوفينارج لم يكن كاتباً نسقياً على أساس أن كتاباته تتكون من أقوال مأثورة أكثر من كونها أبحاثاً مفصلة. ذلك لأن فى كتابه عن معرفة العقل البشرى يوجد - إلى حد ما - ترتيب متسق لأفكاره. ولكنه اعترف فى مقالاته الأولية أن الظروف لم تسمح له بتحقيق خطته الأصلية. على أى حال كان فوفينارج أكثر اهتماماً بتمييز ووصف الخصائص المختلفة للعقل والأهواء المختلفة من البحث فى علل الظواهر النفسية كما يعبر عنها. ولأجل دراسة الطريقة التى بموجبها تستمد العمليات والوظائف العقلية من الأساس الأصيل علينا أن ننقل إلى كوندياك.

٨ - اتجه اتيين بونو دى كوندياك (١٧١٥ - ١٧٨٠) Etienne Bonnot de

Condillac أول الأمر لدراسة الكهوت، فدخل معهد سان - سوليس

(1) Introduction to the Knowledge of Human Mind; III, 44

(2) Reflexions of maxims, 124.

(3) Ibid, 127.

(4) Ibid, 151.

(5) Ibid, 154-5.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

عليه النسق الهندسى عديم الجدوى فى الكشف عن معرفة حقيقة العالم. فالفيلسوف قد يتصور أن تعريفاته تعبر عن فهم للماهيات، ولكنها فى الحقيقة تعريفات تعسفية. أعنى أنها تعسفية ما لم يقصد بها مجرد أن تقرر المعانى التى تستخدم فيها بعض الألفاظ كأمر واقع. وإذا كانت مجرد تعريفات قاموسية، إذا صح التعبير، فإنها لا يمكن أن تؤدى الوظيفة التى يفترض أن تؤديها فى المذاهب الفلسفية.

هذا لا يعنى بالطبع أن كوندياك يدين كل الجهود الساعية لتنظيم المعرفة. وتوجيه النقد المعادى لروح المذاهب ولمحاولة إنشاء فلسفة من العقل وحده بطريقة قبلية لا يعنى إدانة التركيب. إن المذهب بالمعنى المقبول للكلمة هو ترتيب منظم لأجزاء من علم بحيث تعرض العلاقات بينها بوضوح. بالتأكيد سوف توجد مبادئ، ولكن المبادئ ستعنى هنا ظواهر معروفة. هكذا أنشأ نيوتن مذهباً باستخدام ظاهرة الجذب المعروفة كمبدأ، ثم بعد ذلك بتفسير الظواهر مثل حركات الكواكب والمد والجزر فى ضوء هذا المبدأ.

ونحن نجد أفكاراً مماثلة فى "منطق" كوندياك الذى ظهر بعد وفاته عام ١٧٨٠. إن الميتافيزيقيين العظام فى القرن السابع عشر تابعوا منهجاً تركيبياً، مستعارة من الهندسة وواصلوا العمل عن طريق الاستنباط من التعريفات. وهذا المنهج، كما رأينا، لا يمكن أن يعطينا معرفة حقيقية بالطبيعة. على أى حال يبقى المنهج التحليلى فى مجال ما هو معطى. ونحن نبدأ من معطى مختلط ونحلله إلى أجزائه المتميزة. ويمكننا أن نعيد تركيب الكل بطريقة متسقة. هذا هو المنهج الطبيعى، المنهج الذى يتابعه العقل بالطبع عندما نريد أن ننمى معرفتنا. كيف مثلاً نعرف المنظر الطبيعى أو الريف؟ أول الأمر يكون لدينا انطباع مختلط عنه، ثم بعد ذلك نصل تدريجياً إلى معرفة متميزة عن ملامح مكوناته المتنوعة ونصل إلى تبين كيف تقوم هذه الملامح معاً بتركيب الكل. عند إنشاء نظرية عن المنهج لا يطلب إلينا أن نفصل تصوراً "قبلياً" عن منهج مثالى، يجب أن ندرس كيف يعمل العقل بالفعل عندما ينمى معرفته. عندئذ سنجد أنه لا يوجد منهج واحد مثالى.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لندن، كما حفزه إليه دراسة ديدرو عن سيكولوجية الصم والبكم. ففي "كتاب الإحساسات"⁽¹⁾ يتحدث بشيء من التّطويل عن المعطيات التي وفرتها إحدى عمليات تشييلدن.

وأحد الملامح الرئيسية في هذا الكتاب هو الطريقة التي يحاول بها كوندياك أن يبيّن كيف أن كل إحساس، مأخوذاً على حدة، يمكن أن يولد كل القدرات. لتأخذ مثلاً رجلاً (يمثله الجسم) ينحصر مجال معرفته في حاسة الشم. "إذا أعطينا الجسم وردة ليشمها، فهو بالنسبة لنا تمثال يشم وردة، وبالنسبة لنفسه هو رائحة وردة"⁽²⁾. وهذا يعني القول بأن الرجل لن يكون حاصلاً على أى فكرة عن المادة أو عن الأشياء الخارجية أو عن جسمه الخاص. فبالنسبة لشعوره لن يكون شيئاً سوى إحساس برائحة. لنفترض أن الرجل لديه فقط هذا الإحساس الواحد، رائحة الورد. هذا هو "الانتباه". وعندما نبعد الورد عنه، يبقى انطباع قوى أو ضعيف حسبما كانت حيوية الانتباه شديدة أو واهنة. هنا يكون لدينا بداية الذاكرة. والانتباه للإحساس الماضى هو الذاكرة، التي ليست إلا نمطاً من الشعور. ثم دعنا نفترض أن الرجل بعد أن شم تكراراً روائح الورد والقرنفل يشم وردة. إن انتباهه الواهن ينقسم بين ذكريات لروائح ورد وقرنفل. عندئذ نحصل على المضاهاة التي تتألف من حضور معنيين في نفس الوقت، "وعندما توجد مضاهاة يوجد حكم. .. الحكم هو فقط إدراك علاقة بين معنيين تمت المقارنة بينهما"⁽³⁾. ثم إذا كان الرجل الحاصل على إحساس حاضرمقبول برائحة يتذكر إحساساً ماضياً ساراً، فإننا نحصل على التخيل. ذلك لأن الذاكرة والتخيل لا يختلفان في النوع. ثم إن الرجل يستطيع أن يكون معانى جزئية ومجردة. فبعض الروائح سار وبعضها كريه. وإذا تعود الرجل على فصل معانى الرضا والأشياء من تحولاتها الخاصة المتعددة، فإنه سيحصل على معانى مجردة. وبالمثل يمكنه أن يكون معانى العدد عندما يتذكر عدة إحساسات متتالية متميزة.

(1) III, V.

(2) Treatise on Sensation, 2, I, 2.

(3) Ibid, I, I, 15.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

سيظل يرى نفسه فقط. .. ولا تخالجه رغبة في أنه يدين بتحولاته لعلل خارجية. .. بل لا يعلم أن له جسمًا⁽¹⁾. وفي عبارة أخرى إن حاسة اللمس هي المسئول الأساسى بصدد الحكم عن الخارجية. وفي بيانه عن هذا الموضوع تباينت آراءه إلى حد ما. ففي الطبعة الأولى لكتاب الإحساسات جعل معرفة الخارجية مستقلة عن الحركة. ولكن في الطبعة الثانية اعترف بأن فكرة الخارجية لا تتشأ في استقلال عن الحركة. ومع ذلك فاللمس هو على أى حال المسئول بصفة أولية عن هذه الفكرة. فإذا مرر طفل يده على أجزاء من جسمه، "فإنه سيشعر بذاته في كل أجزاء جسمه"⁽²⁾. "ولكنه إذا لمس جسمًا غريبًا، فإن "الأنا" التى تشعر بذاتها تغيرت في اليد لا تشعر بذاتها تغيرت في الجسم الغريب. فالأنا لا تتلقى من الجسم الغريب الاستجابة التى تتلقاها من اليد. وعلى ذلك يحكم الجسم بأن هذه الأنماط هي برمتها من خارجه"⁽³⁾. وعندما يرتبط اللمس بحواس أخرى، فإن المرء يكتشف بالتدريج مختلف أعضائه الحسية الخاصة ويحكم بأن إحساسات الشم والسمع وما إليه تسببها موضوعات خارجية. مثال ذلك عندما يلمس المرء وردة ويقربها أو يبعدها عن الوجه يمكنه أن يصل إلى صياغة أحكام عن عضو الشم وعن العلة الخارجية لإحساساته بالرائحة. وبالمثل تتعلم العين كيف ترى المسافة والحجم والحركة بانضمامها فقط مع اللمس. وقد أصبحنا معتادين أن نقدر الحجم والشكل والمسافة والموضع عن طريق النظر إلى حد أننا نميل بالطبع للاعتقاد بأن هذه الأحكام لا ترجع إلا إلى البصر. ولكن الأمر ليس كذلك.

ربما يجدر أن نوجه اهتمامًا عابرًا لتغيير وجهة النظر من قبل كوندياك بين نشره المقال عن أصل المعرفة الإنسانية وكتاب الإحساسات. ففي الكتاب الأول يبدو أنه يؤكد أن الرابطة بين المعنى والعلامة أو الرمز ضرورية للذهن. ولكن في الكتاب الثانى تغيرت وجهة النظر هذه. فعندما يتناول مثلاً الرجل المقصور على

(1) Ibid, I, XII, 1-2.

(2) Ibid, II, V, 4.

(3) Ibid, II, V, 5.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

المبدأ الأولى الذى يعطينا عادات اللمس والرؤية والسمع والشعور والذوق والمضاهاة والحكم والتأمل والاشتهاء والحب والخوف والرغبة، وباختصار إنه خلال القلق تولد كل عادات العقل والجسم. "فكل الظواهر النفسية تعتمد من ثمة على القلق أو الانزعاج فى ظروف معينة. وهكذا يمكن للمرء أن يقول ربما يعطى كوندياك أساساً إرادياً لكل العملية التى بموجبها تنشأ حياة الإنسان العقلية. فيلزم تفسير الانتباه بالرجوع إلى حاجة نشعر بها. والذاكرة يوجهها الاشتهاء والرغبة أخرى من أن يوجهها مجرد التداعى الآلى للمعاني. وفى "كتاب الحيوانات" ⁽¹⁾ Traite des animaux يوضح أن من رأيه أن ترتيب معانيها يعتمد أساساً على الحاجة أو الواقع. وواضح أن هذه نظرية مثمرة. وقد أنت ثمارها من بعد فى التفسير الإرادى لحياة الإنسان العقلية الذى نجده مثلاً لدى شوبنهاور Schopenhauer.

تبدو نظرية كوندياك فى العقل وفى العمليات العقلية باعتبارها إحساسات محولة إزاء النظرة الأولى أنها تدل على موقف مادى. ويزداد هذا الانطباع بموجب عادة كوندياك بأن يتحدث عن "قوى" النفس باعتبارها مستمدة من الإحساس الأمر الذى قد يؤخذ على أنها تتضمن أن النفس الإنسانية ذاتها مادية. علاوة على ذلك، ألا يقترح أن الإنسان ليس شيئاً سوى جملة مكتسباته؟ لقد رأينا (الجسم) مع إعطائه بالتالى أنماطاً جديدة وحواشٍ جديدة يكوّن رغبات ويتعلم من الخبرة أن ينظمها ويشبعها، وينتقل من حاجات إلى حاجات، ومن معارف إلى معارف، ومن ملذات إلى ملذات. ومن ثمة فليس الجسم شيئاً سوى جملة كل ما اكتسبه. ألن يكون هذا نفس الأمر مع الناس؟ ⁽²⁾. إن المرء قد يكون جملة مكتسباته، وهى إحساسات محولة.

(1) II, 11.

(2) Ibid, IV, IX, 3.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ويمكن أن نضيف أن كوندياك لم يعترف بأن عرضه لحياة الإنسان العقلية يتضمن حتمية مطلقة. لقد ألحق بكتاب الإحساسات بحثاً عن الحرية يناقش فيه هذه المسألة.

٩ - محاولة كوندياك لأن يبين أن كل الظواهر النفسية هي إحساسات محاولة تواصلت عند كلود أدريان هلفسيوس (١٧١٥ - ١٧٧١) Claude Adrien Helvetius في كتابه "في العقل" ١٧٥٨. ينحدر هلفسيوس من أسرة طبية اسمها الأصلي شفایتمر Schweizer واتخذ شكلاً لاتينياً. عمل لفترة في وظيفة ملتزم عام^(١)، ولكن المعارضة التي أثارها كتابه عن العقل جعلت من المستحيل أن يسند إليه وظائف في الخدمة الملكية. ولذلك فضلاً عن زيارات إلى إنجلترا وإلى برلين عاش بهوء معتمداً على أملاكه. وكتابه "عن الإنسان وقواه وثقافته" نشر بعد وفاته عام ١٧٧٢.

يرد هلفسيوس كل قوى الفهم الإنساني إلى الإحساس أو الإدراك الحسي. كان المعتقد بصفة عامة أن الإنسان يمتلك قدرات تتجاوز مستوى الحس. ولكن هذه نظرية كاذبة. خذ مثلاً الحكم. أن تحكم يعني أن تدرك بين المعاني الفردية ما هو متماثل وما هو غير متماثل. إذا حكمت بأن الأحمر مختلف عن الأصفر فما أفعله هو أنني أدرك أن اللون المسمى "أحمر" يؤثر على عيني على نحو مختلف عن طريقة تأثرهما باللون المسمى "أصفر". فأن تحكم إذن يعني ببساطة أن تدرك.

هذه العملية من التحليل الاختزالي تنطبق أيضاً على حياة الإنسان الخلقية. فحب الذات هو الأساس الكلي للملوك الإنساني، وحب الذات موجه لتحقيق اللذة. "فالناس يحبون ذواتهم: إنهم جميعاً يرغبون في أن يكونوا سعداء، ويعتقدون أن

(١) Fernier général هو في النظام القديم الرأسمالي الملتزم بجباية الضرائب عن الأرض الزراعية (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الأساسى والكلى للسلوك، فإن المنفعة العامة أو النفعية هى معيار الأخلاقية، ويحاول هلفسيوس أن يبين كيف أن خدمة المنفعة المشتركة ممكنة سيكولوجيًا. مثال ذلك إذا علمنا الطفل أن يضع نفسه مكان الشخص التيس وسيئ الحظ، فإنه سيشعر بإحساسات مؤلمة، وسيحفز حب الذات لديه رغبة فى التخلص من التعاسة، ومع مرور الوقت تعمل قوة التداعى على تكوين عادة أن تتسم حوافزه وسلوكه بالخيرية. وبالتالي حتى لو كان حب الذات فى أساس كل سلوك، فالخيرية ممكنة سيكولوجيًا.

هذه الاعتبارات توحى بالأهمية البالغة للتربية فى تكوين عادات من السلوك. إن هلفسيوس هو أحد الرواد الرئيسيين والمشجعين على النظرية النفعية فى الأخلاق، ولكن السمة الخاصة لكتاباتة تكمن فى إلحاحه على قوة التربية. "يمكن للتربية أن تفعل كل شيء". "والتربية تصنع منا ما نحن عليه"⁽¹⁾. بيد أن المعهد الذى يتوفر فيه نظام جيد للتربية تحول دونه عوائق خطيرة. ففى المحل الأول هناك رجال الدين، وفى المحل الثانى هناك واقع أن كل الحكومات معيبة وسينة. لا يمكن أن نكون حاصلين على نظام جيد للتربية إلى أن تتكسر شوكة رجال الدين، وإلى أن يتحقق نظام جيد بالفعل للحكومة مع نظام جيد من التشريع يتسق معه. إن المبدأ الأول والوحيد للأخلاقية هو "الخير العام هو القانون الأعلى"⁽²⁾. ولكن قلة من الحكومات تسلك حسب هذا القانون. ومع ذلك "فكل إصلاح هام فى القسم الأخلاقى من التربية يفترض إصلاحًا فى القوانين وفى شكل الحكومة"⁽³⁾.

فى ضوء هذه الأفكار يندد هلفسيوس بالاستبداد السياسى، ومن ثم يتحدث - فى مقدمة كتابه "عن الإنسان" - عن الاستبداد الذى تعرضت له فرنسا ويضيف أن "من خصائص القوة المستبدة أن تطفى كلاً من العبقرية والفضيلة"⁽⁴⁾. كذلك عندما

(1) Ibid, 10, 1, Hopper, 11, pp. 392 and 305.

(2) Ibid, 10, 10, Hopper, 11, p. 436.

(3) Ibid, Hopper, 11, p. 433.

(4) Hopper, 1, p. VI.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل الثانى

عصر التنوير فى فرنسا (٢)

الموسوعة: ديدرو ودالمبير - المادية (المذهب المادى):
لامترى ودولباك (هولباخ) وكابانيس - التاريخ الطبيعى:
بوفون وروبنيه وبونيه - دينامية بوسكوفتش -
الفيزوقراطيون: كيناي وتورجو - ملاحظات ختامية.

١ - كان المستودع الأدبى العظيم لأفكار التنوير الفرنسى ومثله العليا هو "الموسوعة، أو المعجم المنهجى للفنون والصنائع". فبناء على اقتراح من المترجم الفرنسى لقاموس أو موسوعة تشيمبرز Chambers حرر ديدرو ودالمبير الموسوعة. نُشر المجلد الأول منها فى ١٧٥١، ونُشر المجلد الثانى فى السنة التالية. عندئذ حاولت الحكومة أن توقف العمل على أساس أنه معاد للسلطة الملكية وللدين. على كل حال بحلول عام ١٧٥٧ كانت قد ظهرت سبعة مجلدات. وفى عام ١٧٥٨ انسحب دالمبير وحاولت الحكومة الفرنسية أن تمنع استمرار المشروع. ولكن فى نهاية الأمر سمح لديدرو أن يمضى مع الطبع شريطة ألا تنشر مجلدات أخرى إلى أن يتم العمل بأكمله. وفى عام ١٧٦٥ ظهر عشرة مجلدات أخيرة (٨ - ١٧) مع المجلد الرابع من اللوحات، وكان المجلد الأول من اللوحات قد نُشر فى عام ١٧٦٢. وفيما بعد ظهرت مجلدات أخرى من اللوحات بينما طُبِع فى أمستردام ملحق فى خمسة مجلدات وفهارس فى مجلدين. أما الطبعة الأولى الكاملة من الموسوعة (١٧٥١)

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

سنناول دولناك (هولباخ) فى القسم الخاص بالمادية بينما سنناقش آراء تورجو فى نهاية هذا الفصل. وفى القسم الحالى أقترح أن أقصر على ديدرو ودالمبير.

(أ) كان دينيس ديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤) Denis Diderot مثل فولتير تلميذاً فى الكلية اليسوعية لوى لوجران Louis-le-Grand، وخضع، مثل فولتير أيضاً، لتأثير الفكر الإنجليزى، وترجم عدة كتب إنجليزية إلى الفرنسية. من بين هذه الكتب "محاولة فى الاستحقاق والفضيلة" Essai sur le merite et la vertu حيث أضاف ملاحظات من عنده إلى ترجمته لكتاب شافسبرى Shafesbury "بحث فى الفضيلة والاستحقاق" Inquiry concerning virtue and merit. وكما رأينا من قبل كانت فكرة الموسوعة، وهى عمل حياته، قد اقترحت عليه بطريق موسوعة تشيمبرز Chambers. وفى عام ١٧٤٦ نشر "أفكار فلسفية" فى هيج Hague، وفى عام ١٧٤٩ نشر فى لندن "رسالة حول العميان مخصصة للذين يبصرون" Lettre sur les aveugles à l'usage de ceux qui voient. وكانت الأفكار التى عبّر عنها قد كلفتها بضعة أشهر فى سجن فينسن Vincennes. وفى أعقابها تفرغ للعمل فى إصدار الموسوعة. وفى عام ١٧٥٤ ظهر له فى لندن "أفكار عن تفسير الطبيعة" Pensees sur L'interpretation de la nature وهناك عدة مقالات مثل "حديث بين دالمبير وديدرو" Entrien entre a`Alembert et Diderot و "حلم دالمبير" Le reve de d`Alembert لم تنشر خلال حياته. لم يكن ديدرو غنياً، وفى وقت ما عانى من ضائقة مالية عسيرة. ولكن كاترين Catherine إمبراطورة روسيا قدمت له العون فرحل إلى سان بيترزبرج St. Petersburg حيث أمضى بضعة أشهر مشاركاً على نحو متكرر فى مناقشات فلسفية مع الإمبراطورة التى أحسنت إليه. وقد كان متحدثاً مرموقاً.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

التعضية الفيزيائية. وتظهر أفكار مماثلة في "حلم دالمبير" حيث يفهم ضمناً أن كل الظواهر السيكلوجية يمكن ردها إلى أسس فيسيولوجية وأن الإحساس بالحرة هو وهم. كان ديدرو بالتأكيد متأثراً بنظرية كوندياك عن دور الإحساسات في حياة الإنسان النفسية، ولكنه مضى إلى نقد المذهب الحسى لدى كوندياك على أساس أن تحليله لهذا المذهب لم يذهب إلى أبعد بما يكفى. إذ علينا أن ننظر فيما وراء الإحساس إلى أساسه الفسيولوجى. ومما له دلالة أن ديدرو عاون دولباك (هولباخ) فى تأليف كتابه "نظام الطبيعة" (1770) Systeme de la nature الذى كان عرضاً صريحاً للمذهب المادى، حتى إذا كان لا ينبغي المبالغة فى تأثير دولباك (هولباخ) على تطور تفكيره. وفى الوقت نفسه يمكن أن نجد عند ديدرو ميلاً إلى النفسانية الشاملة pan-psychism. كان شديد الإعجاب بليبنتس الذى أثنى عليه فى الموسوعة. ونحن نجده بعد ذلك يعزو الإدراك الحسى إلى الذرات التى تناظر موندات ليبنتس. فهذه الذرات تشكل فى تجمعات معينة كائنات حية حيوانية ينشأ عنها الشعور على أساس الكم المتصل الذى تكوّنه الذرات.

إن سمة الميوعة فى تفسير ديدرو للطبيعة والإنسان ترتبط بالحاحه على المنهج التجريبي فى العلم والفلسفة. ففي كتابه "فى تفسير الطبيعة" On the interpretation of nature أعلن، مخطئاً طبعاً، أن العلم الرياضى سيبلغ قريباً مرحلة التوقف التام، وأنه فى أقل من قرن لن يبقى فى أوروبا ثلاثة مهندسين عظام. كان مقتنعاً أن الرياضيات محدودة بتصوراتها الخاصة التى أنشأتها، وأنها غير قادرة على إعطائنا معرفة شخصية بالحقيقة المحسوسة. فهذه المعرفة يمكن تحصيلها فقط باستخدام المنهج التجريبي، وبالمدخل العلمى الجديد الذى شكل منافساً ناجحاً ليس فحسب للميتافيزيقا، ولكن أيضاً للرياضيات. وما إن ندرس الطبيعة ذاتها حتى نجد أنها متغيرة ومطاطة وثرية فى إمكانياتها المتعددة، وتتسم بالتنوع واللاتجانس. من الذى يعرف كل الأنواع التى سيقطنها؟ ومن الذى يعرف التى ستلكو أنواعها؟ كل شيء يتغير: ليس هناك ذرتان أو جزيئتان متماثلتان تماماً. والكل

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Lamarck في نظرية التطور، يقول إن فرض التطور لا يؤثر على صحة المثل الأخلاقية للإنسان.

لقد صاغ ديدرو أفكاره الأخلاقية إلى حد ما تحت تأثير كتابات شافيسبري Shaftesbury. ولكن هذه الأفكار لم تكن ثابتة على وجه الدقة إلا بمعنى أنه أبد دائماً مثل الخيرية والإنسانية. لقد بدأ على الأقل بالتأكيد على فكرة "عقلانية" عن قوانين أخلاقية ثابتة. ولكنه وجد أسس هذه القوانين في طبيعة الإنسان أي في الوحدة العضوية لدوافعه وأهوائه وشهواته أخرى من كونها في سلطة قبلية للعقل. كان معادياً لاتخاذ التقشف هدفاً باعتبار ذلك معارضة للطبيعة. وفي عبارة أخرى حتى إذا كان قد واصل تأييد فكرة القانون الطبيعي، فإنه ينتهي إلى الإلحاح على أساسه التجريبي وعلى تأثيره البرجماتي، عندما يقارن بينه وبين الأخلاق اللاهوتية في تنمية الصالح العام.

(ب) جان لورون دالمبير (1717 - 1783) Jean le Rond d'Alembert ولد ابناً غير شرعي تخطى عنه أبواه. يدين باسمه جان لورون le Rond أو Lerond إلى واقعة العثور عليه بجوار كنيسة S. Jean le Rond في باريس. وقد أضاف اللقب هو نفسه من بعد. تولت رعايته زوجة رجل يعمل في صقل الزجاج اسمه روسو. أما أبوه الحقيقي شيفالنييه ديستوش Chevalier Destouches فقد عين له مرتباً سنوياً، وبذلك أمكنه أن يتم دراسته.

في عام 1738 تم قبوله محامياً، ولكنه لم يمارس هذه المهنة، ثم اتجه من بعد إلى الطب. ولكن خلال فترة وجيزة قرر أن يكرس نفسه للرياضيات. قدم عدة أبحاث لأكاديمية العلوم، منها: "مذكرة عن حساب التفاضل" (1739) Memoire sur le calcul integral، وفي عام 1741 أصبح عضواً في الأكاديمية. كانت أعماله في الرياضيات والعلم ذات أهمية بالغة. وفي عام 1741 نشر "مذكرة في انكسار الأجسام الصلبة" Memoire sur le refraction des corps solides. وفي عام 1743

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

أعلن دالمبير فى مقاله الافتتاحى فى الموسوعة أن لوك كان مبدع الفلسفة العلمية، ويشغل موضعاً يناظر موضع نيوتن فى الفيزياء. وفى كتاب مبادئ الفلسفة أكد أن القرن الثامن عشر كان قرن الفلسفة بمعنى خاص. فالفلسفة الطبيعية تم تثويرها، وكل مجالات المعرفة الأخرى تقريباً تقدمت واتخذت صوراً جديدة. فمن مبادئ العلوم العلمانية إلى قواعد الوحي الدينى ومن الميتافيزيقا إلى مسائل الذوق، ومن الموسيقى إلى الأخلاق ومن المعارك إلى قوانين الشعوب ومن القانون الطبيعى إلى القانون التعسفى للدول... كل شىء نوقش وحل أو على الأقل قد ذكر. إن ثمرة هذا الفوران العام للعقول أو نتائجه كان من شأنها أن تلقى ضوءاً جديداً على بعض الأشياء وظلالاً جديدة على أشياء أخرى تماماً مثلما يترك انحسار وارتفاع الجذر والمد بعض أشياء على الشاطئ ويجرف أشياء أخرى⁽¹⁾.

وهذا لا يعنى أن التقدم العقلى فيما يرى دالمبير يتألف ببساطة أو حتى بصفة أولية من مجرد تراكم وقائع جديدة. فهو يؤكد على نحو يذكركنا بديكارت بأن كل العلوم موضوعة معاً هى تجليات للذكاء البشرى. وهو يلج على وظيفة التوحيد. فهو يفترض أن نظام الظواهر متجانس ومطرد، وأن هدف المعرفة العلمية هو إظهار وحدة هذا النظام وترابطه فى ضوء المبادئ التى يمثلها.

ولكن هذه النقطة ينبغى فهمها على نحو صحيح. فدالمبير ليس مهتماً بالمبادئ الميتافيزيقية، ولا هو مهتم كذلك بالتحقق من ماهيات الأشياء بالمعنى الميتافيزيقى. إن النظريات والتأملات الميتافيزيقية تودى إلى تناقضات ونفضى إلى الشك؛ فهى ليست مصدراً للمعرفة، ونحن نعلم أن هناك عالماً خارجياً. حقيقة أننا لا مفر نسلك على افتراض أن مثل هذا العالم موجود، ولكن هذه مسألة غريزة أخرى منها معرفة نظرية. وليس مطلوباً على أى نحو للهدف الذى ترمى إليه الفلسفة العلمية أن نحل مشكلات من هذا النوع. فسيان بالنسبة لنا مثلاً ما إذا كان

(1) Elements de Philosophie in the 1759 edition of Melanges de litterature, d'histoire et philosophie, IV, pp. 3-6.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وتحن نجد في نظرية دالمبير الأخلاقية نفس الاهتمام بفصل الأخلاق عن اللاهوت والميتافيزيقا الأمر الذي كان عموماً يشارك فيه فلاسفة العصر. فالأخلاقية هي الوعي بواجبنا تجاه رفقاءنا من الناس. ومبادئ الأخلاقية تتركز كلها تجاه نفس الهدف، أي أن تبين لنا الصلة الحميمة بين منفعتنا الحقيقية وبين أداء واجبنا الاجتماعي. فمهمة الفلسفة الخلقية هي بالتالي أن توضح للإنسان مكانه في المجتمع وواجبه نحو استخدام قواه للصالح والسعادة العامين.

لا يمكننا أن ندعو دالمبير بحق مادياً. ذلك أنه امتنع عن إبداء آراء حول الطبيعة النهائية للأشياء ولم يثق في الماديين والآيين الدوجمائيين. وبصرف النظر عن أهميته كرياضي، فإن الميزة البارزة لتفكيره هي على الأرجح إلحاحه على المنهجية الوضعية. فقد اعتقد مثل ديبرو أن التقدم يمكن إلى حد بعيد اعتباره أمراً مفروغاً منه، بمعنى أن التنوير العقلي سوف يجلب معه تقدماً اجتماعياً وأخلاقياً. ولكن تصوره عن التطور العقلي والعلمي كان متأثراً تأثراً عميقاً بنيتون والمنهج التجريبي. كان تفكيره يتحرك في المجال الذي رسمه التقدم العلمي المعاصر أخرى من التحرك في إطار الخلاف حول طبيعة الحقيقة النهائية الروحية أو المادية.

٢ - ومع ذلك كان هناك بعض الماديين الصرحاء ينتمون إلى فترة التنوير الفرنسي. وفي هذا القسم سنقول شيئاً عن لامترى ودولباك (هولباخ) وكابانيس.

(أ) كان جوليان أوفريه دي لامترى (١٧٠٩ - ١٧٥١) Julien Offray de la mettrie طبيباً حفزته ملاحظته في نفسه عن آثار الحمى على الذهن، وفكر في أن يبحث في العلاقات بين العوامل الفسيولوجية والعمليات النفسية. ظهر كتابه "التاريخ الطبيعي للنفس" Histoire naturelle de l'ame عام ١٧٤٥، وفي العام التالي طرد من فرنسا. وفي عام ١٧٤٨ نشر في ليدن Leyden "الإنسان آلة" L'homme machine، وفي العام

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

(من هنا الإنسان نبات l'homme plante). ولكن هذا لا يعنى أن هناك مستويات فى الطبيعة مختلفة جوهريًا. إننا نجد فروقًا فى الدرجات، وليس فى النوع.

فى مسائل الدين جاهر لامترى بالمذهب اللا أدرى على نحو تام. ولكنه اعتبر ملحدًا لدى عامة الناس. وفى الحقيقة إنه حاول أن يدخل تحسينًا على تأكيد بيل Bayle أن الدولة المكونة من ملحدين أمر ممكن بإضافة قوله إنها ليست ممكنة فقط، ولكنها أيضًا مرغوب فيها. وبعبارة أخرى ليس الدين مستقلًا تمامًا عن الأخلاق فحسب، ولكنه كذلك معاد لها. أما بخصوص أفكار لامترى الأخلاقية فبدل على طبيعتها دلالة كافية عنوان كتابه "فن التمتع أو مدرسة اللذة" (1) L'art de jouir ou l'école de la volupté. فلم تكن لديه المثل الأخلاقية التى لدى ديدرو. ومن قبيل الصدفة أن هذا الكتاب لم يكن إلا واحدًا من عدة كتب نشرت فى القرن الثامن عشر ومثلت وجهات نظر الدائرة المسماة "الفاسقون" libertines رغم أن وجهات النظر تدرجت من الإلحاح على اللذة الحسية التى كانت السمة المميزة للامترى إلى برامج استمتاع أكثر تهاديًا وعقلانية.

(ب) كان التأثير الذى مارسه كتابات لامترى كبيرًا. ولكن العرض الرئيسى للموقف المادى كان كتاب "نظام الطبيعة أو قوانين العالم الفيزيقي والعالم الأخلاقي" (1770) Systeme de la nature ou des lois du monde physique et du monde morale لبارون بول فون دولباك (هولباخ) (1723 - 1789) Baron Paul von Holbach. ولد فى ألمانيا وأقام فى باريس وعُرف باسم دولباك (هولباخ). كان بيته مكان لقاء "لفلاسفة" حيث كان يستضيفهم بارون وزوجته بسخاء، تلك الزوجة التى تصادف أنها لم تكن تتعاطف مع فلسفة زوجها. وقد شارك هيوم، أثناء وجوده فى باريس، فى هذه الاجتماعات، رغم أنه لم يكن يميل لإلحاد دولباك (هولباخ) الدوجماتيقي. وقد عبر عن ارتباطه بالبارون، ولكنه كان

(1) L'art de jouir ou l'école de la volupté, 1751.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إن نظرية النظام المحدد للطبيعة حيث لا تكون الحركة عنصراً غريباً، بل خاصية جوهرية للأشياء بدت لدولباك (هولباخ) أنها تعلن استبعاد أى حاجة لافتراض الله أو أى موجود أو موجودات علوية. إن ترتيب أو نظام العالم ليس نتيجة خطة إلهية، ولكنه من طبيعة الأشياء ومن قوانينها المحايثة. بيد أن دولباك (هولباخ) لم يكتف بأى حال بأن يصرح بإيمانه باللا أدرية وبأن يقول إن الفرض الدينى كان غير ضرورى كما قال عنه هيوم. ففى رأيه أن الدين كان عدواً للسعادة الإنسانية والتقدم. وقد أعلن فى فقرة مشهورة فى الجزء الثانى من "نظام الطبيعة" أن الجهل والخوف اخترعا الآلهة، وأن الوهم والحماسة والخداع قد زينتا أو شوهتا الصور المكونة عنها، وأن الضعف يعبدها، وأن السذاجة تحفظها، والطغيان يذعم الإيمان من أجل أغراضه الخاصة. إن الإيمان بالله، بعيداً عن أن يجعل الناس سعداء، يزيد قلقها وخوفها.

وبالتالى إذا استطعنا أن نطيح بالدين، الأداة القوية للطغيان السياسى، سيكون من السهل أن نضمن تطوير نظام اجتماعى عقلى يحل محل النظام المسئول عن المعاناة الكبيرة، والبؤس. لقد جاهر دولباك (هولباخ) فى كتاباته بشجب النظام القديم^(١) بصورة أكثر صراحة مما كان معتاداً بين زملائه، غير أنه رفض الثورة من حيث إنها حل للمشكلات السياسية، وأعلن فى كتابه "النظام الاجتماعى" أن الثورة أسوأ من المرض الذى يفترض الشفاء منه.

يقال أحياناً إن هولباخ ربط فى كتابه "النظام الاجتماعى" ميول كتاب التنوير الفرنسى المختلفة، وتطرف فى ذلك. وهذا صحيح بلا شك إلى حد ما. بيد أن أفكاره كانت متطرفة جداً كما يرى كثير من زملائه الفلاسفة. ف "قولتير"، مثلاً، قلل من شأن العمل بسبب إلحاده. وفى ألمانيا، لفت فريديك الأكبر الانتباه إلى ما نظر إليه على أنه تناقض فظيع. إن الموجودات البشرية، كما يرى هولباخ، تخضع

(١) النظام القديم هو نظام الحكم فى فرنسا قبل ثورة ١٧٨٩ (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وآخرون. وأعني أن أهميتها طويلة المدى تكمن في برنامج لدراسة العلاقات بين الظواهر الفسيولوجية، ولا تكمن في الرد الدوجماتيقي للظواهر النفسية إلى الظواهر الفسيولوجية.

(د) يمكن أن نجد بوضوح تعبيرات فجأة عن المادية في كتابات بيير جان جورج كابانيس (١٧٥٧ - ١٨٠٨) Pierre Jean Georges Cabanis، وهو طبيب ومؤلف "العلاقات بين ما هو طبيعي وما هو أخلاقي في الإنسان" Rappors du physique et du moral de l'homme. وقد أوجز وجهة نظره عن الإنسان في الكلمات الآتية: "الأعصاب - هذا هو كل الإنسان"، وأعلن أن "المخ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء". وفي هذه الحالة قد يعتقد المرء أن هناك مجرد مجموعات مختلفة من الإفرازات، ومن الصعب إلى حد ما أن نقرر أيها يمتلك القيمة الحقة الأعظم. ومع ذلك فقد يكون مضللاً أن نوحى بأن التتوير الفرنسي كله ينبغي أن يقيم في ضوء التوكيدات الفجأة من قبل الماديين أمثال كابانيس. وفي الحقيقة إننا نحقق في فهم دلالة تيار الفكر المادي ذاته إذا التفتنا إلى هذه المفاجآت ليس غير. ذلك أن أهميته تكمن في مظهره البرنامجي أخرى من أن يكون في الدوجماتيكية التي اعترض عليها دالمبير وآخرون. بعبارة أخرى إن أهميته الممتدة تكمن في مظهره كبرنامج لدراسة العلاقات بين الظواهر الفسيولوجية والظواهر النفسية وليس رد النفس إلى الفسيولوجي بصورة دوجماتيكية.

احتج كابانيس بأن تركيزه على الأسس الفسيولوجية للحياة النفسية لا ينبغي أن يحمل على أنه يتضمن المادية الميتافيزيقية. فبخصوص العلل النهائية أعلن اللا أدريه. ولكنه رأى أن الأخلاقية ينبغي أن تنفصل تماماً عن الافتراضات الميتافيزيقية واللاهوتية المسبقة، وأن تقوم على أساس ثابت في الدراسة العلمية للإنسان. وكانت إحدى مساهماته في دراستها هي إلحاحه على وحدة حياة الإنسان.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ففى هذه الأخيرة يلزم أن نبدأ بملاحظة الظواهر وعلى أساس من الملاحظة فقط يمكننا أن نصوغ نتائج عامة بمعاونة قياسات التمثيل. وفى النهاية نستطيع أن نرى كيف ترتبط معاً وقائع جزئية وكيف تتمثل الحقائق الكلية فى هذه الوقائع الجزئية. ولكننا لا نستطيع أن نستخدم المنهج الاستنباطى الخاص بالرياضيات. لقد كان بوفون يعمل حارساً للحديقة الملكية، ويتضح حقيقة أن ما يقوله ينطبق بقوة فى حقل علم النبات.

إن رفض بوفون لأى تصور صارم عن منهج واحد مثالى يمكن تطبيقه بصفة كلية قد صاحبه رفض لفكرة أن الكائنات العضوية تقع فى فئات وأنواع محددة بوضوح ومنفصلة بعضها عن بعض بحدود ونهايات صارمة. وقد كان إيفن ليننيوس Even Linnaeus على خطأ بهذا الصدد فى دراساته عن علم النبات. ذلك أنه اختار بصورة تعسفية خصائص معينة لنباتات كمفتاح للتصنيف، فى حين أننا لا نستطيع أن نفهم الطبيعة على هذا النحو. فى الطبيعة هناك اتصال وهناك تحولات متدرجة، وليس أنواع ثابتة بشدة^(١). وبمعنى آخر، لقد أحل بوفون سلسلة الفئات التى تفهم الأعضاء فى كل منها وفقاً لقراءة ملاحظة محل فكرة تدرج أو تسلسل هرمى لفئات محددة بشدة. إنه لم يرفض فكرة الفئات أو الأنواع بأسرها. بيد أن النوع هو مجموعة من الأعضاء التى يشبه كل منها الآخر، بسبب خصائص ملاحظة، أكثر من أن تشبه أشياء أخرى. وإنه لخطأ أن نفترض أن تصنيفاتنا تعبر عن الوعى بماهيات ثابتة. إننا نستطيع أن نقول، إذا شئنا، إن بوفون فهم التصنيف عن طريق ما أسماه لوك "الماهية الاسمية". بيد أن هدفه العظيم هو أنه يجب علينا أن نتبع الطبيعة من حيث إنها ملاحظة، ونجعل مفاهيمنا عن الفئة مرنة، بدلاً من أن نبني خطة تصورية ثابتة، ونجبر الطبيعة على أن تلائمها وتتفق معها. إننا إذا لم نهتم إلا بأفكارنا، أو بتعريفات ومضامينها، فإن الإجراء الأخير سيكون ملائماً.

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الذى قام بترجمته المرحوم الدكتور حبيب الشارونى، وقد أكمل الزميل الدكتور محمود سيد أحمد بقية الكتاب (المراجع).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

٤ - ولا يمكن أن يُعد روجر جوزيف بوسكوفتش (١٧١١ - ١٧٨٧) أحد فلاسفة عصر التنوير، إذا كنا نعني بعصر التنوير حركة من حركات التفكير التي تعارض كل دين يفوق ما هو طبيعي. بيد أن المصطلح يجب ألا يُستخدم ببساطة بهذا المعنى المقيد. حقاً، إننا نعالج الآن التنوير الفرنسي، ولم يكن بوسكوفتش، الذي ولد في راجوسا Ragusa، فرنسياً. لكنه عمل مديراً للبصريات في الملاحة البحرية في باريس لمدة عشر سنوات، وعلى أية حال، هذا هو الموضوع الأكثر ملاءمة لتقديم بعض الملاحظات عنه.

عُين بوسكوفتش أستاذاً للرياضيات في المعهد الروماني (وهو الآن الجامعة الجريجورية) في عام ١٧٤٠، ونشر مقالات في موضوعات رياضية وفلكية متنوعة عندما كان يشغل هذه الوظيفة. ونشر مؤلفه "الفلسفة الطبيعية" عام ١٧٥٨ في فيينا. وعندما كان مقيماً في إنجلترا أُنتخب عضواً في الجمعية الملكية، ودعته هذه الجمعية في عام ١٧٦٩ ليقوم برحلة إلى كاليفورنيا ليراقب عبور كوكب الزهرة، على الرغم من أن قبول الدعوة رُفضت لأن الحكومة الإسبانية طردت اليهود من مقاطعاتها. وبعد أن عاد إلى إيطاليا من باريس في عام ١٧٨٥ نشر مؤلفه "مباحث جديدة في البصريات والفلكيات من وجهة جديدة تماماً وغير مألوفة" في خمسة مجلدات. ومن بين أعماله الأخرى نذكر مؤلفه "المبادئ العامة للرياضيات" (عام ١٧٥٤).

يرى بوسكوفتش أنه ليس هناك ما يُسمى بالاتصال الفعلي بين جسمين. ولابد أن يبين تأثير نظرية نيوتن عن الجاذبية أن الفعل بعيد. ومن ثم، فإننا لا نستطيع أن نفترض أن الحركة أو الطاقة تنتقل عن طريق الاتصال المباشر. ويجب علينا، بدلاً من ذلك، أن نسلّم بالذرات التي تجذب وتطرد بعضها بعضاً. إن لكل ذرة موضعاً في المكان، وكل منها تمتلك قوة ممكنة؛ بمعنى أن ذرتين تجذبان أو تطردان بعضهما بعضاً. وبالنسبة لكل المسافات الأكبر من مسافة معينة، فإن

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وينجم عن هذا الموقف أن تتدخل الحكومة بأقل قدر ممكن فى الشؤون الاقتصادية. ويقوم المجتمع على عقد بمقتضاه يخضع الفرد لتحديد حريته الطبيعية من حيث إن ممارستها لا تطابق حقوق الآخرين. ويجب على الحكومة أن تقصر مهمتها على ضمان تنفيذ العقد. وإذا حاولت أن تتدخل فى مجال الاقتصاد، بتقييد المنافسة، مثلاً، أو بتدعيم صنوف من الامتيازات والاحتكارات، فإنها تحاول أن تتدخل فى عمل "القانون الطبيعى". ولا يمكن أن يأتى خير من هذا التدخل: فالطبيعة تعرف ما هو أفضل وأحسن.

ولا يعنى هذا أن الفيزوقراطيين هم ديمقراطيون متحمسون؛ بمعنى أنهم مدعومون متحمسون لفكرة الحكم الشعبى. فهم، على العكس، يميلون إلى النظر إلى الأرستقراطية المستتيرة على أنها وسيلة لتدعيم سياستهم. إن نظريتى عدم التدخل، ودعه يعمل، مناسبتان، بالفعل، لأن يستخدموهما بمعنى ثورى من حيث إنهما جزء من المطالبة العامة بالحرية، وهما تستخدمان كذلك بالفعل. بيد أنه لا يمكن أن نسمى "كيناي"، أو "ترجو"، مثلاً، مدافعين عن ثورة، أو عن استبدال الحكم الملكى بالحكم الشعبى.

(أ) درس فرانسوا كيناي (١٦٩٤ - ١٧٧٤) الطب والجراحة، وأصبح طبيباً لـ "لويس الخامس عشر". بيد أنه كرس نفسه، عندما كان فى البلاط، لدراسة الاقتصاد، وتجمعت حوله، و"جان دى جورناي" (١٧١٢ - ١٧٥٩) مجموعة الفيزوقراطيين. كتب كيناي بعض المقالات عن المسائل الاقتصادية للموسوعة. كما أنه نشر، من بين كتابات أخرى، مؤلفه "القواعد العامة للتوجيه الاقتصادى لمملكة زراعية" (عام ١٧٥٨)، ونشر فى العام نفسه مؤلفه "تصنيف اقتصادى مع شرحه، أو ملخص من الاقتصاديات الملكية لسيلى".

تعتمد الثروة الوطنية، كما يرى كيناي، على الإنتاج الزراعى. والأعمال المنتجة بحق هى فقط تلك الأعمال التى تزيد كمية المواد الخام. وتعتمد الثروة

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

مؤلفه "تأملات فى تكوين وتوزيع الثروات" ككتاب منفصل، الذى ظهر أولاً فى مجلة فى عام ١٧٦٩ - ١٧٧٠. وعُين، فى عام ١٧٧٤، وزيراً للملاحة، وعُين بعدها بفترة وجيزة مراقباً عاماً للحسابات. واهتم فى الوظيفة الأخيرة، وهى وظيفة وزير للمالية، بالاقتصاد، ونجح فى زيادة الرصيد الوطنى. وحظى فى البداية بتدعيم الملك، بيد أن خططه الخاصة بإلغاء الامتيازات، وإخضاع جميع الطبقات لدفع الضرائب، وحرية التجارة فى الغلال جلبت عليه أعداء كثيرين، بينما نالت خططه الخاصة بنظام تربوى، وتخفيف الفقر استحساناً كبيراً من جانب الملك. وأجبر فى النهاية على أن يستقيل فى عام ١٧٧٦. وكرس بقية حياته لدراساته.

وشارك تورجو، كإقتصادي، كيناي فى أفكاره عن الأرض من حيث إنها المصدر الوحيد للثروة، وعن الحرية الكاملة فى الصناعة، والتجارة. غير أنه كان أكثر من إقتصادي. ففي مقالته عن الوجود التى كتبها فى الموسوعة، مثلاً، طور تأويلاً وضعياً. فالمعطى هو كثرة من الظواهر، علاقتها المتبادلة متغيرة باستمرار. ومع ذلك توجد علاقات التساوى المستمرة بصورة نسبية فى مجموعات معينة. وإحدى هذه المجموعات هو ما نسميه الذات، أو الأنا، وهى مجموعة جزئية من الإدراكات ترتبط بإدراكات، أو مشاعر اللذة والألم. وتأكيد وجود العالم الخارجى هو تأكيد أن مجموعات الظواهر الأخرى، المعطاة مباشرة، أو المسلم بها، ترتبط بالذات فى علاقات مكانية أو عليّة. وبذلك، فإن الوجود يعنى بالنسبة لنا الوجود من حيث إنه ذات، أو بالنسبة لذات فى نسق العلاقات المكانية والعلية. والسؤال ماذا يكون الوجود فى ذاته، أو ماذا تكون الأشياء الموجودة بصرف النظر عن نسق العلاقات المكانية - الزمانية، والعلية، ليس سؤالاً نحن مؤهلون لأن نجيب عنه. وبمعنى آخر نحن لا نستطيع أن نحل المشكلات الميتافيزيقية. فالعلم يهتم بوصف الظواهر، ولا يهتم بـ "المسائل النهائية".

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

دموية، وإنما كانوا يهدفون إلى نشر المعرفة، وإلى الإصلاح الاجتماعي من خلال نشر المعرفة. ولا أعنى التلميح بأن الرؤية الفلسفية "لفلاسفة"^(١) كافية، أو أنني أتفق مع وجهة نظرهم التي تعارض الميتافيزيقا. وفي الوقت نفسه، من الخطأ أن ننظر إليهم في ضوء المادية الدوجماتيكية لكتاب معينين. فالقيام بذلك هو، كما أشرنا من قبل، التفاضل عن الجانب البرنامجي من أعمالهم، أعنى برنامج مذهب أو توسيع مجال المعرفة التي نتحقق منها تجريبيًا بقدر ما تمند. فلقد تطلعوا إلى نمو السيكلوجيا التجريبية، والبيولوجيا مثلاً، وإلى تطوير الدراسات الاجتماعية، وتطوير الاقتصاد السياسي. وترك المثاليون في القرن التالي ضرورة التوفيق بين الرؤية الدينية، والميتافيزيقية، والعلمية. غير أن هذا المثال يفترض مسبقاً وجود الرؤية العلمية والوضعية، ويعد فلاسفة القرن الثامن عشر ذوي أهمية ملحوظة من حيث إنهم ساعدوا على إنتاجها. ولا ندعو الرؤية العلمية إلى النفي أو الإنكار، كما يرى مثاليو القرن الثامن عشر، بل إنها تدعو إلى التعديل عن طريق إدماج في تأليف أكثر اتساعاً. وعما إذا كانوا قد نجحوا في تقديم هذا التأليف، فإن هذه مسألة أخرى بالتأكيد.

(١) كلمة الفلاسفة مكتوبة بالفرنسية Philosophes، وهو مصطلح كان يطلق على فلاسفة الموسوعة مثل فولتير، وديدرو... إلخ، الذين قادوا حركة التنوير في فرنسا تمييزاً لهم عن الفلاسفة المحترفين Philosophers (المترجم).

الفصل الثالث

روسو (أ)

حياته وكتابه - مساوى الحضارة - أصل الفوارت
- ظهور نظرية الإرادة العامة - فلسفة الشعور عند روسو.

١ - ولد جان جاك روسو فى جنيف فى الثامن والعشرين من شهر يونيو عام ١٧١٢، وهو ابن صانع ساعات. وفى عام ١٧٢٥ عمل صبيًا عند نقاش لمدة خمس سنوات، غير أنه هرب بعد فترة وجيزة. وسلمه قسيس "كونفجنون"، وهى قرية قريبة من جنيف، إلى السيدة دى فارن، التى كان لها دور حاسم فى حياته بصورة واضحة. وتحت تأثيرها اعتنق روسو الكاثوليكية، وأُستقبل فى الكنيسة فى "ترن" Turin فى عام ١٧٢٨، فى ضيافة أشخاص يتفقهون فى الدين، وهى مؤسسة يقدم لنا صورة عنها غير مستحبة فى كتابه "الاعترافات" وبعد فترة من التجوال والترحال، والوجود غير المستقر عاد والتقى ب "دى فارن" فى عام ١٧٣١. ويصف حياته معها، التى كانت فى البداية فى شامبرى، وبعد ذلك فى ليزشارمتس، بأنها حدث بارز ورائع. وحاول فى هذه الفترة أن يعرض بالقراءة نقائص تعليمه السابق غير المنتظم.

عمل روسو من عام ١٧٣٨ حتى عام ١٧٤٠ مربيًا لأبناء "دى مابلى"، وتعرف إلى كوندياك عندما كان يشغل هذه الوظيفة. وفى عام ١٧٤٢ ذهب إلى باريس، لكى ينتقل إلى البندقية فى عام ١٧٤٣، وعمل سكرتيرًا للسفير الفرنسى

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إلى جنيف. واعتنق الدين المسيحي البروتستانتي^(١). ولا يعنى هذا التغير أى تحول دينى فى واقع الأمر؛ لأنه إذا لم يكن لأصدقائه فى باريس أى تأثير عليه، فإنهم قوضوا إيمانه بالطقوس الكاثوليكية على الأقل. والسبب الرئيسى لعودته إلى المذهب البروتستانتي هو رغبته، كما يؤكد، فى أن يحصل على المواطنة الجنييفية (السويسرية) مرة أخرى. بيد أنه لم يمكث فى جنيف فترة طويلة، وعاد إلى باريس فى أكتوبر عام ١٧٥٤، وعند عودته أرسل نسخة من مؤلفه «مقال عن التفاوت»، عندما ظهر فى العام التالى (١٧٥٥)، إلى فولتير الذى كتب إليه يشكره على «كتابه الجديد الذى يهاجم فيه الجنس البشرى».

وعاش روسو متقاعدًا فى مونتورنسى منذ عام ١٧٥٦ حتى عام ١٧٦٢. وكانت هذه الفترة ذات نشاط أدبى عظيم. فقد كتب رسالة إلى دالمبير عن المسرح" فى عام ١٧٥٨ ردًا على مقال فى الموسوعة فى جنيف انتقد فيه دالمبير الحظر الجنييفى للأعمال المسرحية. وشهد عام ١٧٦١ نشر روايته "إيلونيز الجديدة". ولم يظهر فى عام ١٧٦٢ كتابه الشهير "العقد الاجتماعى" فحسب، بل ظهر كتابه "إميل"، كتابه عن التربية. وتشاجر روسو مع ديدرو فى هذا الوقت. ووجد انسلاخه الحاسم عن "الفلسفة" تعبيرًا فى رسائله الأخلاقية، على الرغم من أنها لم تُنشر حتى عام ١٨٦١.

ونتيجة لنشر "العقد الاجتماعى" و "إميل" فى عام ١٧٦٢ اضطر روسو إلى اللجوء إلى سويسرا. غير أن رد الفعل على أعماله فى جنيف كان عدائياً أيضاً، وفى عام ١٧٦٣ تنازل عن مواطنته الجنييفية بصورة رسمية. وفى عام ١٧٦٥ رحل إلى برلين، غير أنه قرر فى الطريق أن يذهب إلى إنجلترا، وفى عام ١٧٦٦ عبر القناة مع ديفيد هيوم الذى قدم له ملجأ فى إنجلترا. ولا يمكن القول بأن زيارته كانت ناجحة تماماً. فقد كان يعانى من هوس الاضطهاد، وأصبح مقتنعاً بأن هيوم متواطئ مع أعدائه. وغضب هيوم غضباً شديداً خاصة؛ لأنه اهتم بتدبير معاش

(١) الصحيح أنه عاد إلى البروتستانتية التى ولد عليها (المراجع).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

٢ - "إنه مشهد نبيل وجميل أن نرى الإنسان ينتشل نفسه من العدم، إن جاز هذا التعبير، عن طريق مجهوداته الخاصة"^(١). وهذه الكلمات من بداية الجزء الأول من كتاب روسو "مقالات عن الفنون والعلوم". ومن الطبيعي أن نتوقع أن نجد أن هذه الكلمات يتبعها تفسير به ثناء على نعم الحضارة. ولو أن الدالمبير هو الذى كتبها، مثلاً، فإن توقعاتنا ستتحقق بدون شك. بيد أن الأمر لم يكن كذلك فى حالة روسو. إذ إنه يخبرنا فى الحال أن "العقل، والبدن أيضاً، لهما مطالبهما: ومطالب البدن هى أساس المجتمع، ومطالب العقل هى زخارفه"^(٢). ويمكن أن تؤخذ هذه الكلمات بمعنى غير ضار تماماً بالفعل، حتى لو بدت أنها تتضمن أن تحقيق كل المطالب اللا بدنية لا تعدو أكثر من زخرف غير أساسى للمجتمع. بيد أننا نعلم فى الحال أن الفنون، والأدب، والعلوم تلقى أكاليل من الزهور على السلاسل التى تنقل صدور الناس وتجهدا بالإحساس بالحرية التى يبدو أنهم يولدون من أجلها. إن هذه "الزخارف" تجعلهم يحبون عبوديتهم. "إن الضرورة ترفع من شأن العروش، والفنون والعلوم تجعلها قوية"^(٣).

وبذلك فإن الطريق مُعد لهجوم بليغ على ما يُسمى المجتمع المتحضر. وولفت روسو انتباهها خاصاً إلى زيف وتصنع الحياة الاجتماعية. والطبيعة البشرية فى كل صور المجتمع الأكثر بدائية قد لا تكون أفضل مما هى عليه الآن؛ بيد أن الناس كانوا مخلصين، وصرحاء. أما الآن "لقد نعد نظن أنه يبدو أننا كذلك بالفعل، بل إننا نكذب فى ظل تحكم مستمر"^(٤). إن حشداً من الناس يسلكون على حد سواء تماماً، إذا لم يتدخل دافع قوى للغاية، واختفت الصداقة المخلصة، والنقة الحقيقية.

(1) D.A., p. 130.

(2) Ibid.

(3) Ibid, p. 131.

(4) Ibid, p. 132.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الخليعة، وأدى إلى فرض السيطرة المقدونية. "لا تستطيع كل بلاغة ديموستين^(١) أن تنفخ الحياة في بدن أضعفه الترف والفنون"^(٢) ويمكننا، في مقابل ذلك، أن نأخذ بعين الاعتبار فضائل الفرس الأوائل، والسياسيين، إن لم نتحدث عن "بساطة"، وبراعة، وفضيلة^(٣) القبائل الجرمانية التي قهرت الرومان. ويجب علينا ألا ننسى إسبرطة، "الدليل الأبدى على غرور العلم ونقاهاته"^(٤).

ويخبرنا روسو في الجزء الثاني من كتابه "مقال عن الفنون والعلوم"، أن "علم الفلك ولد من خرافة وبلاغة الطموح، والكرهية، والكذب والتملق، وولدت الهندسة من الشح والبخل، وولدت الفيزياء من حب استطلاع غير مجد، وحتى فلسفة الأخلاق ولدت من الزهو الإنساني. وبذلك فإن الفنون والعلوم تدين بمولدها لردائنا"^(٥). لقد نشأت من الشر، وتؤدي إلى نتائج شريرة. إنها تنتج الترف، وتولد الوهن والضعف. لقد اندثرت فضائل الرومان العسكرية بقدر ما رعت الفنون الجميلة. وإذا "كانت رعاية العلوم ضارة بصفات عسكرية، فإنها أكثر ضرراً بصفات أخلاقية"^(٦). وتقدم تربية مغالٍ فيها تعلم كل شيء ما عدا النزاهة والاستقامة الأخلاقية. وتُجَل البراعة الأدبية، والفنية، والعلمية، لكن لا جزاء أو مكافأة على الفضيلة الأخلاقية. وفي نهاية "مقال عن العلوم والفنون" يذكرنا روسو بواقعة هي أنه يوجه كلامه إلى أكاديمية ديجون، وأنه يتنافس من أجل جائزة أدبية. ويجد أنه من المستحسن أن يقول شيئاً لصالح أشخاص مثل فرنسيس بيكون، وديكارت، ونيوتن "أولئك الذين هم معلمو البشرية"^(٧). بيد أنه يقابل هؤلاء العباقرة،

(١) ديموستين Demosthenes (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) خطيب وزعيم سياسي يوناني. يعتبر أعظم خطباء اليونان. ألقى عدة خطب ضد الملك فيليب المقدوني عُرفت بـ "الخطب الفيليبية". نفى من أثينا عام ٣٢٤ ق.م، ثم عاد إليها. تَجَرَّع السم عند سقوط أثينا حتى لا يقع في أيدي خصومه (المترجم).

(2) Ibid.

(3) Ibid, p. 135.

(4) Ibid, p. 136.

(5) Ibid, p. 140.

(6) D.A., p. 147.

(7) Ibid, p. 152.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الاجتماعية" في عام ١٧٥٠ أو عام ١٧٥١، الذى تخلى عنه مؤخراً بعد أن استخلص من ملاحظاته مادة كتابه "العقد الاجتماعى". ولما يستطيع فى هذه الحالة أن يقرر بجدية، حتى فى الوقت الذى ألف فيه كتابه "مقال عن العلوم والفنون"، أن المجتمع المتحضر شرير من حيث الجوهر حتى إنه يجب أن يُرفض تماماً. ومن الخطأ فى الوقت نفسه أن نستنتج أن روسو لم يكن مخلصاً فيما قاله عن الفنون والعلوم. لقد بقيت الفكرة العامة التى تقول إن نمو الحضارة المصطنعة، والعقلانية أفسدتا الإنسان، نقول لقد بقيت هذه الفكرة معه، حتى إننا إذا أردنا أن نحصل على صورة تكفى عن فلسفته، فإنه يجب علينا أن نوازنها بمذهبه الإيجابى عن الدولة ووظيفتها. إن هناك تغيراً معيناً فى موقفه فى كتاباته الأخيرة بالفعل، غير أنه لا يعادل ارتداداً كلياً عن أعماله المبكرة.

٣ - إذا افترضنا أن الحضارة المصطنعة قد أفسدت الإنسان، فما عساها أن تكون حالة الطبيعة، الحالة التى تخلص الإنسان منها؟ أعنى ما المعنى الإيجابى الذى يجب أن يرتبط بمصطلح "حالة الطبيعة"؟ لقد ناقش روسو هذا السؤال فى كتابه "مقال عن أصل التفاوت وأساسه بين الناس".

إننا لا نستطيع أن نشاهد حالة الطبيعة بالتأكيد؛ لأننا لا نعرف سوى الإنسان فى المجتمع. إن حالة الإنسان البدائية الحقيقية تقلت من البحث التجريبي. ومن ثم فإن تأويلنا لا بد أن يأخذ صورة تفسير افتراضى. "دعنا نبدأ، بالتالى، بالتخلى عن الوقائع؛ لأنها لا تؤثر على المسألة. إن البحوث التى قد نتعرض لها، فى معالجة هذا الموضوع، يجب ألا تُعد حقائق تاريخية، وإنما هى استدلالات افتراضية محض، نعتمد عليها فى تفسير طبيعة الأشياء بدلاً من أن نتيقن من أصلها الفعلى، مثل الفروض التى يكونها علماء الفيزياء يومياً عن العالم"^(١). ويعنى هذا من ناحية الممارسة أنه يجب علينا أن نعالج الإنسان كما نعرفه، ثم نستمد المواهب من كل ما

(1) D.I., Introduction, pp. 175-6.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لملكاته^(١). إن رغبات الحيوان لا تتجاوز رغباته الفيزيائية على الإطلاق. "إن الخيرات الوحيدة التي يدركها في الكون هي الطعام، والأنثى، والنوم، والشرور الوحيدة التي يخشاها هي الألم والجوع"^(٢).

يتصور روسو الإنسان "يتجول جيئة وذهاباً في الغابات، بدون صناعة، وبدون مأوى، بعيداً تماماً عن الحرب، وكل الروابط، ولا يحتاج إلى أقرانه، وليس لديه أى رغبة لإيذائهم أو إلحاق الضرر بهم"^(٣). ومن ثم فإن الإنسان يتصور بأنه يخلو من الحياة الاجتماعية، ولم يصل إلى مستوى الكمال بعد. فهل نستطيع أن نقول عن هذا الإنسان إنه يمتلك صفات أخلاقية؟ كلا، بيد أنه لا ينجم عن هذا أن الإنسان في حالة الطبيعة يمكن أن يوصف بأنه شرير. وليس من حقنا أن نستج أنه لما لم يكن لدى الإنسان في حالته الأكثر بدائية فكرة عن الخيرية، فإنه شرير وسيئ بالتالى. كما أنه لما لم يكن هناك شيء "ملكى ويخصنى أنا" وشيء "ملكك ويخصك أنت"، فإنه لا تكون هناك مفاهيم واضحة عن العدالة، والظلم، بيد أنه لا ينجم عن ذلك أنه في عدم وجود هذين المفهومين، لابد أن يسلك الناس بطريقة عنيفة وقاسية. إن صورة هوبز عن حالة الطبيعة من حيث إنها حالة حرب الكل ضد الكل ليس لها ما يبررها. لقد كان محقاً في القول إن حب الذات هو الدافع الأساسى، بيد أن حب الذات، بمعنى الدافع إلى الحفاظ على الذات، لا يتضمن بذاته السوء والعنف. لقد انتبه الفرد قليلاً إلى أقرانه في البداية، وعندما فعل ذلك، أصبح الشعور الطبيعى، أو الفطرى بالشفقة نافذاً وفعالاً. إنه يسبق كل تأمل، وحتى الحيوانات تظهره أحياناً. وسأعود إلى موضوع الشفقة الطبيعية هذا، وإلى علاقته بحب الذات في القسم الختاسى من هذا الفصل. ويكفى في الوقت نفسه أن نلاحظ أن الإنسان في الحالة البدائية للطبيعة كما يتصوره روسو خير ، وحتى إذا لم يوصف بأنه خير بمعنى أخلاقى أكثر دقة، فإن الأخلاق هي ببساطة تطویر لمشاعره

(1) Ibid, P. 183.

(2) Ibid, P. 188.

(3) Ibid, P. 203.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

خاصة هي تأسيس الملكية الخاصة. "إن الإنسان الأول الذى حوَّط قطعة من الأرض، يذكر نفسه بالقول هذا ملكى، ويجد ببساطة أن الناس يصدقونه إلى حد كبير، إنه هو المؤسس الحقيقي للمجتمع المدنى"⁽¹⁾. لقد أدخلت الملكية، واختفت المساواة، وأصبحت الغابات حقولاً تبتسم، ونشأت العبودية والبؤس مع المحاصيل. "إن علم المعادن والزراعة هما الفنان اللذان أنتجا الثورة العظيمة"⁽²⁾. كما ظهر التمييز بين العدالة والظلم. بيد أن هذا لا يعنى أن الناس أفضل مما كانوا عليه فى حالة الطبيعة. "إن صنوف الاغتصاب بالقوة عن طريق الأغنياء، والسرقعة عن طريق الفقراء، وانفعالات الأغنياء والفقراء التى يُطلق لها العنان، تفوق صيحات الشفقة الطبيعية، والصوت الضعيف للعدالة، وتملأ الناس بالشح والبخل، والطموح، والرذيلة... وبذلك فإن حالة المجتمع المولود حديثاً تؤدي إلى حالة مرعبة ومخيفة من الحرب"⁽³⁾. وبمعنى آخر، الملكية الخاصة هي نتيجة انتقال الإنسان من حالة البساطة البدائية، وتجلب ضروراً لا حصر لها معها.

لقد رأينا أن حالة الطبيعة البدائية عند روسو لا تناظر حالة الطبيعة عند هوبز؛ فهي ليست الحالة التى يكون فيها الإنسان ذنباً بالنسبة لأخيه الإنسان. بيد أن صورة المجتمع التى وصفناها تَوْأ يشبهها روسو بحالة حرب، ومن هذه الناحية فإنها تشبه حالة الطبيعة عند هوبز، على الرغم من أنها لا تشبهها فى نواح أخرى هامة. فالتميزات الأخلاقية مثلاً تنشأ عند روسو فى حالة المجتمع المدنى الذى يسبق تكوين المجتمع السياسى⁽⁴⁾، فى حين أن التميزات الأخلاقية عند هوبز تتبع التعهد بالفعل الذى عن طريقه يتأسس المجتمع السياسى والحكومة.

وإذا سلمنا بعدم الأمن والشرور الأخرى التى تلازم تأسيس الملكية الخاصة وتطورها، فإن تأسيس المجتمع السياسى، والحكومة، والقانون سيكون نتيجة

(1) Ibid, P. 207.

(2) D.L., P. 215.

(3) Ibid, P. 219.

(4) ميّز هيجل فى القرن التالى بين المجتمع المدنى والدولة (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

السياسي"^(١). ويرجع هذا، أساساً، إلى تطور ملكاتنا، و "يستمر ويكون مشروعاً عن طريق تأسيس الملكية والقوانين"^(٢). إننا نستطيع أن نقول، أيضاً، إنه عندما لا يناسب التفاوت الطبيعي أو الفيزيائي، فإنه لا يتفق مع الحق الطبيعي. فمن الخطأ مثلاً أن "الأقلية التي تتمتع بامتيازات خاصة تحرم نفسها من الكماليات بينما تكون الكثرة التي تموت جوعاً في حاجة إلى أقل القليل من ضروريات الحياة"^(٣). وعندما نصل إلى الاستبداد، فإننا نعود حيث بدأنا، إن جاز هذا التعبير. إذ يرجع الأشخاص، الذين يرتدون كلهم إلى عبيد، إلى المساواة الأولى. ولما لم يكن حاكمهم مقيداً، فإن مبادئ المساواة والتمييزات الأخلاقية تختفى. إن الناس يرتدون بالتالي إلى حالة الطبيعة. على الرغم من أنها تختلف عن حالة الطبيعة الأصلية. لأن حالة الطبيعة الأصلية هي حالة البراءة، والبساطة، بينما الحالة الثانية هي نتيجة الفساد.

يقترح روسو، كما رأينا، أن يبدأ كتابه "مقال عن التفاوت" بطرح الوقائع جانباً واستبعادها، ويتطوّر فرض ما، أعني تفسيراً افتراضياً لأصل التفاوت. وبناءً على فرضه فإنه لا يمكن أن نعزو التفاوت الأخلاقي أو السياسي إلى تطوّر الملكات الإنسانية فحسب، وإنما إلى تأسيس الملكية الخاصة أولاً، ثم تأسيس المجتمع السياسي، والحكومة، والقانون. ويكون لدينا في النهاية نقيض حاد بين الخيرية الطبيعية، وبساطة الإنسان البدائي من جهة، وفساد الإنسان المتحضر، وشرور المجتمع المنظم من ناحية أخرى. وفي الوقت ذاته يُعد إمكان بلوغ الكمال أحد الصفات التي تميز الإنسان عن الحيوان. ومن ثم يمكننا أن نفهم الاعتراض الذي أثاره "شارلز بونيه" Charles Bonnet (١٧٢٠ - ١٧٩٣)، الذي كتب تحت اسم مستعار هو "فيلوبوس"، وهو أنه إذا كان إمكان بلوغ الكمال صفة طبيعية للإنسان، فإن المجتمع المتحضر سيكون طبيعياً. وليس هذا هو الاعتراض الوحيد على الإطلاق الذي يمكن أن يثار ضد كتاب "مقال عن التفاوت".

(1) D.I. P. 174.

(2) Ibid. P. 238.

(3) Ibid.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وعندما يتذكر المرء أن كتاب "مقال عن الاقتصاد السياسي" كتب عن نفس الفترة مثل كتاب "مقال عن التفاوت"، بل وحتى ربما قبل هذا الكتاب، فإنه قد يندمش للفرق أو الاختلاف في الأسلوب والنفمة بين العاملين. بيد أنه يبدو، كما ذكرنا في القسم الثاني من هذا الفصل، أن روسو كَوّن أفكارًا إيجابية عن الدولة قبل أن يشترك في المنافسة للحصول على الجائزتين اللتين قدمتهما أكاديمية ديجون بكتابة مقالات بلاغية عن موضوعات معينة. لقد نوقشت الأفكار عن حالة الطبيعة، وعن الانتقال إلى المجتمع المنظم، وتظهر نظرية المجتمع السياسي من حيث إنه يقوم على عقد في كتاب "مقال عن التفاوت"، غير أنه لم يكن القصد من كتابي "مقال عن العلوم والفنون" و"مقال عن التفاوت" أن يكونا مقالًا منظمًا عن النظرية السياسية. ثم نجد في كتاب "مقال عن الاقتصاد السياسي" وصفًا مجملًا لنظرية الإرادة العامة. ويعطى هذا العمل بالفعل، انطباعًا هو أنه يرتبط بروح كتاب "العقد الاجتماعي" أكثر من ارتباطه بكتابه "مقال عن العلوم والفنون" و"مقال عن التفاوت"، غير أنه لا يفترض أن روسو هو أول من تصور مفهوم الإرادة العامة.

ولنعد إلى نظرية الإرادة العامة. إذا أخذنا جماعة معينة بداخل الدولة، جماعة دينية مثلاً، فإن هذه الجماعة تمتلك إرادة تكون عامة بالنسبة لأعضائها؛ أعني أنها تمتلك إرادة مشتركة تنجبه إلى تحقيق غايات الجماعة. غير أن هذه الإرادة تكون خاصة إذا نظرنا إليها بالنسبة لإرادة الدولة العامة. ومن ثم فإن الخيرية الأخلاقية تتضمن توحيدًا لإرادة المرء الخاصة بالإرادة العامة. وينجم عن هذا، بالتالي، أن شخصًا قد يكون عضوًا خيرًا في جماعة دينية ما مثلاً، بيد أنه يكون مواطنًا سيئًا. وعلى الرغم من أن إرادته قد تكون على وفاق مع إرادة الجماعة الدينية العامة، فإن هذه الإرادة العامة قد تختلف عن إرادة الدولة العامة التي تضم الجماعة الدينية بداخلها.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ما الذى نعينه بالإرادة العامة؟ ثمة ميل طبيعى لتفسير ما يذهب إليه روسو وهو أنه يوحد الإرادة العامة المعصومة من الخطأ بصوت الشعب من حيث إنه يتم التعبير عنه بالتصويت فى المجلس. غير أنه لا يقوم بهذا التوحيد. إن هذه المجالس العامة للشعب كله فى دولة كبيرة غير قابلة للتنفيذ، غير أنه حتى عندما يكون المجلس العام قابلاً للتنفيذ "فإنه ليس مؤكداً على الإطلاق أن قراره سيكون التعبير عن الإرادة العامة"⁽¹⁾. فبال تأكيد، إذا تحدث المرء عن إرادة عامة شبه وهمية للدولة، تحتاج إلى تعبير واضح، فإنه يميل، لا محالة، إلى أن يوحد بينها وبين قرار السلطة التشريعية المعبر عنه، أو يوحد بينها وبين إرادة بعض الناطقين بلسان الشعب المعبر عنها. وهذا الميل موجود عند روسو بالتأكيد. وقلما يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك، إذا سلمنا بمقدماته. غير أنه لا يعدو أن يكون سوى ميل، أى أنه ليس موقفاً يقبله بصورة رسمية. فهو يقر بوضوح على سبيل المثال بأن قراراً فعلياً للسلطة التشريعية صاحبة السيادة قد يخفق فى أن يكون تعبيراً صادقاً عن الإرادة العامة، فقد يكون تعبيراً عن مصالح خاصة تسود وتهيمن لسبب أو لآخر بصورة خاطئة. فالقول مثلاً إن الإرادة العامة هى معيار ما هو عادل ومنصف وما هو جائز وظالم لا يعنى القول بالتالى إن نقداً لقوانين الدولة على أساس الظلم ممكن. وهذا هو سبب لماذا يمكن أن يقول روسو إن الواجب الأول للمشروع هو أن يجعل القوانين تتفق مع الإرادة العامة، وإنه من الضروري ألا نفعل بعدالة (لا بالتقيد بأننا نتبع الإرادة العامة. وتفترض هذه الأقوال بوضوح أن القانون ليس هو بالضرورة أو بصورة حتمية التعبير الحقيقى عن الإرادة العامة، وأن القرارات العامة لمجلس عام ليست بمنأى عن نقد أخلاقى.

وإذا تحدثنا عن كتاب "مقال عن الاقتصاد السياسى"، فإن روسو يفترض بوضوح أن هناك شيئاً أسمى من الدولة. لقد رأينا، كما يرى، أنه كلما كانت الإرادة أكثر عمومية، فإنها تكون أكثر عدلاً وإنصافاً أيضاً. ويمكن أن نقول، من ثم، كما

(1) Ibid.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

"بالفعل". وبذلك فإن الإنسان بطاعته للقانون يطيع عقله وحكمه، ويتبع إرادته الفعلية. وعندما يتبع المرء حكمه الخاص وإرادته يكون حراً. وبذلك فإن المواطن المطيع هو الإنسان الحر بحق؛ لأنه يطيع قانوناً يعبر عن إرادته الحقيقية. وهذه الفكرة ذات أهمية ملحوظة في الفلسفة المتأخرة.

ومن ثم فإننا نجد في "مقال عن الاقتصاد السياسي" الذي يختلف، كما لاحظنا من قبل، في الأسلوب والنغمة بصورة مدهشة عن "مقال عن العلوم والفنون" و"مقال عن التفاوت"، بياناً مؤكداً لنظرية العقد الاجتماعي الأكثر دلالة وأهمية، أعنى أننا نجد بياناً مؤكداً للإرادة العامة. وتؤدي النظرية إلى صعوبات ومشكلات ملحوظة، بيد أن مناقشة أخرى وأبعد توجّل إلى الفصل القادم. ومع ذلك فإن النتيجة الختامية لهذا الفصل قد تساعد في إلقاء ضوء قليل جداً على رؤية روسو العامة.

يعالج روسو في الصفحات الأخيرة من كتابه "مقال عن الاقتصاد السياسي" موضوع فرض الضرائب. وهو يرى أن النظام الأكثر إنصافاً لفرض الضرائب، ومن ثم النظام الملائم بصورة أفضل لمجتمع أناس أحرار، هو ضريبة الرءوس على مقدار الملكية التي يمتلكها الإنسان زيادة على ضروريات الحياة. ولا يدفع أولئك الذين لا يمتلكون ضروريات الحياة شيئاً على الإطلاق. أما بالنسبة للمواطنين الآخرين، فيجب أن تُفرض عليهم الضريبة، ليس بمعدل بسيط على الملكية التي تُفرض عليها الضريبة، وإنما بمعدل مركب على اختلاف أحوالهم، وفائض ممتلكاتهم. إنه من العدل تماماً كلما كان الشخص أكثر ثراءً وغنى، فإنّه يدفع ضريبة أكبر؛ لأن الأثرياء يستمدون مزايا عظيمة من العقد الاجتماعي. إن المجتمع يحمي ممتلكاتهم ويتيح لهم إمكان الحصول على مراكز مربحة من السمو والسلطة. إنهم يتمتعون بمزايا كثيرة لا يتمتع بها الفقراء. وبذلك، كلما كان الشخص غنياً، ويحصل على الكثير من الدولة، إن جاز هذا التعبير، تُفرض عليه ضريبة تناسب ثراءه. كما أن هناك ضرائب باهظة على كل وسائل الترف

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بيد أن هذا الانفعال الأساسى الخاص بحب الذات يجب ألا يختلط بالأنانية؛ لأن الأنانية شعور لا ينشأ إلا فى المجتمع، ويدفع الإنسان إلى أن يفضل نفسه على الآخرين باستمرار. "ولا توجد الأنانية فى حالة الطبيعة"^(١)؛ لأن الإنسان البدائى لا يقوم بالمقارنات المطلوبة لتكون الأنانية ممكنة. إن حب الذات، إذا نظرنا إليه فى ذاته، "خير باستمرار، ويتفق مع نظام الطبيعة باستمرار"^(٢). يقول روسو فى خطابه إلى رئيس الأساقفة فى باريس إن حب الذات هو "انفعال لا يكثر بالخير والشر؛ فهو لا يصبح خيراً أو شراً إلا بالمصادفة، ووفقاً للظروف التى يتطور فيها"^(٣). بيد أنه سواء وُصف بأنه خير أو مبتدل، فإنه ليس شريراً بالتأكيد، ولا يتوحد بما يوصف بأنه أنانية.

كما يوصف الإنسان البدائى بأنه يتحرك عن طريق شفقة طبيعية، يصفها روسو بأنها "انفعال الطبيعة المحض، الذى يسبق كل أنواع التأمل"^(٤). ولا يصبح هذا الشعور نافذاً إلا عندما يهتم الإنسان بأقرانه بمعنى ما، بيد أنه لا يستدل على إمكان الرغبة فى الشفقة، بل إنه يشعر بأنها دافع طبيعى.

وقد يبدو أحياناً أن روسو يشير إلى أن الشفقة شعور، أو انفعال يختلف عن حب الذات، ومستقل عنه أصلاً. وبذلك فإنه يتحدث عن الشفقة بأنها "شعور طبيعى يشارك فى حفظ النوع كله، بتخفيف عنف حب الذات فى كل فرد"^(٥). ويستمر ليضيف أن الشفقة فى حالة الطبيعة المفترضة تقوم مقام القوانين، والأخلاق، والفضائل. بيد أنه على الرغم من أننا نستطيع أن نميز بين حب الذات، والشفقة، فإن الشفقة مشتقة أو مستمدة من حب الذات بالفعل. ويخبرنا روسو فى كتابه "إميل" بأن "العاطفة الأولى للطفل هى حب الذات، وعاطفته الثانية، المستمدة منها،

(1) D.I., P. 197, note 2.

(2) E., IV, P. 174.

(3) Œuvres, 1865. III, P. 647.

(4) D.I., P. 198.

(5) D.I., P. 199.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثانى فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثانى فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

أن الإنسان يمتلكها. ماذا عساه أن يكون الكرم، والرحمة، والشفقة سوى الشفقة التي تنطبق على الضعيف، وعلى المذنب، وعلى البشر بوجه عام؟⁽¹⁾. ويقوم الضمير، كما رأينا، على حب الذات كما يوجد في الإنسان من حيث إنه موجود ذكي، أو عاقل.

إذا اعتمدت حياتنا الأخلاقية كلها على دوافعنا الأساسية، أو انفعالاتنا فلن يكون من المدهش أن نجد أن روسو يهاجم أولئك الذين يرون أن التربية الأخلاقية تكمن في استئصالها. "إن انفعالاتنا هي الوسيلة الأساسية للمحافظة على الذات، ومحاولة استئصالها وتدميرها هو، بالتالي، خلف محال مثلما أنه عديم الجدوى، وسيكون ذلك قهراً للطبيعة، وتشكيل صنع الله من جديد"⁽²⁾. إن التطور الأخلاقي يكمن، في واقع الأمر، في التوجيه الصحيح، وتوسيع انفعال حب الذات الأساسي. "مَدَّ حب الذات إلى الآخرين، فإنه يتحول إلى فضيلة؛ فضيلة تكون جذورها في قلب كل واحد منا"⁽³⁾. إنه في إمكان حب الذات أن يتطور إلى حب كل البشر، وتحقيق السعادة العامة للذين هما هم كل إنسان فاضل بالفعل.

وبذلك فإن الأخلاق هي التطوير المباح لانفعالات الإنسان الطبيعية ومشاعره. والرذيلة ليست طبيعية للإنسان؛ فهي تشويه لطبيعته. "إن انفعالاتنا الطبيعية قليلة في العدد، وهي الوسيلة للحرية، ونميل إلى المحافظة على الذات. وكل تلك الانفعالات التي تستعبدنا، وتحطمنها لها مصدر آخر، والطبيعة لا تمنحنا إياها، نحن نمتلكها رغماً عنها"⁽⁴⁾. فنشأة الحضارة قد جعلت رغبات الإنسان وحاجاته كثيرة مثلاً، وقد أدى ذلك إلى الأنانية، وإلى "انفعالات بغيضة وساخطة". وبالتالي من السهل أن نفهم إصرار روسو على أن السذج والبسطاء، أولئك الذين هم أكثر قرباً من الطبيعة، والذين أفسدت الحضارة الاصطناعية مشاعرهم

(1) D.I., P. 199.

(2) E., IV, P. 173.

(3) Ibid, P. 215.

(4) Ibid, P. 173.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الواقعة وجود العقل الإلهي بوضوح. "دعنا ننصت إلى صوت الشعور الداخلي، فما هو العقل السليم الذي يمكن أن يرفض الدليل على وجوده؟"^(١). "ومن ثم فإنني أعتقد أن العالم تحكمه إرادة حكيمة وقوية، إنني أراها ولا أشعر بها، وإنه لشيء عظيم أن نعرف ذلك"^(٢). "إنني أرى الله في كل مكان في أعماله. إنني أشعر به بداخلي"^(٣). كما أنني أعرف أنني موجود حر ونشط. "ومن العبث أن تجادلني في هذه المسألة؛ لأنني أشعر بها، وهذا هو الشعور الذي يحدث إلى بصورة أقوى من العقل الذي يشك فيها"^(٤).

لقد رأينا أن الأخلاق تتطور عندما يبدأ الإنسان في إدراك علاقاته بأقرانه. وفي إمكان روسو أن يقول بالتالي: "إنه لا بد من دراسة المجتمع في الفرد، ولا بد من دراسة الفرد في المجتمع. ولا يستطيع أولئك الذين يريدون أن يعالجوا السياسة والأخلاق بمعزل عن بعضهما البعض أن يفهموا أيًا منهما"^(٥). وإذا لم يعرف المرء سوى العقد الاجتماعي، فإنه قد يميل إلى تفسير هذا القول بأنه يعني أن التمييزات الأخلاقية تُحسم ببساطة عن طريق الإرادة العامة التي يتم التعبير عنها في التشريع الإيجابي. بيد أنه ينبغي علينا أن ننتبه إلى الجزء الأول من القول؛ وهو أنه يجب دراسة المجتمع في الفرد.

إن ما قلناه يبين بالتالي أن الطبيعة نفسها، كما يرى روسو، توجه إرادتنا إلى خير الإنسان وصالحه. غير أننا ليست لدينا فكرة فطرية عن هذا الخير. وبذلك نستطيع أن نكون أكارًا خاطئة عنه. وبالتالي ليس هناك ما يضمن أن ما يتصوره المواطنون الأفراد، حتى عندما يجتمعون معًا في مجلس، أنه يكون من أجل الخير أو الصالح العام، يكون بالفعل من أجل الخير أو الصالح العام. وهناك في الوقت

(1) E., IV, P. 237.

(2) Ibid, P. 239.

(3) Ibid.

(4) Ibid, P. 242.

(5) Ibid, P. 197.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل الرابع

روسو (٢)

العقد الاجتماعي - السيادة - الإرادة العامة والحرية

- الحكومة - ملاحظات ختامية.

١ - يصوغ روسو المشكلة الأولى التي يهتم بها في كتابه "العقد الاجتماعي" بهذه الكلمات: "ولد الإنسان حرًا، إلا أنه مكبل في كل مكان بالأغلال. على ذلك النحو يتصور نفسه سيد الآخرين الذي لا يعدو أن يكون أكثر عبودية منهم. فكيف جرى هذا التغيير؟ لا أعرف. وما الذي يمكنه أن يجعله شرعيًا؟ أعتقد أنني أستطيع حل هذه المسألة"^(١). بعد أن سلّم روسو بحالة الطبيعة الأصلية التي يكون الناس فيها أحرارًا، كان مجبرًا إما أن يدين النظام الاجتماعي الذي لم تعد فيه حرية الإنسان البدائي موجودة، ويقول إنه يجب على الناس أن يتخلصوا من قيودهم بقدر الإمكان، أو أن يبرره على نحو ما. والبدل الأول باطل؛ لأن "النظام الاجتماعي حق مقس؛ فهو بمثابة الأساس لجميع الحقوق الأخرى"^(٢). وبذلك كان روسو مجبرًا على أن يبين أن النظام الاجتماعي له ما يبرره ومشروع.

(1) S.C., I, 3. p. 5.

(2) Ibid.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

عندما ننظر إليه على أنه إيجابى، ويُسمى قوة عندما نقارنه بكميات أخرى مشابهة. ويُسمى أعضاؤه الشعب عندما ننظر إليهم بصورة جمعية، بينما يُسمون مواطنون عندما ننظر إليهم بصورة فردية، من حيث إنهم يشاركون فى السلطة صاحبة السيادة، ويُسمون رعايا من حيث إنهم يخضعون لقوانين الدولة.

وتختلف نظرية العقد الاجتماعى هذه بوضوح عن نظرية هوبز. فوفقاً لنظرية هوبز يتفق الأفراد على أن يتنازلوا عن حقوقهم لصاحب سيادة يكون خارجاً عن العهد، أى إنه لا يكون طرفاً فيه. وبذلك تؤسس الحكومة عن طريق نفس الاتفاق الذى يخلق مجتمعاً منظماً؛ فوجود الدولة يعتمد، فى واقع الأمر، على علاقتها بصاحب السيادة الذى قد يكون، بالفعل، مجموعة وليس فرداً، بيد أنه يتميز عن الأطراف المتعاقدة. ومع ذلك فإن العقد الأصلى فى نظرية روسو يخلق صاحب سيادة يتوحد مع الأطراف المتعاقدة التى تؤخذ بصورة جمعية، ولا يُقال أى شىء على الإطلاق عن الحكومة. فالحكومة، كما يرى روسو، هى ببساطة سلطة تنفيذية تعتمد فى سلطتها على المجموعة صاحبة السيادة، أو على الدولة. إن مشكلة هوبز هى مشكلة تماسك أو تلاحم اجتماعى. وإذا سلّمنا بوجهة نظره عن الإنسان، وعن حالة الطبيعة، فإنه يُواجه بمهمة إيجاد قوة فعالة موازية لقوى الطرد المركزية فى الطبيعة الإنسانية. أو إنه بصورة أكثر وضوحاً يُواجه بمشكلة إيجاد علاج فعال لشر المجتمع الجسيم؛ وهو الحرب الأهلية. وقد وجد الحل فى حكومة مركزية؛ أعنى فى نظرية عن السيادة التى تشدد، بوجه خاص، على مكانة الحكومة. ولما كان قد قبل فرض حالة الطبيعة، فإنه كان ملزماً بأن يدمج تشديده على الحكومة فى تفسيره للعهد الذى يتم بواسطة الانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة المجتمع المنظم. أما المشكلة عند روسو فهى مختلفة. فإذا سلّمنا بإصراره على الحرية، وسلّمنا برغبته فى أن يبين أن الانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة المجتمع المنظم ليس إحلال العبودية محل الحرية من أجل أمن محض، فإنه يشعر أنه مجبر على أن يبين أن صورة من الحرية فى المجتمع تُكتسب بصورة أُسمى

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الثانى هو أن الإنسان، الخير بطبيعته، يكتسب أفكاراً أخلاقية، وصفات أخلاقية بالمعنى الدقيق عند امتلاك تدريجى للتطور الذى يسبق فيه المجتمع المدنى، بمعنى الروابط الاجتماعية الواسعة، تكوين مجتمع سياسى منظم. أما فى كتاب "العقد الاجتماعى" فإن روسو يتحدث كما لو كان الإنسان ينتقل فى الحال من حالة لا أخلاقية إلى حالة أخلاقية عن طريق تأسيس المجتمع السياسى. "إن الانتقال من حالة الطبيعة إلى الحالة المدنية يحدث تغييراً بارزاً فى الإنسان باستبداله العدالة فى مسلكه بالغريزة، وبإضافته على أفعاله الأخلاقية التى كانت تنقصها فيما مضى"⁽¹⁾. إن الدولة تصبح مصدر العدالة وأساس الحقوق. كما أنه قد لا يوجد هنا تناقض حاد. فالعقد الاجتماعى لا يعدو أن يكون شيئاً سوى اختلاق فلسفى، على حد تعبير هيوم، ونستطيع، إذا شئنا، أن ننظر إلى روسو على أنه يقوم بتمييز نظرى أو منطقى، وليس نظرياً بين الإنسان فى المجتمع والإنسان منظوراً إليه بالتجريد من المجتمع. إن الإنسان من حيث إنه فرد منعزل، وليس شريكاً فى ذاته، ليس موجوداً أخلاقياً بصورة ملائمة؛ إذ إن حياته العقلية والأخلاقية لا تتطور إلا بداخل المجتمع فقط. وهذا ما يقوله روسو أساساً فى كتابه "مقال عن التفاوت". وفى نفس الوقت هناك تغير فى الأسلوب والنغمة. ويمكن تفسير هذا التغير فى الأسلوب والنغمة عن طريق اختلاف الغرض إلى حد كبير. فقد اهتم روسو فى كتابه "مقال عن التفاوت" بأصول التفاوت، ويعزو إلى تأسيس المجتمع أصل ما يسميه "التفاوت الأخلاقى أو السياسى". إن التشديد هنا على التفاوت، كما يُشار إليه عن طريق عنوان كتاب "مقال عن التفاوت". واهتم روسو فى كتابه "العقد الاجتماعى" بالمنافع التى يحصل عليها الإنسان من تأسيس المجتمع، مثل الإرساء لحرية "طبيعية" مدنية وأخلاقية. لكن على الرغم من أنه يمكن تفسير التغير فى الأسلوب والنغمة عن طريق اختلاف الغرض إلى حد كبير، فإنه موجود على الرغم من ذلك، إن جانباً جديداً وهاماً من جوانب نظرية روسو السياسية يظهر فى كتابه "العقد الاجتماعى".

(1) S.C., I, 8. p. 18.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

"لا يوجد ولا يمكن أن يوجد أى نوع من القانون الأساسى يعتبر ملزماً لهيئة الشعب - ولا حتى العقد الاجتماعى نفسه"^(١). كما أنه "ليس هناك قانون أساسى فى الدولة لا يمكن إبطاله حتى ولا العهد الاجتماعى نفسه؛ لأنه إذا كان كل المواطنين يجتمعون لنقض هذا العهد باتفاق مشترك، فلا يمكننا أن نشك بأنه قد نُقض بصورة مشروعة تماماً"^(٢) وإذا أخذنا الأفراد منفردين، فإن روسو يرجع إلى فكرة "جرتيوس" التى تقول إن كل واحد يستطيع أن يعدل عن الدولة التى هو عضو فيها، ويسترد حريته الطبيعية بخروجه من البلد. ويبدو أنه يؤكد هذا الرأى بإضافة القول "من السخف ألا يستطيع المواطنون جميعاً مجتمعين أن يفعلوا ما يستطيع أن يفعله كل واحد منهم منفرداً"^(٣). (يضيف روسو ملاحظة يقول فيها إن الهروب من البلد للتملص من الواجبات فى اللحظة التى يكون فيها المرء فى حاجة إليه هو جريمة وفعل يستحق عليه العقاب). وهو يرى أنه طالما أن العقد الاجتماعى يوجد موجوداً أخلاقياً جديداً، فإن هذا الموجود يستمر فى الوجود، على الرغم من الواقعة التى تقول إن بعض الأفراد يموتون، ويولد أفراد جدد، إذا لم يحل الأفراد بصورة جمعية العقد فى مجلس من مجالسهم الدورية. إن العضوية فى الدولة لا تؤثر على الوجود المستمر للمجلس من حيث إنه موجود أخلاقى.

٢ - لقد رأينا أن العقل العام الذى يتشكل، كما يرى روسو، عن طريق اتحاد الأفراد بواسطة العقد الاجتماعى يُسمى صاحب السيادة عندما ننظر إليه على أنه إيجابى. وهذا يعنى أن صاحب السيادة هو هيئة الشعب كلها من حيث إنها مشرعة، ومن حيث إنها مصدر القانون. ومن ثم فإن القانون هو التعبير عن الإرادة. ويستطيع روسو أن يقول،

(1) S.C., I, 7, p. 17.

(2) S.C., III, 18, p. 89.

(3) Ibid.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إن السيادة لا تتجزأ للسبب نفسه؛ لأن الإرادة، التى تسمى ممارستها سيادة، هى الإرادة العامة، ولا يمكن لهذه الإرادة أن تتجزأ. فم بتجزئتها، فإنه لن يكون لديك سوى إرادات خاصة، ولن يكون لديك بذلك سيادة. إننا لا نستطيع أن نقسمها إلى سلطات متنوعة مثل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية. إن السلطة التنفيذية، أو الحكومية ليست هى صاحبة السيادة، وليست جزءاً منها؛ فهى تهتم بإجراء القانون، وهى مجرد أداة لصاحب السيادة. ومن ثم فإن صاحب السيادة هو، كما يرى روسو، المشرع، وهذا المشرع هو الشعب، وقد يكون صاحب السيادة اسمًا فى دولة معينة شخصًا، أو أشخاصًا غير الشعب؛ بيد أن صاحب السيادة الحقيقى هو الشعب دائماً. ولا داعى للقول إن روسو لا يعنى "بالشعب" طبقة ما فى الدولة، من حيث إنها تتميز عن طبقة أخرى، أو عن الطبقات الأخرى، بل إنه يعنى به هيئة المواطنين كلها. كما أننا قد نلاحظ أنه يستخدم كلمة "مشرع" بمعنى فنى خاص به هو؛ فهو يعنى بها شخصًا يسن القوانين، كما يقال إن "ليكورجوس"^(١) شرع القوانين للإسبرطيين. بيد أن المشرع بهذا المعنى لا يمتلك سلطة صاحب السيادة بالتأكيد. إذ إن وظيفته استشارية، أو تنويرية؛ بمعنى أن مهمته هى أن ينور الشعب صاحب السيادة حتى يفعل وفق فكرة واضحة عما تكون المصلحة العامة بالفعل هنا والآن.

إن السيادة هى، من ثم، ممارسة الإرادة العامة، وصاحب السيادة هو الشعب، الذى تكمن فيه الإرادة. لكن ماذا تعنى الإرادة العامة؟

إن الإغراء الطبيعى هو، بالتأكيد، أن نفهم مصطلح "الإرادة العامة" فى علاقته بالذات التى تريد؛ أعنى الشعب صاحب السيادة، أى أن نفهم هذا المصطلح فى وظيفته التشريعية. ومن ثم فإننا قد ننقاد بسهولة إلى الاعتقاد أن الإرادة العامة

(١) ليكورجوس: مشرع إسبرطة فى القرن التاسع قبل الميلاد. وتقول الأسطورة إنه تلقى فى معبد دلفى الأوامر التى جعلها أساساً لتشريعته التى جاء فيها إن حماية الدولة لا تكون إلا بقامة الأسوار العالية، وإعداد سور بواسطة الرجال الأقوياء. عملت إسبرطة بتشريعاته لأكثر من سبعة قرون (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إن "إرادة الجميع" ليست معصومة من الخطأ، بالتالي؛ "الإرادة العامة" هي وحدها المعصومة من الخطأ وهي سديدة باستمرار. ويعنى هذا أنها تتجه إلى الخير أو الصالح العام باستمرار. وأعتقد أنه جلى أن روسو مدّ تصوره للخيرية الطبيعية للإنسان إلى الموجود الأخلاقى الجديد الذى ينشأ عن طريق العقد الاجتماعى. إن الفرد، الذى يدفعه حب الذات (الذى لا يتوحد بالأناية بمعنى تقييى أخلاقى) يبحث بطبيعته عن خيره الخاص، بيد أنه لا ينجم عن هذا بالضرورة أن تكون لديه فكرة واضحة عن طبيعته الحقيقية^(١). كما أن "العقل العام" الذى يوجده العقد الاجتماعى يبحث عن خيره الخاص لا محالة، وأعنى به الخير العام المشترك. غير أن الناس لا يفهمون باستمرار، أين يكمن خيرهم الحقيقى. وبذلك فإنهم يحتاجون إلى التتوير حتى يمكنهم أن يعبروا عن الإرادة العامة بصورة ملائمة.

دعنا نفترض من أجل الحجة أنه من المعقول أن نتحدث عن الدولة من حيث إنها كيان أخلاقى لديه القدرة على الإرادة. فإذا قلنا إن إرادتها، أعنى الإرادة العامة، سديدة باستمرار، وإذا ميزنا بين هذه الإرادة وإرادة الجميع منظورياً إليها على أنها مجموع الإرادات الخاصة، فإن القول إن الإرادة العامة لا تخطئ لا يؤدى بنا إلى القول بأن كل قانون يوافق عليه المجلس الشعبى هو بالضرورة القانون الأكثر توصيلاً للنفع العام فى ظروف معينة. إنه لا يزال هناك مجال لنقد ممكن له ما يبرره. ويمكننا فى الوقت ذاته أن نعرض أنفسنا لخطر الارتداد إلى تحصيل حاصل؛ لأنه إذا قلنا إن الإرادة العامة سديدة باستمرار، وإذا كنا نعى بذلك أن الإرادة العامة تتجه إلى الصالح أو الخير العام باستمرار، فإن السؤال يثار عما إذا كنا نقول شيئاً أكثر من القول إن الرغبة فى الصالح أو الخير العام هي الرغبة فى الصالح أو الخير العام، وإذا كان هذا هو ما نعى، فإننا نعرف الإرادة العامة عن طريق هدف عام وكلى، وهو الصالح أو الخير العام، أو المصلحة. ومن

(١) يمكن أن نقارن ذلك بالنظرية الإسكولائية التى تقول إنه مهما أراد الإنسان، فإنه يريد ما يبدو له خيراً (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثانى فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثانى فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

التفكير الأكثر دلالة وأهمية هو، بلا شك، فكرة الدولة من حيث إنها كيان عضوى ذو إرادة خاصة، وتكون بمعنى ما غير محدد نسبياً الإرادة "الحقيقية" لكل عضو فى الدولة. وسأعود إلى هذه الفكرة حالاً.

إننى لا أعنى الإشارة أنه لا توجد رابطة بين الإرادة العامة والفاعلية التشريعية للشعب صاحب السيادة عند روسو. والقول بأن هناك فى الغالب اختلافاً كبيراً بين إرادة الجميع، والإرادة العامة، كما يقول روسو، لا يعنى القول بأنهما لا يتفقان معاً على الإطلاق. وإحدى المشكلات عند روسو من حيث إنه مُنظّر سياسى هى افتراض وسيلة تضمن أن الإرادة العامة التى لا تخطئ تبلغ تعبيراً عيناى ولموسماً فى القانون. وإحدى الوسائل التى يفترضها لاحظناها من قبل؛ وهى وظيفة "المشرّع" الحكيم. ووسيلة أخرى هى منع الجماعات الجزئية فى الدولة بقدر المستطاع. إن المسألة هى على النحو التالى: إذا أدلى كل مواطن بصوته بصورة مستقلة تماماً، فإن الفوارق بينهم تُلغى كما يرى روسو، وتبقى الإرادة العامة من حيث إنها مجموع الفوارق⁽¹⁾. ومع ذلك، إذا تشكلت اتحادات وأحزاب، لكل منها إرادته العامة (إذا تحدثنا بصورة نسبية)، فإن الفوارق تصبح أقل ضخامة، وتكون النتيجة أقل عمومية، وأقل تعبيراً عن الإرادة العامة. وعندما يغدو أحد الاتحادات، أو الأحزاب أكثر قوة، أو أكثر ضخامة حتى إن إرادته تهيمن على إرادات المواطنين الآخرين لا محالة، فإن النتيجة لن تكون تعبيراً عن الإرادة العامة للدولة على الإطلاق، بل إنها تكون تعبيراً عن إرادة خاصة (خاصة بمعنى أنه بالنسبة للإرادة العامة للدولة حتى إذا كانت عامة بالنسبة لأعضاء الاتحاد، أو الحزب). إن النتيجة التى يقرها روسو هى "المهم إذا للحصول على التعبير عن الإرادة العامة ألا تكون هناك جماعة جزئية فى الدولة، وألا يُبدى كل مواطن رأيه إلا تعبيراً عن نفسه"⁽²⁾.

(1) S.C., II, 3. p. 25.

(2) S.C., II, 3. p. 25.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

مصلحة مجموعات جزئية، واتحادات تحدد قرار الشعب فى المجلس. وعندما يحدث هذا التعسف، فإن نتيجة التصويت لا تمثل الإرادة العامة. بيد أنه عندما تُتجنب صنوف التعسف هذه، فإن النتيجة ستعبر عن الإرادة العامة بالتأكيد.

إن هذا صحيح بصورة جلية، بمعنى ما بالتأكيد، هو أن إرادة الأغلبية أكثر عمومية من إرادة الأقلية. غير أن هذه بديهية. وهو ليس كل ما يدور بخلد روسو؛ لأن القانون الذى هو بمثابة تعبير عن الإرادة العامة هو، كما يرى، قانون يميل إلى الخير أو الصالح العام، ويضمنه، أو إلى المصلحة العامة، ويضمنها. ومن ثم إذا تم تجنب تأثير مصالح المجموعة، فإن إرادة المجلس التى يتم التعبير عنها توصل إلى الخير أو الصالح العام لا محالة. إن انتقاد إرادة المجلس التى يتم التعبير عنها لا يبدو أنه مشروع إلا على أساس تأثير مفرط من قبل حزب خاص، أو مصالح مجموعة. وإذا افترضنا أن كل مواطن "يبدى رأيه تعبيراً عن نفسه"، ولا يتعرض لصنوف من الضغط غير المشروعة، فإنه لا يبدو أنه لن يعد هناك أى سبب، بناء على مقدمات روسو، لنقد إرادة المجلس التى يتم التعبير عنها، حتى إذا لم يتم التعبير عنها إلا عن طريق صوت الأغلبية. صحيح أن روسو يقرر أن الأغلبية لا بد أن تصل إلى إجماع بالنسبة لخطورة المسائل التى يجب البت فيها وإقرارها، غير أن ذلك لا يغير الواقعة التى تقول إن "الإرادة العامة تتكون عن طريق حساب أو عد الأصوات، (وإن) جميع خصائص الإرادة العامة مازالت بعد فى حالة الأغلبية"⁽¹⁾.

ترتبط مناقشة روسو للإرادة العامة بمشكلة الحرية ارتباطاً وثيقاً. وهو يريد، كما رأينا، أن يبرر الانتقال من حالة الطبيعة الافتراضية إلى حالة المجتمع السياسى المنظم. ولما كان يعتقد أن الإنسان حر بطبيعته، وأن الحرية قيمة لا تُقدر بثمن، فإنه شعر بأنه مجبر على أن يبين أن الإنسان يحصل على نوع أسوأ من الحرية، بدلاً من أن يفقدها، وذلك عن طريق العقد الاجتماعى، الذى تنشأ بمقتضاه

(1) S.C., IV, 2, p. 44.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثانى فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثانى فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

المعارض لرأى، فإن ذلك لا يدل على شيء سوى أنني كنت مخطئاً، وأن ما كنت أقدر أنه الإرادة العامة لم يكنها. ولو أن رأى الخاص هو الذى تغلب لكنت فعلت غير ما كنت قد أردت، وعندئذ ما كنت لأكون حراً⁽¹⁾.

من الصعب أن نرى كيف "تبرهن" الواقعة التى تقول إن رأياً ما يختلف عن رأى الخاص يتغلب عن طريق صوت الأغلبية على أننى مخطئ. ويفترض روسو، ببساطة، أنها تبرهن على ذلك. ومع ذلك، فإننا عندما نلقى نظرة على هذه المسألة، فإننا نستطيع أن نلفت الانتباه إلى الاستخدام الغامض لكلمة "حر"؛ إذ إن شخصاً آخر قد يقتنع بالقول بأنه إذا كانت الحرية تعنى الحرية فى أن يفعل المرء ما يريد أن يفعله، ولديه القدرة البدنية على الفعل، فإن عضوية الدولة تلغىها بالفعل. غير أن إلغاء حرية المرء عن طريق القانون هو أمر أساسى لصالح المجتمع، وبالنظر إلى الواقعة التى تقول إن منافع المجتمع تفوق مضاره ومساوئه، فإن هذا الإلغاء لا يحتاج إلى تبرير غير فائده. إن المشكلة التى لها صلة بالموضوع هى مشكلة حصرها فى أدنى حد يتطلبه الخير أو الصالح العام. ومع ذلك فإن هذا المنظور التجريبي، والنفعي لا يناسب ذوق روسو. فهو يريد أن يبين أن الإلغاء الظاهري للحرية ليس إلغاءً بالفعل على الإطلاق. وبذلك فإنه يقع فى مفارقة إثبات أنه يمكن أن يُجبر المرء على أن يكون حراً. وتفترض الواقعة المحض التى تقول إن الوضع يستوقف المرء مباشرة من حيث إنه وضع مفارق أن كلمة "حر" تُعطى معنى، أيًا كان، قد يختلف عن المعنى، أو المعانى، الذى تحمله عادة. وتطبيق هذه الكلمة على الشخص الذى يُجبر على أن يطيع قانوناً معيناً مثلاً، لا يقضى إلى الوضوح. ويجب ألا نفترض، بتطبيق كلمة خارج مجالها العادى، أن القوة والإجبار ليسا هما القوة والإجبار بالفعل.

وقد يبدو النقد اللغوى مملاً وسطحياً لبعض الأذهان. بيد أنه ذو أهمية عملية ملحوظة فى واقع الأمر؛ لأن تحويل الأسماء أو الألقاب التى تستحق الثناء إلى

(1) S.C., IV, 2, p. 94.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

السلطة التشريعية عن الإرادة العامة بقوانين عامة كلية، ولا تهتم بأفعال معينة، أو بأشخاص معينين. أما السلطة التنفيذية فإنها تطبق القانون وتدعمه، وتهتم، بالتالى، بأفعال معينة، وبأشخاص معينين. "إننى أطلق اسم الحكومة، أو الإدارة العليا على الممارسة الشرعية للسلطة التنفيذية، واسم الأمير، أو الوالى، أو الحاكم على الشخص، أو الهيئة المكلفة بهذه الإدارة"^(١).

إن التصرف الذى يخضع الشعب نفسه بمقتضاه إلى الأمير ليس عقداً؛ فهو ببساطة إنابة فقط"^(٢). وينجم عن هذا أن صاحب السيادة يستطيع أن يحدد، أو يعدل، أو يسترد السلطة التنفيذية عندما يحلو له. إن روسو يتصور مجالس دورية للشعب صاحب السيادة يتم فيها الاقتراح على مسألتين بصورة منفصلة: "هل يشاء صاحب السيادة الاحتفاظ بشكل الحكومة الحالى؟"، و"هل يشاء الشعب ترك الإرادة فى يد المكلفين بأعيانها بالفعل؟"^(٣). واضح هنا أن روسو يتصور دولاً صغيرة مثل مقاطعات سويسرا، حيث يمكن للناس أن يتقابلوا معاً بصورة دورية. ومع ذلك، فإن المبدأ العام وهو أن الحكومة ليست سوى وسيلة الشعب صاحب السيادة، ينطبق على كل الدول. والقول بأن الشعب يستطيع أن "يستعيد" السلطة التنفيذية لا يعنى بالتأكيد أنه يستطيع أن يقرر ممارسة هذه السلطة نفسها. وحتى فى المقاطعات السويسرية الصغيرة لا يستطيع الشعب أن يستمر فى الإدارة. ويهتم الشعب صاحب السيادة - بناء على مبادئ روسو - بالتشريع على أية حال، ولا يهتم بالإدارة، إلا بمعنى أنه إذا لم يرض عن إدارة الحكومة الموجودة، فمن حقه أن يستبدها، ويعهد بالسلطة التنفيذية إلى حكومة أخرى.

يرى روسو أن السلطة التنفيذية تمتلك "شخصية معينة، وحساسية يشترك فيها كل أعضائها، وقوة، وإرادة من صنعها للمحافظة عليها"^(٤). غير أن ذلك لا

(1) S.C., III, I. p. 50.

(2) S.C., III, I. p. 50.

(3) S.C., III, 18. p. 89.

(4) S.C., III, I. p. 33.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ديمقراطياً، ولذلك فإن حكومة على هذا المستوى من الكمال لا تصلح للبشر^(١). ويتحدث روسو هنا عن الديمقراطية بالمعنى الحرفي، التي تكون من بين كل أشكال الدستور والشكل الأكثر احتمالاً الذي يؤدي إلى فرقة، وحرب أهلية. والقول بأن الحكومة الملكية معرضة لسوء الاستخدام واضح وجلي. إن النظام الأفضل والأقرب إلى الطبيعة هو أن يحكم الجمهور عقله عندما يكون من المؤكد أن هؤلاء العقلاء يحكمونه من أجل صالحه، لا من أجل صالحهم هم^(٢). بيد أن هذا ليس مؤكداً بالتأكيد. ويمكن للأرستقراطية أن تفقد وتتخط، مثل أي شكل آخر من أشكال الحكومة. إن الميل إلى الفساد طبيعي، وحتماً في كل أشكال الدستور في واقع الأمر. "إن الهيئة السياسية، والجسم الإنساني أيضاً، يموتان بمجرد أن يولدا، ويحملان داخلهما أسباب انهيارهما"^(٣). صحيح أنه يجب على الناس أن يحافظوا على الهيئة السياسية في حالة جيدة بقدر المستطاع، تماماً كما يحافظون على أجسامهم. ويمكن أن يتم هذا بصورة جيدة بفصل السلطة التنفيذية عن السلطة التشريعية بوضوح، وبوسائل دستورية متنوعة. لكن حتى الدولة المكونة تكويناً جيداً سيكون لها نهاية، حتى إذا استمرت في البقاء مدة أطول من دول أخرى، بغض النظر عن الظروف غير المتوقعة، تماماً مثلما يموت الجسم الإنساني السليم والقوى في النهاية، على الرغم من أنه هو نفسه، وبغض النظر عن الأعراض غير المتوقعة، يميل إلى البقاء جسماً عليلاً وواهنًا.

٤ - إن قدراً معيناً مما قاله روسو في كتابه "العقد الاجتماعي" يرتبط، بوضوح، بإيثاره للجمهورية الصغيرة، مثل مدينته هو "جنيف". ففى الدولة الصغيرة جداً يستطيع المواطنون أن يجتمعوا معاً بصورة دورية، ويمارسوا وظائفهم التشريعية مثلاً. لقد زودته دولة - المدينة اليونانية، وجمهورية سويسرا الصغيرة بمثاله عن الدولة من جهة الحجم. وفضلاً

(1) S.C., III, 4, p. 59.

(2) S.C., III, 5, pp. 50-51.

(3) S.C., III, 11, p. 77.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إن نظرية روسو عن العقد الاجتماعي ذات أهمية ضئيلة، أو ليست ذات أهمية، في هذا الشأن. لقد أعطاها أهمية، بالفعل، كما يبين عنوان عمله السياسي الرئيسي بوضوح، بيد أنها ليست إلا مجرد وسيلة مصطنعة، أخذها من كتاب آخرين، لتبرير الانتقال من حالة الطبيعة المفترضة إلى حالة المجتمع السياسي. إنها ليست نظرية لها أى مستقبل. وما هو أكثر أهمية نظرية الإرادة العامة. بيد أن هذه النظرية تطورت على نحوين على الأقل.

ففى المسودة الأصلية لكتاب "العقد الاجتماعي" يتحدث روسو عن الإرادة العامة مشيراً إلى أنه يوجد فى كل إنسان فعل خالص للفهم، يفكر فيما يرغبه لجاره، وفيما يكون من حق جاره أن يرغبه له. إنه يتصور الإرادة هنا بأنها عاقلة. دعنا نضيف إلى هذه النظرية التى يعبر عنها فى كتاب "العقد الاجتماعي" أن "دافع الشهوة وحده هو العبودية، فى حين أن طاعة القانون الذى نسنه لأنفسنا هى الحرية"⁽¹⁾. ثم إن لدينا إرادة مستقلة، وعاقلة، أو عقلاً عملياً يشرع به الإنسان لنفسه فى طبيعته الأسمى، ويسن قانوناً أخلاقياً يخضع له فى طبيعته الدنيا. وهذا القانون عام وكملى؛ بمعنى أن العقل يسن ما هو صحيح، وما ينبغى أن يكون عليه الإنسان فى نفس الظروف، بصورة ضمنية على الأقل. وفكرة الإرادة المستقلة هذه التى تشرع فى المجال الأخلاقى هى استباق واضح لأخلاق كانط. وقد يُعترض على أن الإرادة الكانطية عاقلة بصورة خالصة، فى حين أن روسو يشدد على واقعة مؤداها أن العقل لا يكون فعالاً من حيث إنه موجه للفعل إذا لم يُطبع القانون فى قلوب الناس فى صفات لا تُمحي، ولا تُطمس. وتحتاج الإرادة العاقلة إلى قوة دافعة تكمن فى دوافع الإنسان الأساسية. وهذا صحيح. وصحيح أن روسو يشدد على الدور الذى يلعبه الدافع الداخلى فى حياة الإنسان الأخلاقية. بيد أنه ليست هناك نية لافتراض أن نظرية روسو عن الإرادة العامة، ونظرية كانط عن العقل العملى هما نظرية واحدة وهما هما. والمسألة هى ببساطة أن هناك عناصر فى نظرية روسو يمكن تطويرها فى اتجاه كانطى. وقد تأثر كانط بكتابات روسو بالتأكيد.

(1) S.C., III, 8, p. 19.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

يتكون بالتدريج، وبحاجة إلى تعديل، وتشكيل على ضوء تطور الأمة. ثم إننا نستطيع أن نتحدث عن مهمة المشرعين، ومهمة المنظرين السياسيين من حيث إنها محاولة التعبير العيني الملموس عن هذا المثال، وبيان ما تريده الأمة "بالفعل". ولا أفترض أن هذا التصور بمنأى عن النقد. وهدفى هو أنه يمكن تقديم نظرية عن الإرادة العامة بدون أن نجبر على تصور أداة التفسير على أنها لسان حال لا يخطئ. إن المشرع، والحكومة قد يحاولان أن يريا ما هو أفضل بالنسبة للأمة على ضوء عاداتها، ونظمها، وظروفها التاريخية، غير أنه لا ينجم عن ذلك أن تفسير ما هو أفضل يُنظر إليه، أو يجب أن ينظر إليه، على أنه صحيح. إنه يمكن أن نجعل فكرة الأمة التى تريد ما هو أفضل بالنسبة لها، وفكرتى الحكومة والمشرع من حيث إنها تحاول، أو تحاول فى ظل إلزام، أن تعبّر عن هذه الإرادة، بدون افتراض أن هناك أى أداة من أدوات التفسير والتعبير لا تخطئ. وبمعنى آخر، يمكن أن نجعل نظرية روسو ثلاثم حياة دولة ديمقراطية كما هى موجودة فى ثقافتنا الغربية.

ومن الأسباب الرئيسية لماذا تكون التطويرات المتنوعة لنظرية روسو ممكنة هو الغموض بالتأكيد الذى يمكن أن يوجد فيما يقوله عن النظرية. وغموض هام هو الآتى: عندما يقول روسو إن النظام الاجتماعى هو أساس كل الحقوق، فإن قوله يمكن أن يؤخذ بمعنى غير ضار إذا فهمنا مصطلح "الحق" على أنه الحق الشرعى. ويصبح القول من ثم بديهية، ولكن عندما يقول إن التشريع يولد الأخلاق⁽¹⁾، فإن ذلك يفترض أن الدولة هى مصدر التمييز الأخلاقية. وإذا ربطنا هذا بهجومه على الجماعات الجزئية بدفاعه عن دين مدنى، من حيث إنه يتميز عن الدين الموحى به الذى يتحقق عن طريق الكنيسة، فمن اليسير أن نفهم كيف يتضح الموقف وهو أن نظرية روسو السياسية تتجه فى اتجاه المذهب الشمولى. مع إنه لم يعتقد، فى حقيقة الأمر، أن الأخلاق تعتمد ببساطة على الدولة. وفضلاً عن ذلك،

(1) S.C., IV, 7, p. 111.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وثمة ملاحظة أخيرة، وهى: لقد أدرجنا روسو تحت العنوان العام لعصر التنوير فى فرنسا، ونظراً للواقعة التى تقول إنه اعتزل عن الموسوعيين ودائرة هولباخ، فإن هذا قد يبدو تصنيفاً غير مناسب. وفى تطوير الأدب لم يكن لروسو أثر قوى فى فرنسا فحسب، بل فى الأدب الألماني أيضاً، وبصفة خاصة فى فترة العاصفة Sturm، والاندفاع Drang⁽¹⁾. وقد يبدو هذا سبباً إضافياً لإبعاده عن عصر التنوير فى فرنسا. غير أن روسو لم يكن منشئ أدب الحساسية، حتى إذا كان قد أعطاه دفعة قوية، ولم يكن وحده من بين الفلاسفة والكتاب الفرنسيين فى القرن الثامن عشر الذين أكدوا أهمية الانفعالات، والوجدان فى الحياة الإنسانية. فحسبنا أن نذكر فوفينارج مثلاً. ويبدو الموقف على النحو التالى: إذا اخترنا المذهب العقلى الجاف، والنزعة الشكية فى الدين، والميل إلى المادية من حيث إنها الخصائص الرئيسية لعصر التنوير فى فرنسا، فإننا لا بد أن نقول بالتأكيد إن روسو قد تجاوز عصر التنوير. بيد أننا نستطيع أن نراجع جيداً تصورنا للفترة لتشمل روسو، لأننا يمكن أن نجد فيها شيئاً غير المذهب العقلى الجاف، والمادية، والنزعة الشكية فى الدين. حقيقة الأمر هى أنه بينما توجد جذور روسو فى حركة التفكير العظيمة العامة فى فرنسا فى القرن الثامن عشر، فإنه عُلِمَ شهير جداً فى تاريخ الفلسفة، والأدب حتى إنه لن يكن مفيداً أن نعطيه لقباً مميزاً، ونعتقد أننا قد أوفينا حقه تماماً. فهو جان جاك روسو، ويبقى جان جاك روسو، لا مجرد نموذج لنمط ما. إن بعض نظرياته، مثل العقد الاجتماعى، معروفة ومعهودة فى عصره، وذات أهمية تاريخية ضئيلة. وفى جوانب أخرى من تفكيره، الأساسى، والتربوى، والسيكولوجى نطلع إلى المستقبل. وبعض مشكلاته، مثل العلاقة بين الفرد والدولة هى مشكلات حقيقية الآن بصورة واضحة مثلما كانت عندما كتبها، حتى إذا أعطينا تساؤلاته صياغات مختلفة.

(1) مصطلح "العاصفة والاندفاع" يطلق - فى ألمانيا - على حركة الأنثى التى مهدت للرومانسية. وكان من أعلامها جوته نفسه (المراجع).

الجزء الأول...

عصر التنوير فى فرنسا

الفصل الخامس

عصر التنوير فى ألمانيا (١)

كرستيان توماسيوس - كرسٲيان فولف - أٲباع

فولف وخصومه.

١ - أفضل مَنْ يمثٲ المرحلة الأولى من التنوير فى ألمانيا ربما يكون كرسٲيان توماسيوس Christian Thomasius (١٦٥٥ - ١٧٢٨)، ابن جاكوب توماسيوس الذى كان أحد معلمى ليبنتس. شدد كرسٲيان توماسيوس فى مرحلة شبابه على تفوق الفرنسيين على الألمان فى مجال الفلسفة. إذ إن الألمان لديهم ميل إلى التجريدات الميتافيزيقية التى لا تساعد على الخير العام ولا على السعادة الفردية. فالميتافيزيقا لا تنتج معرفة واقعية. وفضلاً عن ذلك، فإن الفلسفة التى تُعَلَّم فى الجامعات تفترض أن غاية التأمل العقلى هى تأمل الحقائق المجردة لذاتها. بيد أن هذا الفرض خاطئ؛ لأن قيمة الفلسفة تكمن فى فائدتها، أعنى فى ميلها إلى المساهمة فى تحقيق الخير الاجتماعى، أو الخير العام، وإلى سعادة الفرد، أو خيره. وبمعنى آخر، الفلسفة هى وسيلة للتقدم.

ويرجع هذا العداء للميتافيزيقا والمذهب العقلى الخالص إلى المذهب التجريبي إلى حد ما. إن العقل، كما يرى توماسيوس، لا بد أن يُنقى من الأهواء، والتصورات المسبقة، وبصفة خاصة من تلك التى تميز المذهب الأرسطى والإسكولائية. لكنه إذا كان قد رفض الميتافيزيقا الأرسطية والإسكولائية، فإنه لم يفعل ذلك ليضع مكانها ميتافيزيقا أخرى. ومن ثم هاجم توماسيوس كتاب "نواء

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

على حق. وبالتأكيد إذا قررنا ببساطة أن الأهمية التي تُعطى لفكرة الخير العام هي تعبير عن صعود الطبقة المتوسطة، فإننا نعرض أنفسنا لمسئولية المغالاة؛ لأن فكرة الخير العام كانت ظاهرة وبارزة في فلسفة العصور الوسطى مثلاً. وقد يصح في الوقت نفسه أن يرتبط التطور النفعي للفلسفة، بارتباطه مع فكرة العقل المستنير الذي يستخدم قدراته لتطويع الخير العام، نقول قد يرتبط إلى حد ما ببنية المجتمع في مرحلة ما بعد العصور الوسطى، ومن غير المعقول أن نتحدث عنه بأنه فلسفة "برجوازية"، شريطة أن لا تُستخدم هذه الكلمة بمعنى سيئ. وبالنسبة للارتباط الديني، يبدو أن هناك بعض الحقيقة في وجهة النظر التي تذهب إلى أن الفلسفة البرجوازية هي امتداد علماني لرؤية الإصلاح البروتستانتي. فالخدمة الحقيقية لله يجب أن توجد في الأشكال العادية للحياة الاجتماعية، لا في التأمل المنعزل لحقائق أبدية، أو في الانصراف عن العالم بالزهد، والتقصّف. وعندما تُفصل هذه الفكرة عن وضعها الديني بدقة، فإنها تؤدي، بسهولة، إلى نتيجة هي أن التقدم الاجتماعي، والنجاح الفردي في هذا العالم هما علامتان من علامات الفضل الإلهي. وإذا كان للتأمل الفلسفي، كما اعتقد لوثر، أهمية ضئيلة، أو إذا لم يكن له أهمية، في المجال الديني، فإنه ينجم عن ذلك أنه يجب أن يُكرس لتطويع الخير الاجتماعي، وللسعادة الدنيوية الفردية. إن المنفعة، وليس تأمل الحقيقة من أجل ذاتها، هي الباعث الرئيسي لهذا التأمل. أعني أن الفلسفة ترتبط بمسائل الأخلاق، والتنظيم الاجتماعي، والقانون، بدلاً من أن ترتبط بالميتافيزيقا واللاهوت. إنها تركز على الإنسان، بيد أن هدفها الرئيسي عندما تركز على الإنسان هو أن تطوّر خيره الدنيوي، بدلاً من أن تدمج أنثروبولوجيا فلسفية في ميتافيزيقا عامة للوجود. إنه يجب أن ننظر إلى الإنسان من الناحية السيكولوجية، لا من الناحية الميتافيزيقية، أو من وجهة نظر لاهوتية.

ولا يعني هذا، بالتأكيد، أن الفلسفة يجب أن تكون ضد ما هو ديني. فقد كانت فلسفة التنوير الفرنسي تعادي باستمرار، كما رأينا، المذهب الكاثوليكي،

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الاجتماعية، بدون حب أقرانه، ويجب على الفرد أن يكرس نفسه للخير العام. وعن طريق الحب المتبادل تنشأ إرادة عامة تتجاوز الإرادة الخاصة والأناية الخالصة. ويبدو أنه يترتب على ذلك أنه لا يمكن أن توصف الإرادة بأنها سيئة؛ لأن "الحب العقلي" هو تجلٍ للإرادة، ومن الحب العقلي تنشأ الفضائل. بيد أن توماسيوس لا يريد مطلقاً أن يقرر أن الإرادة الإنسانية سيئة. فالإرادة هي عبد للدوافع الأساسية أو للبواعث مثل الرغبة في الثروة، والشهرة، والسعادة. ولا يمكن إحراز الأناية عن طريق مجهوداتنا الخاصة. إن الاختيار الإنساني والفعل لا يمكن أن ينتجا سوى الخطيئة. والنعمة الإلهية وحدها هي التي في إمكانها أن تنقذ الإنسان من عجزه الأخلاقي. وبمعنى آخر، إن النزعة التقوية هي التي لها الكلمة الأخيرة في كتابات توماسيوس الأخلاقية، ويلوم نفسه على الاعتقاد بأن الإنسان يستطيع أن يطور أخلاقاً طبيعية بقدرته هو الخاصة.

وترجع شهرة توماسيوس إلى كتاباته في الفقه القانوني، والقانون العالمي؛ فقد نشر في عام ١٦٨٨ كتاب "مؤسسات الفقه القانوني المدرسي"، و"القوانين الأساسية للطبيعة والعالم"، و"المنظور البرهاني عند بفندورف". وفي هذا العمل كتب، كما يشير العنوان، اعتماداً على الفقيه القانوني الشهير "صموئيل بفندورف" (١٦٣٢ - ١٦٩٤)^(١). غير أنه أظهر درجة عظيمة من الأصالة والاستقلال في مؤلفه الأخير "أسس قانون الطبيعة وقانون الأمم" (عام ١٧٠٥). يبدأ فيه بنظر في الإنسان من إنه سيكولوجي بطبيعته، وليس ميتافيزيقياً. ويجد في الإنسان ثلاثة دوافع أساسية هي: الرغبة في أن يحب طويلاً وبسعادة بقدر الإمكان، والخوف الغريزي من الموت والألم، والرغبة في الملكية والسيادة. ولما كان العقل لا يتحكم في هذه الدوافع أو البواعث، فإن الحالة الطبيعية للمجتمع البشري توجد، التي هي مزيج من الحرب والسلام، وتميل باستمرار إلى الاندماج في الحالة الأولى. ولا

(١) صموئيل بفندورف (١٦٣٢ - ١٦٩٤) فقيه ومؤرخ ألماني. من مؤلفاته: القانون الطبيعي، ودستور الإمبراطورية الألمانية... (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

مجال التأمل الفلسفى. إن تشديد "كالفن" على المشاركة يظهر فى شكل علمانى؛ بيد أنه يتواجد مع النزعة التقوية اللوثرية عند توماسيوس.

٢ - والممثل الرئيسى للمرحلة الثانية من التطوير الألمانى هو "كرستيان فولف" Christian Wolff (١٦٧٩ - ١٧٥٤). ومع ذلك، فإننا نجد عند فولف نظرة مختلفة تمامًا عن نظرة توماسيوس. فعداء فولف للميتافيزيقا، المرتبط بالنزعة التقوية، لا وجود له مطلقًا. ونجد بدلاً من ذلك تجديدًا لفلسفة أكاديمية، وميتافيزيقا مدرسية، ونزعة عقلية شاملة ودقيقة. ويجب ألا يؤخذ هذا على أنه يتضمن أن فولف كان عقليًا بمعنى أنه كان ضد ما هو دينى، فهو لم يكن من هذا النوع على الإطلاق. لكنه طورَ مذهبًا عقليًا كاملاً لفلسفة شمل الميتافيزيقا واللاهوت الطبيعى، وكان له تأثير قوى فى الجامعات. لقد أكد، بحق، الغاية العملية للفلسفة، وكان هدفه هو تطوير نشر الفهم والفضيلة بين الناس. بيد أن الملاحظة المميزة لتفكيره هى ثقته فى قدرة العقل الإنسانى على أن يبلغ اليقين فى مجال الميتافيزيقا، بما فى ذلك المعرفة الميتافيزيقية بالله، وإصراره على بلوغ هذا اليقين. وتجد هذه النزعة العقلية تعبيرًا فى عناوين كتاباته الألمانية التى تبدأ باستمرار بالكلمات "الأفكار العقلية عن...؛" ومنها على سبيل المثال: "الأفكار العقلية عن الله، والعالم، ونفس الإنسان" (عام ١٧١٩). وتكون أعماله اللاتينية معًا "الفلسفة العقلية". لقد كان الفصل التقوى لمجال الإيمان عن مجال العقل، واستبعاد الميتافيزيقا من حيث إنها عديمة الفائدة وغير يقينية فكرة غريبة تمامًا عن تفكير فولف. وبهذا المعنى وأصل التراث العقلى العظيم للفلسفة الأوروبية لما بعد عصر النهضة. لقد كتب معتمدًا على لينتس بصورة ملحوظة، الذى عبر عن تفكيره بصورة إسكولائية وأكاديمية. لكن على الرغم من أنه كانت تنقصه أصالة لينتس وأتباعه الرواد الآخرين، فإنه عَلمَ من

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

نستطيع أن نمضى فى هذه العلوم بدون التجربة والاستقراء، بل حتى فى الفلسفة نحتاج إلى عناصر تجريبية. ومن ثم، يجب علينا فى الغالب أن نقنع بالاحتمال. إن بعض القضايا يقينية بصورة مطلقة؛ لأننا لا نستطيع أن نقرر عكسها دون أن نقع فى تناقض، بيد أن هناك قضايا كثيرة لا يمكن أن نردها إلى مبدأ عدم التناقض، لكنها تتمتع بدرجات متنوعة ومختلفة من الاحتمال.

وبمعنى آخر، لقد قبل فولف تمييز ليننتس بين حقائق العقل، التى لا يمكن أن نقرر عكسها دون أن نقع فى تناقض، والتى هى صادقة بالضرورة، وحقائق الواقع، التى لا تكون صادقة بالضرورة، وإنما بصورة ممكنة. وطبق التمييز بهذه الطريقة مثلاً. فالعالم هو نسق الأشياء المتناهية المترابطة، وهو يشبه آلة تعمل، أو تتحرك بالضرورة بطريقة معينة؛ لأنها تكون على ما هى عليه. بيد أن هذه الضرورة مشروطة. فإذا أراد الله العالم على هذا النحو، فإنه لا يمكن أن يكون سوى ما هو عليه. وينجم عن ذلك أن هناك قضايا كثيرة صادقة عن العالم، لا يكون صدقها ضرورياً بصورة مطلقة. والعالم فى نفس الوقت مكون فى النهاية من جواهر، يمثل كل جوهر منها ماهية يمكن تصورهما، من الناحية المثالية على الأقل، فى فكرة واضحة ومحددة. وإذا كانت لدينا معرفة بهذه الماهيات، فإننا نستطيع أن نستنبط سلسلة من حقائق ضرورية؛ لأننا عندما نتصور ماهيات، فإننا نجرد من وجود عيني، وننظر فى نظام الإمكان، بصرف النظر عن اختراع الله لهذا العالم الجزئى. وما هو عرضة للخلاف، بالفعل، هو وجهة نظر فولف التى تقول إن العالم يمكن أن يكون مختلفاً عما هو عليه لا تتسجم مع نظريته عن الماهيات؛ لأنه يمكن إثبات أن نظام العالم لا يمكن أن يكون إلا ما هو عليه، إذا سلمنا بالماهيات التى تكون العالم. ومع ذلك، فإن المسألة التى أريد أن أوضحها هى أن نزعة فولف العقلية، أعنى تشديده على أفكار متميزة ويمكن تعريفها، وعلى الاستنباط، أدت به إلى وصف الفلسفة بأنها علم الممكن، وعلم كل الأشياء الممكنة، والشئ الممكن هو أى شئ لا يحتوى على تناقض.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بهذا الفصل من قبل، إذ إنه تكلم عن "أنطوسوفيا" بدلاً من "الأنطولوجيا"، واستخدم "جان بابست دو هاميل" Jean-Baptiste Duhamel (١٦٢٤ - ١٧٠٦)، وهو إسكولائي، مصطلح "الأنطولوجيا" في مؤلفه "الفلسفة الشاملة". وفضلاً عن ذلك، كان فولف يهدف بوضوح في كتابه "الأنطولوجيا" إلى تطوير التعريفات التي قدمها الإسكولائيون، ومعالجتهم لعلم الوجود من حيث إنه وجود. وعلى الرغم من أن تقسيمه للفلسفة يختلف عن تقسيم القديس توما الإكويني مثلاً، فإن ترتيبه الهرمي لفروعها قد تطور بوضوح تحت التأثير الإسكولائي^(١). وربما لا تبدو هذه المسألة ذات أهمية كبيرة، غير أنه من الممتع على الأقل أن نلاحظ أن التراث الإسكولائي وجد حياة متصلة في فكر أحد الأعلام الرواد من التنوير الألماني، حتى إذا لم ينقص، من وجهة نظر تومانية دقيقة، من قدر المذهب الإسكولائي الذي وجد ملاذاً في فلسفة فولف. وهذا هو بالتأكيد ما اعتقده هؤلاء الذين قابلوا، مع الأستاذ جلسون، بين "المذهب الوجودي" عند الإكويني وأتباعه المخلصين "ومذهب الماهية" عند الإسكولائيين المتأخرين^(٢).

ويمكن أن نلاحظ تأثير ليينتس بصورة جلية في معالجة فولف للجواهر. فعلى الرغم من أنه استبعد مصطلح "الموناد"، فإنه سلم بوجود الجواهر البسيطة التي لا يمكن إدراكها، والتي ليس لها امتداد ولا شكل، ولا يتشابه اثنان منها تشابهاً تاماً. والأشياء التي ندرکها في العالم المادي هي تجمعات من هذه الجواهر، أو الذرات الميتافيزيقية، وينتمى الامتداد، كما هي الحال عند ليينتس، إلى النظام الظاهري. كما أن الجسم الإنساني هو تجمع من جواهر. غير أنه يوجد في الإنسان نفس التي هي جوهر بسيط، ويمكن إثبات وجودها بالرجوع إلى واقعة الوعي،

(١) يجب أن نضيف أن تقسيم فولف للفلسفة له تأثير ملحوظ على الكتب التعليمية الإسكولائية اللاحقة (المؤلف).

(٢) راجع في هذه المسألة كتاب جلسون "الوجود وبعض الفلاسفة"، الطبعة الثانية، منقحة ومزودة، تورونتو، ١٩٥٢ (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إننا في كل هذا بعيدون جدًا بصورة واضحة عن وجهة نظر توماسيوس، وهي أن العقل الإنساني لا يستطيع أن يبلغ الحقيقة في الميتافيزيقا، واللاهوت الطبيعي. ويقبل فولف الدليل الأنطولوجي إلى جانب دليله الكسمولوجي على وجود الله، ولا بد أن نسلّم بأن تطوير هذا الدليل عن طريق ليبنتس وفولف قد جعله منيعًا من الخطوط المعتادة للنقد. إن اهتمام فولف بالإلهاد هو خلف محال. بيد أنه جلى أن أعداءه من بين التقويين اعتقدوا أنه وضع العقل مكان الإيمان، وقوض تصورهم للدين.

وكما رفض فولف نظرية العجز الأخلاقي للإنسان في مجال الميتافيزيقا، فإنه رفض نظرية العجز الأخلاقي للإنسان؛ أعنى أنه إذا ترك الإنسان وشأنه فإنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى الوقوع في الخطيئة. إن نظريته الأخلاقية تقوم على فكرة الكمال. ويُعرّف الخير بأنه ما يجعلنا، وما يجعل حالتنا، أكثر كمالاً، بينما يُعرّف الشر بأنه ما يجعلنا، وما يجعل حالتنا، أكثر نقصاً. غير أن فولف يسلّم بأنه منذ فترة طويلة مضت عرف "القدماء" أننا لا نرغب سوى ما ننظر إليه على أنه خير، من حيث إنه ما يسبب لنا الكمال على نحو ما، وأننا لا نرغب شيئاً ننظر إليه على أنه شر. وبمعنى آخر، يسلّم بالمثل الإسكولائي الذي يقول إن الإنسان يختار باستمرار "ما يبدو له خيراً". ومن ثم كان يجب عليه أن يجد، بوضوح، معياراً ما للتمييز بين الخير بالمعنى الواسع للفظ؛ أعنى من حيث إنه يشمل أى شيء يكون موضوع اختيار الإرادة، والخير بالمعنى الأخلاقي، أعنى ما ينبغي أن تناضل من أجله، أو ما ينبغي أن نختاره. إنه يشدد، بحق، على فكرة كمال طبيعتنا. بيد أنه واضح أن هذا المفهوم لا بد أن يُعطى مضموناً محدداً يساعدنا على التمييز بين الأفعال الأخلاقية والأفعال غير الأخلاقية. وفي محاولة القيام بذلك يعطى فولف أهمية لفكرة انسجام العناصر الكثيرة للطبيعة البشرية تحت قاعدة العقل، وحالات الإنسان الداخلية والخارجية. لقد زعم بعض الكتاب أنه بإدراج الخير الخارجى فى الخير الأقصى، أو غاية الاجتهاد الإنسانى الأخلاقى، فإن فولف يعبر عن أخلاق

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إلى الدور الذى تلعبه التربية فى الحياة الأخلاقية، وعلى أهمية هذا الدور. وفى الوقت نفسه إنها التربية العقلية، تكوين الأفكار الواضحة والتميز، التى يشدد عليها. ومع ذلك، حتى إذا كان فولف لم يقدم رداً مقنعاً تماماً على السؤال كيف يستطيع الإنسان عن طريق مجهوداته الخاصة أن يعيش حياة أخلاقية حقيقية، فمن الواضح أن المذهب العقلى له الكلمة الأخيرة عنده. والغاية الأساسية من التربية هى إيجاد تلك الأفكار الواضحة عن الرسالة الأخلاقية للإنسان التى يمكن أن تخدم بوصفها قوى دافعة للإرادة. ويبدو أن ما يحرك تفكيره يكفى بصورة واضحة. إن الإرادة تبحث عن الخير بصورة طبيعية، بيد أنه يمكن أن تكون لدى الإنسان أفكار خاطئة عن الخير. ومن ثم تظهر أهمية تطوير الأفكار الصادقة، والواضحة والكافية. إن الإرادة لا يمكن أن تتجه بصورة صحيحة إلا عن طريق العقل. وربما لم ينجح فولف فى أن يبين بدقة كيف يستطيع العقل أن يحكم الإرادة وينتج الرغبات الصحيحة، لكن ما يستطيع أن يقوم بذلك هو فى رأيه ما لا يمكن الشك فيه.

يتحدث فولف أحياناً كما لو هدف تربية العقل هو إيجاد أفكار مفيدة ونافعة. وإذا وضعنا فى الاعتبار إصراره، عندما يتحدث عن واجباتنا تجاه أنفسنا وواجباتنا تجاه جيراننا، أنه ينبغي على الإنسان أن يعمل، ويدعم نفسه بهذه الوسيلة ويطور الخير العام، فإننا ربما نستنتج نتيجة مفادها أن مثاله الأخلاقى هو ببساطة مثال المواطن الجاد، والمهذب. وقد نستنتج، بمعنى آخر، أن لديه تصوراً برجوازيًا دقيقاً عن رسالة الإنسان الأخلاقية، وهو تصور يمكن وصفه بأنه شكل علمانى للفكرة البروتستانتية عن رسالة الإنسان فى هذا العالم. لكن على الرغم من أن هذا التصور يكون عنصراً ما فى تفكيره، فإنه ليس العنصر الوحيد؛ لأنه يعطى لمصطلح "مفيد" مجالاً واسعاً من المعنى. فأن تكون مفيداً للمجتمع لا يعنى ببساطة أنك تقوم بخدمة مخصصة من حيث إنك عامل يدوى، أو موظف من نوع ما. فالغنان والفيلسوف، مثلاً، يطوران إمكاناتهما، ويكونان "مفيدين" للمجتمع. ويجب ألا تؤخذ

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ويجب أن ننظر إلى الأمم، كما يقول فولف في كتابه "قانون الأمم" أو "القانون الدولي"⁽¹⁾. على أنها "أشخاص أفراد أحرار يعيشون في حالة الطبيعة". وكما أن هناك قانوناً أخلاقياً طبيعياً يلزم الأشخاص الأفراد ويوجد الحقوق، فإن هناك قانوناً طبيعياً للأمم، أو قانوناً ضرورياً للأمم، راسخاً ويوجد حقوقاً متساوية. هذا القانون هو القانون الأخلاقي الطبيعي من حيث إنه ينطبق على الأمم.

وفضلاً عن ذلك، يجب أن يفهم أن كل الأمم يجب أن تكون معاً، عن طريق اتفاق مفترض، دولة أسمى؛ لأن الطبيعة نفسها تجبر الأمم أن يكونوا مجتمعاً عالمياً من أجل خيرهم العام. ومن ثم يجب أن نستنتج أن الأمم كلها لها الحق في إيجاب الأمم الفردية أن تفي بالتزاماتها تجاه المجتمع الأكبر. وكما أنه لا بد أن يُنظر إلى إرادة الأكثرية في الدولة الديمقراطية على أنها تمثل إرادة الشعب كله، فكذلك لا بد أن تؤخذ إرادة أكثر الأمم في الدولة الأسمى على أنها تمثل إرادة كل الأمم. لكن كيف يمكن التعبير عن ذلك، عندما لا تستطيع الأمم أن تجتمع معاً على النحو الذي يكون ممكناً بالنسبة لمجموعات الأفراد؟ إنه يجب علينا، كما يرى فولف، أن نأخذ ذلك ليعني إرادة كل الأمم التي يتفقون عليها، إذا اتبعوا العقل السليم. ويستنتج من ذلك أن ما تستحسنه "الأمم الأكثر تحضرًا" هو قانون الأمم.

ويسمى فولف القانون المستمد من مفهوم مجتمع الأمم "قانون الأمم الإرادي". ويدرجه تحت العنوان العام "قانون الأمم الوضعي" جنباً إلى جنب القانون الاتفاقي، الذي يقوم على الموافقة الواضحة للأمم، والقانون العرفي، الذي يقوم على موافقتها الضمنية. لكن، بغض النظر تماماً عن النقد الممكن لفكرة الدولة الأسمى ذات الحاكم الخيالي، فإنه يبدو طبيعياً بصورة كبيرة وضع ما يسميه فولف "قانون الأمم الإرادي" تحت عنوان "قانون الأمم الطبيعي" بدلاً من وضعه تحت عنوان "القانون الوضعي"؛ لأن التصنيف الأخير يبدو أنه يتطلب وجود مجتمع أسمى فعلي، أو مجتمع كلي بدلاً من مجتمع مفترض من الأمم. ومع ذلك، تأثر فولف، في

(1) Prolegomena, 2.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Ludwig Philipp Thummig (١٦٩٧ - ١٧٢٨)، الذى فقد كرسيه فى جامعة "هاله" فى نفس الوقت الذى فقد فيه فولف كرسيه، و"يوهان كرسstof جوتشيد" Johan Christoph Gottsched (١٧٠٠ - ١٧٦٦)، وهو مؤلف كتاب "الأساس الأول للأسرة العالمية" (عام ١٧٣٣)، والذى حاول أن يستخدم فلسفة فولف فى النقد الأدبى. ولا بد أن نذكر "مارتن كونتز" Martin Kuntzen (١٧١٣ - ١٧٥١) إن لم يكن لسبب سوى أنه كان أستاذًا للمنطق والميتافيزيقا منذ عام ١٧٣٤ فى جامعة "كونجسبرج"، ووضع كانط من بين مستمعيه. لقد كان رياضياً وفلكياً، وفيلسوفاً أيضاً، وساعد فى إثارة اهتمام كانط بعلم نيوتن. وتأثر فى مجال الفلسفة بـ "ليبنس" و"فولف"، غير أنه كان فى الوقت نفسه مفكراً مستقلاً. ولذلك تخلى عن نظرية الانسجام المقدر منذ الأزل لصالح نظرية العلّة الكافية. ولا داعى للقول إن كونتز لم يكن مسئولاً عن فلسفة كانط النقدية، بيد أن محاضراته كانت عاملاً من العوامل التى ساهمت فى تكوين آراء كانط الفلسفية فى مرحلة ما قبل النقد. ومال كونتز فى مجال الدين إلى النزعة التقوية، ولكنه عدل كثيراً تحت تأثير فولف رفض اللاهوت الطبيعى، أو الفلسفى، الذى كان أحد خصائص الحركة التقوية. لقد نشر، بالفعل، دليلاً فلسفياً على صدق الديانة المسيحية (عام ١٧٤٠). وبمعنى آخر، لقد حاول أن يربط النزعة الروحية التقوية بـ "النزعة العقلية" عند فولف.

وعلم أكثر أهمية هو "ألكسندر جوتلب بومجارتن" Alexander Gottlieb Baumgarten (١٧١٤ - ١٧٦٢)، وكان أستاذًا فى جامعة "فراנקفورت" فى العمارة، وألف عددًا من الكتب التى شرح فيها فلسفة فولف وطورها. فقد استخدم كانط كتابه "الميتافيزيقا"، مثلاً، فى محاضراته، غير أن هذا الاستخدام لم يكن بدون نقد لمضامينه بالتأكيد. بيد أن أهمية بومجارتن لا تكمن، أساساً، فى علاقته بكانط،

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الإنسانية غريب عنه⁽¹⁾. إن الفيلسوف لا بد أن يتعقب معرفة بالحساسية، التى تلعب دوراً مهماً فى الحياة الإنسانية، وعلى الرغم من أنه قد لا يستطيع أن يبدع الجميل كما يفعل الفنان، فإنه يجب عليه أن يبحث عن معرفة نسقية بالجميل. ويعترف بومجارتن الإستاطيقا بأنها علم الجميل، وعلم الأشياء الجميلة. بيد أن الجمال هو الكمال فى مجال الحساسية أو المعرفة الحسية. ولذلك فإن الإستاطيقا هى علم كمال المعرفة الحسية. إن هدف الإستاطيقا هو كمال المعرفة الحسية من حيث إنها كذلك. وهذا هو الجمال⁽²⁾.

كما يصف بومجارتن الإستاطيقا بأنها فن التفكير بصورة جميلة. وهذا الوصف أو التعريف الذى يؤسف له يضيف على نفسه سوء فهم وسوء استخدام.

غير أن بومجارتن لا يقول إن علم الإستاطيقا يتمثل فى معرفة كيف نفكر فى "الأفكار الجميلة"؛ فهو يشير إلى فن استخدام ما يُسمى بالملكات الدنيا من جهة "كمالها". وإذا وضعنا تعريفاته المتنوعة أو صنوف وصفه المتنوعة معاً، فإننا نستطيع أن نقول إنه نظر إلى الإستاطيقا على أنها تمتد بسيكولوجيا الإحساس، وبمنطق الحواس، وبمذهب للنقد الإستاطيقى.

إن فكرة منطق للحواس ذات أهمية. وقد قام بومجارتن، بوصفه متابعاً لفولف، بترتيب العلوم الفلسفية فى نظام هرمى، ووضع بصورة مكافئة وطبيعية الإستاطيقا فى مكانة تابعة؛ لأنها تهتم بالقوى الدنيا وبالمعرفة الدنيا. إن الإستاطيقا، إذا كانت علماً على الإطلاق، لا بد أن تكون نشاط التفكير، لكن لأنها لا تعالج فرع الأفكار الواضحة، فإنها لا بد أن تأخذ مكانة دنيا فى سلم المعرفة إذا جاز هذا التعبير. كما رأى بومجارتن أنها لا تعالج الحدس الإستاطيقى من حيث إنه صورة من التفكير المنطقى الخالص الذى أخفق إلى حد ما فى أن يعيش مخلصاً لمعايير التفكير المنطقى. ومع ذلك فإنه ليس "غير منطقى". إن الحدس الجمالى له قانونه

(1) Section, 6.

(2) Aesthetics, Section, 14.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

أنه لا ينجم عن ذلك أن العبارات الشعرية ليست غير حسية. فهي تعبر عن حدوس وتحت على حدوس واضحة ليست غير عقلية، بل تمتلك مناظراتها الخاصة بالعقل. إنها بعبارة بومجارتن تمتلك "حياة المعرفة".

وبالطبع، يجب علينا ألا نغالي في أهمية بومجارتن. فهو من جهة، لم يكن "أبا الإستاطيقا". فإذا رجعنا إلى الوراء فى التاريخ، لوجدنا أن شافيتسبرى، وهاتشيسون، مثلاً، قد كتبوا من قبل فى هذا الموضوع فى إنجلترا. ومن جهة ثانية، كان النشاء المفرط ينصب أحياناً على إنجازاته، وبوصفها ترياقاً لا يجب علينا سوى أن ننظر إلى حكم "بندو كروتشه" وهو أن كتاب بومجارتن "الإستاطيقا مبتذل وعفا عليه الزمن ما عدا عنوانه وتعريفاته الأولى"⁽¹⁾. كما أنه لا يمكن إنكار أهميته فى تطوير النظرية الإستاطيقية فى ألمانيا. فمما لا شك فيه، بالفعل، كما يرى كروتشه، أنه كان بالغ الأهمية فى تاريخ الإستاطيقية بوصفها "علمًا فى تشكيل... إستاطيقا التشكيل وليس الإبداع"⁽²⁾، غير أنه لم يدرك على الأقل أنه يوجد شىء مثل فلسفة الإستاطيقا فحسب، وإنما للغة الإستاطيقا خصائصها أيضاً. لقد فسر الموضوع، بدون شك، على هدى فلسفة فولف، وكان عرضة للاتهام بأنه يتحدث بألفاظ عقلية تماماً، بألفاظ المعرفة و"الحقيقة" مثلاً. بيد أن المسألة التى يجب ملاحظتها هى أنه تخلى عن نقص التفسير العقلى الخالص للحدس الإستاطيقى والمتعة الإستاطيقية. وأنه مهد الطريق لتطور أبعد للنظرية الإستاطيقية. وأياً كانت مواطن النقص والقصور عند بومجارتن، فإنه رأى أن هناك جانباً من الحياة الإنسانية والنشاط الإنسانى يكون موضوعاً مناسباً للتأمل الفلسفى، غير أنه ليس فى إمكان أى شخص أن يفهمه سوى الذى يصر على أن يضعه فى مجال التفكير المنطقى المجرد، وإلا كان مصيره أن يُستبعد من الفلسفة تماماً.

(1) Aesthetics, Trans. By D. Ainslie, p. 218.

(2) Ibid, p. 219.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

انسجام مقدر منذ الأزل. وفضلاً عن ذلك، انتقد "جرسيوس" استخدام ليبنتس وفولف لمبدأ العلة الكافية، على الرغم من أن هذا لم يمنعه من أن يحل محله مبدأ أساسى خاص به؛ وهو القضية التى تقول إن ما لا يمكن أن نفكر فيه يكون كاذباً، وما لا يمكن أن نفكر فيه بوصفه كاذباً يكون صادقاً^(١). واستمد من هذه القضية المضينة ثلاثة مبادئ أخرى، هى: مبدأ التناقض، الذى يقول لا شىء يمكن أن يكون ولا يكون فى الوقت ذاته، ومبدأ عدم الانفصال، الذى يقول إن الأشياء التى لا يمكن "تصورها بصورة منفصلة لا يمكن أن توجد بصورة منفصلة، ومبدأ التعارض، الذى يقول إن الأشياء التى لا يمكن تصورها بأنها مترابطة لا يمكن أن توجد فى حالة ترابط. ولم يكن "جرسيوس"، بوضوح، وبالفعل، معارضاً لروح فلسفة فولف حتى إذا كان يبدو لمعاصريه أنه من خصوم فولف؛ لأنه رفض بعض الموضوعات التى تميز فلسفته. وبهذه المناسبة، كانت لدى كانط فكرة جيدة عن "جرسيوس"، على الرغم من أنه انتقد فكرته عن الميتافيزيقا.

(١) طبق جرسىوس المبدأ بهذه الطريقة مثلاً : إنه يمكن التفكير فى عدم وجود العالم. ولذلك لابد أن يكون مخلوقاً. ولذلك فإن الله موجود (المؤلف).

الفصل السادس

عصر التنوير فى ألمانيا (٢)

ملاحظات تمهيدية - فردريك الأكبر - الفلاسفة
الشعبيون - مذهب التأليه (الدين الطبيعي): ريماروس،
مندلسون - لسنج - السيكلوجيا - النظرية التربوية.

١ - (أ) كانت فلسفة فولف وأتباعه، بمعنى ما، درجة عالية من التنوير
الألماني. فلقد شكّنت برنامجاً، من حيث هي كذلك، لوضع كل مجالات
النشاط العقلي الإنساني أمام محكمة العقل. وكان هذا هو، بالتأكيد،
السبب فى معارضة اللاهوتيين اللوثريين والتنقيبيين لفولف؛ لأنهم
اعتقدوا أن نزعة العقلية كانت عدواً للإيمان. كما مثل مذهب فولف
صعود الطبقة المتوسطة المثقفة. إن العقل لابد أن يحكم على ما هو
مقبول، وما هو ليس مقبولاً فى الإيمان بالله. ويجب ألا تكون المعتقدات
الشخصية للملك، أو لصاحب السيادة المحلى هي العامل الحاسم فى
إرساء ديانة الناس. كما أن "الذوق" والحكم الإستاطيقى ليسا هما
الميزتين للأرستقراطيين، أو للعابرة؛ فالعقل الفلسفى يمكن أن يمد
سلطانه ونفوذه ليشمل مجال الإستاطيقا. إن قلة من الناس هي التي
تمارس الفلسفة بالفعل، لكن العقل كلى فى ذاته. فالاعتقاد، والأخلاق،
وأشكال الدولة والحكومة، والإستاطيقا، كلها تخضع لحكم العقل اللا
شخصى.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

"فولتير" و"مويرتيوس" Maupertuis إلى "بوتسدام"، حيث أحب أن يناقشهم في مسائل أدبية وفلسفية. وبالنسبة للفكر الإنجليزى، كانت لديه فكرة جيدة عن "لوك"، وأعد محاضرات لإلقائها عن فلسفته في جامعة "هاله".

وعلى الرغم من أن فردريك الأكبر كان يؤمن بالله، فإنه كان يميل إلى المذهب الشكى بقوة، وكان "بيل" Bayle من الكُتاب الذين كان يقدّره تقديراً عظيماً. لقد كان الملك من المفكرين الأحرار إلى حد كبير. كما أنه طوّر تبجيلاً لـ "ماركيوس أورليوس"، الإمبراطور الرواقى، وشدد مثل الرواقيين، على الإحساس بالواجب والفضيلة تشديداً عظيماً. ولذلك، حاول فى مؤلفه "مقالات عن حب الذات منظوراً إليه على أنه مبدأ الأخلاق" (عام ١٧٧٠) أن يبين أن حب الذات لا يمكن أن يكفى إلا عن طريق بلوغ الفضيلة وممارستها التى هى الخير الحقيقى للإنسان.

وبالنسبة لإنجازات فردريك الحربية وعزمه الناجح على النهوض بحالة بروسيا السياسية والعسكرية، قد يرغب المرء فى أن ينظر إلى "فيلسوف خلى البال"، كما كان يسمى نفسه، نظرة ساخرة. غير أن ثناءه على "ماركيوس أورليوس" لم يكن مجرد كلام تافه. ولا يريد أحد أن يصوّر الملك البروسى بأنه نوع من القديس الغريب والمروع، بيد أنه كان لديه، بدون شك، إحساس قوى بالواجب، وبمسئوليّاته، وعبارته فى كتاب "ضد ماكيافلى" (١٧٤٠) التى تقول إنه يجب على الأمير أن ينظر إلى نفسه على أنه الخادم الأول لشعبه، كان يقصدها بجدية. وربما كان مستبدًا، غير أنه كان مستبدًا مستنيرًا مهتم، مثلاً، بتعزيز الإجراء المنصف للعدالة، وبتطوير نشر التعليم، من التعليم الابتدائى حتى تطوير الأكاديمية البروسية وإعادة تنظيمها^(١). وقد كان فردريك أحد الأعلام فى التثوير الألمانى بسبب اهتمامه هذا بالتعليم.

(١) إن اهتمام فردريك بالتعليم هو الذى جعله يرفض السماح فى مقاطعاته بنشر مرسوم "بوب كليمنت الرابع عشر" بإلغاء "جمعية جيسس". ولم يرغب فى أن تلغى المدارس التى كان يعولها "جيسس" (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

(أ) ومن البارزين من بين المؤلفة الألمان "هيرمان صموئيل ريماروس" Herman Samuel Reimaeus (١٦٩٤ - ١٧٦٨)، وكان أستاذًا للغة العبرية واللغات الشرقية في جامعة "هامبرج جيمنازيوم"، ومن أهم مؤلفاته "دفاع عن عبادة الله العقلين". ولم ينشر "ريماروس" هذا العمل، بيد أن "لسنج" Lessing قام بنشر بعض أجزاءه في عام ١٧٧٤ - ١٧٧٧ تحت عنوان "شذرات فولفنبوتل". ولم يذكر "لسنج" اسم "ريماروس"، وإنما زعم أنه وجد هذه الشذرات في "فولفنبوتل". ونُشر جزء آخر عام ١٧٨٦ في برلين تحت اسم مستعار هو "شميت C.A.E. Schmidt"، وظهرت مقتطفات أخرى في عام ١٨٥٠ - ١٨٥٢.

لقد عارض ريماروس، من جهة، النزعة الآلية المادية الخالصة؛ فالعالم، من حيث إنه نسق عقلي، هو تجلٍ ذاتي لله؛ إذ لا يمكن تفسير نظام العالم بدون الله. وكان، من جهة أخرى، خصمًا لدوذاً للديانة التي تفوق ما هو طبيعي. إن العالم في ذاته هو تجلٍ إلهي، والتجليات الأخرى المزعومة هي اختراعات إنسانية. وفضلاً عن ذلك، فإن فكرة العالم من حيث إنها نسق مترابط علّياً هي الإنجاز العظيم للفكر الحديث، ولم نعد نقبل فكرة الوحي المعجز، والوحي الإلهي المفارق للطبيعة. إن المعجزات غير جديرة بالله؛ لأن الله يحقق أغراضه من خلال نسق معقول من الناحية العقلية. وبمعنى آخر، يتابع لاهوت "ريماروس" الطبيعي النموذج المؤله المؤلف.

(ب) وقد يُعد الفيلسوف اليهودي "موسى مندلسون" Moses Mendelssohn (١٧٢٩ - ١٧٨٦)، الذي كان صديقاً لـ "لسنج"، ومراسلاً لـ "كانط"، أحد "الفلاسفة الشعبيين"؛ بمعنى أنه ساعد على أن يجعل الأفكار الدينية والفلسفية لعصر التنوير شعبية ومؤلفة. غير أنه ذو أهمية ما في ذاته.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وحاول "مנדلسون" فى مؤلفه "فيدون أو عن خلود النفس" (عام ١٧٦٧) أن يجدد أفلاطون، ويثبت أن النفس ليست مجرد انسجام للجسم ولا شيئاً يمكن أن يفسد، يمكن، من حيث هو كذلك، أن يتبدد أو يختفى. وفضلاً عن ذلك، فإن للنفس دافعاً طبيعياً ومستمرّاً نحو الكمال الذاتى، ومما يتعارض مع الحكمة الإلهية والخيرية خلق النفس الإنسانية بهذا الدافع الطبيعى، ثم جعل تحققها مستحيلاً بالسماح لها أن تعود إلى العدم.

وبالتالى يستطيع الفيلسوف أن يبرهن على وجود الله وخلود النفس، وهما أساسان للدين الطبيعى. وعندما يفعل ذلك، فإنه يقدم، ببساطة، تبريراً نظرياً لحقائق يعرفها ذهن البشرى بصورة تلقائية، إذا ترك وشأنه، على نحو غامض على الأقل. غير أن ذلك لا يعنى أن الدولة يكون لها ما يبررها فى محاولة أن تدعم القبول الموحد للاعتقادات الدينية الخاصة. وليست هناك أى جماعة دينية تطالب أعضائها بتوحيد الاعتقاد من حقها أن تتوصل إلى مساعدة الدولة فى بلوغ هذا الهدف. وعلى الرغم من أنها تشجع، بالتأكيد، تكوين الأفكار التى تظهر فى نشاط مرغوب فيه، من حيث إن هذا يطابق حرية التفكير، فإنها يجب ألا تمد سلطتها الخاصة بالإكراه من مجال الفعل إلى مجال الفكر. إن التسامح هو المثال، على الرغم من أننا لا يمكن أن نتسامح مع أولئك الذين يحاولون أن يحلوا التعصب محل التسامح كما يرى لوك.

وقد وقع "مندلسون" فى خلاف مع "ياكوبى" حول إسبينوزا ومذهب وحدة الوجود. بيد أننا سنقول شيئاً عن هذا الخلاف فى الفصل الخاص بـ «لسنج»؛ لأن الخلاف نشأ فيما يخص مذهب إسبينوزا المزعوم عند لسنج.

٣ - عندما التحق "جوتهد إبراهام لسنج" G. E. Lessing (١٧٢٩ - ١٧٨١) بجامعة "ليزج" سجل فى قسم اللاهوت، بيد أنه ترك الدراسات اللاهوتية فى الحال من أجل مهنة أدبية، وأصبح شهيراً، بالتأكيد، كدرامى، وناقد أدبى وفنى. ومع ذلك، كان لا بد أن يشغل مكاناً فى

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بين حقائق الدين الطبيعي التي يمكن البرهنة عليها بالعقل، وعقائد ما يُسمى بالدين الموحى به، الذي يجب على المستنير أن يرفضه. ولا أعنى بذلك افتراض أن لسنج قبل، بالتأكيد، فكرة الوحي بالمعنى الأرثوذكسي؛ إذ إنه رفض فكرة الكتاب المقدس من حيث إنها وحي لا يمكن الشك فيه على سبيل المثال، وكان رائداً من رواد مذهب النقد الأسمى الذي أصبح رائجاً في القرن الثامن عشر. لكن كل ما في الأمر هو اقتناعه بأنه يجب الحكم على قيمة الأفكار الدينية والاعتقادات الدينية عن طريق تأثيرها في السلوك، أو عن طريق قدرتها على أن تؤثر في السلوك بطريقة مرغوب فيها. لم تكن الطريقة المسيحية للحياة موجودة بالفعل قبل أن يُحدد قانون العهد الجديد فحسب، وإنما أيضاً قبل أن يكتب أي إنجيل من الأناجيل. ولا يمكن لنقد الوثائق أن يؤثر على قيمة هذه الطريقة للحياة. ويتضح، من ثم، أنه إذا قامت كل الاعتقادات الدينية على التجربة في مآل الأمور، وإذا كان يجب تقديرها أساساً عن طريق ميلها لتطوير الكمال الأخلاقي، فإن تمييز المؤله بين حقائق الدين الطبيعي التي يمكن البرهنة عليها عقلياً، وعقائد المسيحية التي هي من صنع الإنسان يتلاشى ويختفي. إن تفسير "سنج" للعقائد المسيحية ليس هو التفسير الأرثوذكسي، بيد أنه سمح له في الوقت نفسه أن يقدم تقييماً وضعياً للمسيحية أكثر مما استطاع المؤله العقليون أن يقدموه لها.

ولا يعني "سنج"، بالتأكيد، أن هناك أسباباً أفضل متاحة لقبول موقف ديني ما أو فلسفي بدلاً من موقف آخر. بيد أن المسألة بالنسبة له هي درجات نسبية من الحقيقة ومن اقتراب لا ينتهي من حقيقة مطلقة بدلاً من الاقتراب من حقيقة مطلقة تمتلك صحة نهائية وكلية يمكن بلوغها في أي لحظة معينة. ويعبر عن وجهة النظر هذه بملاحظته الشهيرة، وهي أنه إذا قدم الله إليه الحقيقة الكاملة بيده اليمنى، والبحث الذي لا ينتهي عن الحقيقة بيده اليسرى، فإنه سيختار الثانية، حتى إذا كان ذلك يعني أنه يقع في الخطأ باستمرار. إن امتلاك الحقيقة الخالصة والنهائية لا يكون إلا بالنسبة لله فقط.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ألا يكون غير سعيد هنا على الأرض^(١). إن طفولة الجنس البشرى تناظر، بالتالى، الحالة التى صورها العهد القديم بصورة كبيرة أو قليلة. ويتبع هذه المرحلة مرحلة شباب الجنس البشرى، التى تناظر العهد الجديد. إن الدوافع النبيلة بالنسبة للسلوك الأخلاقى، وليست العقوبات والجزاءات الدنيوية، هى التى تحتل مكان الصدارة. ولابد من التمييز بخلود النفس وبالجزاء الأزلى من الآن فصاعداً. وقد تطور فى الوقت نفسه مفهوم الله من حيث إنه إله إسرائيل إلى مفهوم الأب الكلى العام، وحل مثال النقاء الداخلى للقلب من حيث إنه إعداد للجنة محل طاعة خارجية فحسب لقانون من أجل بلوغ رخاء مؤقت. لقد أضاف المسيحيون، بالفعل، تأملات لاهوتية من عندهم إلى تعاليم المسيح، بيد أنه يجب أن ندرك فيها قيمة إيجابية؛ لأنها تحث على ممارسة العقل، واعتاد الإنسان أن يفكر بواسطتها فى أشياء روحية. ويذكر "سنج" بعض الطقوس الخاصة ويعقّبها، بيد أن المسألة المهمة هى أنه لم يعقّبها لأنه رأى فيها قيمة إيجابية. وهو فى هذه المسألة يتطلع إلى هيجل بدلاً من أن يرجع إلى المؤلّهة. وأخيراً، هناك مرحلة رجولة الجنس البشرى. "إنه سيأتى بالتأكيد زمن كتاب مقدس جديد وأزلى، وعدنا به فى الكتب الأولى للعهد الجديد"^(٢). ومصطلح "الكتب الأولى" ليس مصطلحاً سيئ الاستعمال؛ لأن كتب العهد القديم هى كتب بدائية بالنسبة لـ "سنج"، إذا ما قورنت بالعهد الجديد، فى حين أن كتب العهد الجديد هى كتب بدائية إذا ما قورنت بالمرحلة الأبعد للوحى الإلهى. وفى هذه المرحلة الثالثة للوحى يفعل الإنسان الخير من أجل الخير، وليس من أجل الجزاء، سواء أكان دنيوياً أو سماوياً. ومن ثم يشدد "سنج" على التربية الأخلاقية للجنس البشرى. وهذه عملية مستمرة لا تتوقف، ويفترض لسنج نظرية البعث أو التجسد. والقول بأنه يؤكد النظرية يترتب عليه أن يقول الكثير؛ فهو يفترضها فى سلسلة من التساؤلات منها: "لماذا لا يستطيع كل موجود بشرى فردى ألا يوجد فى هذا العالم أكثر من مرة؟ هل هذا الفرض تافه؛ لأنه الأقدم؟... لماذا لا أعود فى الغالب لأكتسب معرفة جديدة، وقدرات جديدة"^(٣).

(1) Education of the Human Race, 17.

(2) Ibid, 86.

(3) Education of the Human Race, Section, 94-8.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ممكنة فى ماهية الله الثابتة. لكن "ألم يخطر ببالك على الإطلاق، أيها المجبر على أن تتسب إلى الله أفكار الأشياء الممكنة، أن أفكار الأشياء الممكنة هى أفكار ممكنة؟". إن لسنج لم يعط للفردية قيمة أكثر مما فعل إسبينوزا، وإنه، كما رأينا، يحدد على حركة التاريخ إلى هدف، وهو الكمال الأخلاقى. ومن ثم فإن نظرياته تتطلع إلى مذهب مثالى متأخر إلى حد ما مع تشديده على تطور تاريخى بدلاً من أن يرجع إلى إسبينوزا. بيد أن السؤال ليس هو عما إذا كان لسنج فسر إسبينوزا تفسيراً صحيحاً، وإنما عما إذا كانت هناك حقيقة خاصة بالسيرة الذاتية فى ملاحظاته على "ياكوبى". ويبدو واضحاً أن ثمة حقيقة خاصة بالسيرة الذاتية فى ملاحظاته.

إن النزاع حول مذهب وحدة الوجود المزعوم ليس مفيداً على الإطلاق بمعنى ما. والسؤال عما إذا كان مذهب وحدة الوجود هو مذهب الإلحاد تحت اسم آخر، هو سؤال تعالجه مصطلحات محددة بصورة جيدة. غير أن النزاع له تأثير الأهمية الدافعة فى فلسفة إسبينوزا، أعنى أفكاراً عنها غامضة وغير دقيقة.

وفى مجال النظرية الأساطيقية تعهد لسنج فى مؤلفه "لاؤكون" (عام ١٧٦٦) بأن يحلل الخصائص التى تميز الشعر والفن التشكيلى، أعنى للرسم والنحت. وقد لاحظ الناقد العظيم "فنكلمان"^(١) (١٧١٧ - ١٧٦٨) أن الأثر الفنى لـ "لاؤكون"^(٢)

(١) فنكلمان، عالم آثار ألممانى، وناقد فنى، ومؤسس علم الآثار المسمى، وشارح الفن الكلاسيكى (المترجم).

(٢) لآؤكون، ابن بريام ملك طروادة وهيوكيا فى الأساطير اليونانية، تولى فى حرب طروادة وظيفة كاهن أو بوزيدون وأبوللو. عندما علم بالخدعة التى قام بها الإغريق وهى خدعة الحصان الخشبنى انطلق ساخطاً، وحاول أن يشي مواطنيه عما اعتزموه وأن يصور فى أذهانهم هذا التمثال الضخم الذى تركه الإغريق خدعة أو آلة حربية. ولكن الطرواديين اعتبروا عمله هذا كفرًا لشبهة إيمانهم بالهتهم... (انظر فى ذلك : د. إمام عبد الفتاح، معجم ديانات وأساطير العالم، المجلد الثانى، مكتبة مدبولى، ص ٢٩٦) (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وتعطى هذه الملاحظات العريضة إلى حد ما، مع إنها صريحة، صورة لا تكفى إلى حد كبير عن لسنج من حيث إنه كاتب فى النظرية الإستاطيقية، ومن حيث إنه ناقد للفنون الجميلة. إنه ليس، بالفعل، مفكراً أصيلاً، بالمعنى الذى يمتلك به المرء أفكاراً جديدة فى الفلسفة أو فى النظرية الإستاطيقية. وقد تأثر فى مجال النظرية الإستاطيقية بكتاب فرنسيين، وإنجليز، وسويسريين، وتأثر بأرسطو بالنسبة للدراما. لكن على الرغم من أنه يمكن مقارنة بعض أفكاره فى مكان آخر، فإن له الفضل فى أنه جعل هذه الأفكار حية، وبهذا المعنى يكون، على الأقل، أصيلاً ومبدعاً. إنه يرى فى افتتاحية مؤلفه "لاؤكون" أن الألمان لا تتقصهم الكتب النسقية". ويقول إن عمله هو قد لا يكون نسقياً، ومختصراً مثل عمل "بومجارتن"، بيد أنه كان يز هو بنفسه ذاهباً إلى أنه بينما يسلّم بومجارتن بأنه أخذ كثيراً من النماذج التى اقتبسها فى كتابه "الإستاطيقا" من كتابات جزنر Gesner، فإن نموذجى الخاص يُطعم بكثير من المصادر". وبمعنى آخر، لقد حاول، كما يتوقع المرء عن شخص هو نفسه درامى وشاعر، أن يقيم تأملاته الإستاطيقية بالنظر إلى الأعمال الفعلية للفن والأدب. وبالتالي فإنه مما لا شك فيه أن تفكير لسنج انصرف عن المذهب الشكلى، وعلى الرغم من اعتماده على كتاب آخرين بالنسبة لأفكاره الفردية، فإنه قدمها على نحو يحث على تأملات أبعد، إن لم تكن مختلفة. ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن ملاحظاته فى مجالى الميتافيزيقا وفلسفة التاريخ.

وتبين فترة عصر التنوير بدايات دراسة السيكولوجيا فى ألمانيا. وعلم مهم فى هذا المجال هو "يوهان نيكولا تينتس" Johann Nikolaus Tents (١٧٣٦ - ١٨٠٧)، الذى كان يشغل وظيفة أستاذ فى الفلسفة فى جامعة "كيل" مدة من الزمن. وفى عام ١٧٨٩ قبل دعوة لشغل وظيفة فى جامعة "كوبنهاجن".

إن النزعة العامة لتفكير تينتس هو التوسط بين فلسفة إنجلترا التجريبية وفلسفة القارة العقلية. إنه لم يكن لاميتافيزيقياً على الإطلاق. فقد نشر بالفعل أعمالاً عن الميتافيزيقا وعن البراهين على وجود الله التى يؤكد فيها إمكان الميتافيزيقا

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

التجريبى للسلوكى. بىء أنه اهتم بالتوفىق بىن رأى لىبنس عن النفس من حبث أنها جوهر بسىط، أو موناد، وتللىل هىوم الظاهرى للنفس. وىسلم "فون كرىز" مع هىوم بأننا لا نستطىع أن نكتشف مسألة مثل الأنا المىتافىزىقىة التى لىس لها امتداد. ورفض فى الوقت نفسه الإقرار بأن النفس ىمكن أن تتحل إلى ظواهر متمىزة ومنفصلة. إنها تملك، بالفعل، أجزاء، وبهذا المعنى فإنها ممتدة، عىر أن الأجزاء لىست قابلة للانفصال. وإمكان انفصال أجزاء النفس هذا ىمىزها عن الأشياء المادىة وىكون سبباً لتأكىد خلود النفس، حتى إذا كانت الأسباب البعىة لهذا التأكىد توجد فى وحى إلهى.

إن تنس هو، بالتأكىد، أكثر أهمىة من كرىز بالنسبة لتطویر السلوكى. فقد أصر، كما رأینا، على المنظور التللىلى الدقىق. عىر أنه فى الوقت نفسه ربط السلوكىة التللىلىة بفلسفة عامة عن الطبىعة البشرىة وتطورها، كما ىشیر عنوان عمله الرئىسى. وفى رأیه ىجب علینا ألا ندرس، ببساطة، أصول الأفكار البشرىة فى التجربة مثلاً، وإنما ىجب أن ندرس تطور الحىاة الإنسانىة العقلىة حتى تعبیرها فى العلوم المختلفة. كما ىشیر إصراره على الشعور من حبث إنه "قوة" متمىزة إلى دراسة التعبير عن حىاة الشعور والحساسىة فى عالم الفن والأدب.

ه - إن تأثیر كتاب "إمىل" لروسو على النظرىة التربوىة فى ألمانیا إىان عصر التتویر ملحوظ وذو أهمىة. وقد أحس "یوهان برنارد باسىدو" J. Bernhard Basedow (١٧٢٣ - ١٧٩٠)، مؤلف مجلد ضخم، من بىن کتابات تعلیمىة أخرى، عنوانه "عمل مبدئى" (عام ١٧٧٤)، وهو نوع من دائرة معارف للمعلمین، ونص للأباء والأولاد، نقول لقد أحس "باسىدو" بهذا التأثير. لكن بىنما تأثر باسىدو بفكرة روسو عن تعلیم "طبیعى"، فإن نظریته التربوىة لم تعقدها فروض عن الآثار الضارة للحضارة على الإنسان. ومن ثم اقترح أن هدف التربىة ومرضها هو إعداد الأطفال لحىاة وطنىة وسعىة من أجل الخیر العام. وقد تأثر ب

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل السابع

الانسلاخ عن عصر التنوير

هامان - هررد - ياكوبى - ملاحظات ختامية

١ - أثناء وفاة فولف، كان هناك نمط مختلف من الرجال، وهو يوهان جورج هامان J. George Hamann (١٧٣٠ - ١٧٨٨)، فى الرابعة والعشرين من عمره. لقد كان فولف نسقيًا، أما هامان فإنه لم يكن لديه استخدام لأنساق فلسفية. لقد مثل فولف التجريد وقوة الذهن الاستدلالي، أما هامان فقد كره ما كان ينظر إليه على أنه تجريد ذو بُعد واحد، ورفض طغيان العقل الاستدلالي. لقد بحث فولف عن الأفكار الواضحة والتميز، أما هامان فقد عالج منطوقات خفية الدلالة التي ساعدته على أن يُلَقَّب بـ "مشعوذ" الشمال. وبمعنى آخر، لقد انصرف هامان عن المذهب العقلى فى عصر التنوير الذى يمثّل بالنسبة له سلطة الشيطان بدلاً من العقل الإلهي.

هامان من مواليد "كونجسبرج"، وكان شخصية مضطربة، انتقل من فرع من فروع الدراسة إلى فرع آخر، ومن وظيفة إلى أخرى، انتقل من وظائف مثل مربى فى أسرة إلى وظائف نافهة قليلة الأهمية فى عالم التجارة. وعندما انحط به الحال حتى الفقر المدقع، والعذاب الداخلى للنفس، كرس نفسه لدراسة الكتاب المقدس، وطوّر النزعة التقوية المتطرفة التي كانت ميزة من مزايا كتاباته. وقد أعد هررد وياكوبى من بين أصدقائه، كما أنه كان صديقاً حميماً لكائط، على الرغم من أنه انتقد فلسفته بشدة عندما بدأ كائط، مستيقظاً من سباته الدوجماتيقي، ينشر كتبه النقدية.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بالفعل^(١). وعلى أية حال، إنه لم يقتنع بالإصرار على الطابع الطبيعي للكلام البشري، وفصله عن فكرة الاختراع بواسطة العقل. لقد أكد أصله الإلهي الخالص.

كما أن هامان لم يقتنع بالهجوم على طغيان العقل الاستدلالي وقدرته المزعومة، وبإفساح المجال في الحياة الإنسانية للإيمان بالله، وبوحى إلهي. لقد أدت به نزعة التقوية إلى التقليل من شأن العقل، وأن يجد متعة ولذة في تقييد سلطته. إن ما له أهمية بالنسبة له هو أن هناك عبقرية شعرية، ولكنها ليست علمية. فنحن لا نستطيع أن نتحدث عن العلماء العظام بوصفهم عباقرة؛ لأنهم يعملون بالعقل، والعقل ليس أداة الإلهام. وليس الأمر ببساطة في المجال الديني أن لاهوت فولف الطبيعي لا يكفي؛ فقد تم التخلص منه باسم الإيمان. وفي حين أن وجهة نظر هامان عن التاريخ من حيث إنها تعليق على الكلمة أو التعبير الذاتي عن الله، كان لها تأثير قوى على تفكير هردر، فإن هامان كان محيرًا ومربكًا إلى حد ما باستخدام هردر لمصادر دنيوية، وبمحاولته أن يطبق منهجًا علميًا في تفسيره للتاريخ. إن للتاريخ مثل الأنابيل، من وجهة نظر هامان، معنى صوفيًا داخليًا، أو معنى "حقيقيًا" أوحى به الله، ولم يبلغه المجهود الدؤوب والمستمر للعقل. وبمعنى آخر، لقد مال هامان إلى أن يطبق على فهم التاريخ التصور البرونستانتى للمعنى الحقيقي للنحت من حيث إن الروح القدس هي التي أوحى به إلى المؤمن الفرد الصامت المصلى. إن التفسير الأكثر عمقًا، سواء للكتاب المقدس أو للتاريخ، هو أنه هو عمل الله وحده.

ومع ذلك، لا نستطيع أن نصرف النظر عن "هامان" بوصفه مجرد واحد من التقويين، الذي إذا كان يستحق أى اهتمام عن طريق الفيلسوف، فإنه لا يستحقه إلا بمعنى أن المرء قد يلتفت بعض الانتباه إلى خصومه. فرأيه عن التاريخ من حيث إنه وحي إلهي، أو من حيث إنه عمل للعناية الإلهية، الذي شاركه فيه هردر، لا بد أن

(١) ما يقوله هامان هو أنه في البداية كانت كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة رمزًا بالنسبة للإنسان، أو أنها كانت ضامنًا للتواصل الإلهي، أو أنها كلمة حية. واللغة هي استجابة طبيعية لإدراك الطبيعة ومعرفتها بوصفها كلمة إلهية (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

٢ - عارض هامان المذهب العقلي في عصر التنوير بوضوح. ومع ذلك، عندما نولي وجوهنا شطر هردر، فإننا نجد رجلاً بدأ من وجهة نظر التنوير (بقدر ما يكون للمرء المبرر في أن يتحدث عن "وجهة نظر")، وزلزل عمله بعيداً عنه. ولذلك بينما كان المؤرخون على حق تماماً في أن يتحدثوا عن انسلاخه عن عصر التنوير، فإنه من الممكن أيضاً أن يتحدثوا عن تطويره لخطوط معينة من التفكير داخل حركة التنوير. وما نختار أن نقوله عن هذه المسألة يعتمد، إلى حد ما بالتأكيد، على الطريقة التي نحدد بها ألفاظاً معينة. وإذا كنا نعني بعصر التنوير النزعة العقلية عند فولف والنزعة الفردية عند عدد من المفكرين، فإنه يتضح أن هردر انسلخ عن عصر التنوير. لكن إذا أعطينا للمصطلح مجاًلاً أكثر اتساعاً من المعنى، فيندرج تحتها الجذور الأولى للمواقف التي عبر عنها هردر، فإن كلمة "ينسلخ" قد تبدو أنها حادة للغاية. ومع ذلك، فإنها تساعد على الوضوح إذا اتبع المرء الممارسة التقليدية، ونظر إلى هردر على أنه ثار على عصر التنوير وانسلخ عنه.

ولد "يوهان جوتفرد هردر" J. G. Herder (١٧٤٤ - ١٨٠٤) في "موهرونجن" في بروسيا الشرقية، وهو ابن مدرس من أنصار النزعة التقوية. وسجل كطالب للطب في جامعة "كونجسبرج" في عام ١٧٦٢، إلا أنه غير، في الحال، تخصصه من الطب إلى اللاهوت. وقد اظب على حضور محاضرات كانط الذي كان يشرح فلسفة فولف التقليدية، ويعطى مقررات في علم الفلك والجغرافيا، وعرفه كانط على كتابات روسو وهيوم. كما كونَ هردر صداقة في كونجسبرج مع هامان، على الرغم من أنه كان من الصعب أن يتأثر في الحال بصديقه اللا عقلي بعمق؛ لأنه عندما انتقل إلى "ريجا" في عام ١٧٦٤، ساهم بمقالات ومراجعات في دوريات ومجلات عصر التنوير. وفي عام ١٧٦٥ رُسم قسيساً بروتستانتيًا.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ويبدو أن ذلك له صلة ضئيلة بالفلسفة. لكن من الممتع أن نلاحظ كيف ميّز هردر (وليس هردر وحده بالتأكيد) بين أنواع مختلفة من اللغة. وفضلاً عن ذلك، رأى هردر أن مسألة الاستخدام ذات أهمية عظيمة. وإذا بحثنا عن أصول الأنواع المختلفة للغة، فإننا نفعل ذلك لكي نفحص استخداماتها بصورة أكثر دقة، كما يخبرنا. واستخدامات اللغة موضوع نوقش بصورة أكثر وضوحاً في الفلسفة الإنجليزية الحالية. كما يمكن النظر إلى إصرار هردر على الشعر الألماني، وعلى الشعر التلقائي للناس من حيث إنه الأساس لأدب شعري متطور على أنه المرحلة الأولية في تطور فلسفته المتأخرة عن الثقافة والتاريخ، التي تشدد على تطور الثقافات القومية منظوراً إليها على أنها صنوف من الكل تلعب فيها اللغة دوراً مهماً للغاية.

ويأخذ هردر في كتابه "غابات أو أيكات نقدية" (عام ١٧٦٩) كتاب لسنج "لاؤكون" نقطة بداية لانطلاقه، على الرغم من أنه كان يضع نصب عينيه بعض النقاد الآخرين إلى جانب لسنج، الذي اعترف به كدرامي شهير. يتعرض هردر في عمله لصنوف من المسائل، فيميز النحت والتصوير، مثلاً، ويبرهن على أنه على الرغم من أن هوميروس هو، بالفعل، أعظم شعراء اليونان، فإن إبداعات عبقريته الشعرية مقيدة تاريخياً، وأن ممارسته لا يمكن أن تؤخذ كمعيار. وهذا أمر واضح جداً بالنسبة لنا، بيد أن وجهة نظر هردر مهمة وذات دلالة من حيث إنها تمثل جانباً من إحساسه بالتطور التاريخي ورفضه للتنظير، ولنقد عقلي ومجرد بصورة خالصة.

يخضع هردر في البستان الرابع من "غابات أو أيكات نقدية"، الذي لم يُنشر إبان حياته، أفكار فردريك جستس ريدل F. Justus Riedel (١٧٤٢ - ١٧٨٦)، مؤلف كتاب "نظرية الفنون الجميلة والعلوم" (عام ١٧٦٧)، نقول إنه أخضع هذه الأفكار لنقد لاذع. لقد أكد ريدل وجود ثلاث ملكات أساسية للعقل هي: الحس المشترك، والضمير، والذوق، وهي تناظر ثلاثة مطلقات، هي: الصادق، والخير، والجميل. لقد برهن هردر، مثلاً، أنه من السخف واللغو أن نفترض أن هذه الملكات الثلاث هي

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

استقال هردر فى عام ١٧٦٩ من وظيفته كراخ لكنيسة فى "ريجا"، وقام برحلة بحرية إلى "نانتس"، وذهب بعد ذلك إلى باريس ثم إلى ستراسبورج حيث اتفق مع الشاب "جوته" (١٧٧٠ - ١٧٧١). وكانت الثمرة الأدبية لرحلته إلى "نانتس" كتابه "يوميات الرحلة". وهذا الكتاب ذو أهمية ملحوظة من حيث إنه يمثل تصورا فى تفكير هردر، على الرغم من أنه لم يكن ينوى نشره. وبالسرجوع إلى الوراء، فإنه يعبر عن عدم رضائه بالأساليب المملة للنقد الإستطائقي، ويصف كتابه "مرتجلات نقدية" بأنه عقيم، وجاف، وكثير، ويأمل أن يكرس نفسه لدراسة اللغة الفرنسية، والعلوم الطبيعية، والتاريخ، أعنى أنه يأمل أن يكرس نفسه لاكتساب معرفة وضعية بالعالم والناس. ولو أنه سلك بهذه الطريقة، فإنه لن يصبح محبرة ومستودعا للطباعة. وإذا نظرنا إلى الأمام، فإنه يبحث عن نوع جديد من المدارس والتربية يسير فيه الطفل عن طريق مراحل تدريجية من التعرف إلى بيئته الطبيعية من خلال تقديم عيني وملموس للجغرافيا، والأنتوجرافيا، والفيزياء، والتاريخ إلى دراسة نسقية وأكثر تجريدا لهذه العلوم. وسيكون المنهج، بالتالى، هو المنهج الاستقرائي، الذى ينتقل من العيني إلى المجرد، حتى إن الأفكار المجردة تؤسس فى التجربة. ويشكل التعليم الدينى والأخلاقي، بالتأكيد، جزءا مكملًا للخطة العامة. وستكون النتيجة المرجوة هى تطوير لشخصية إنسانية متوازنة ومتكاملة. وبمعنى آخر، إن تفكير هردر فى كتابه "يوميات الرحلة" تسوده أفكار المعرفة الوضعية، وأفكار التربية.

ونجح هردر فى "ستراسبورج" فى أن يوصل إلى "جوته" بعض اهتمامه الخاص بالشعر الشعبى وتقديره له، وبالتراث الثقافى القومى. كما أنه كتب "بحث عن أصل اللغة"، ولأنه كتبه فى نهاية عام ١٧٧٠، فإنه حاز على جائزة فى بداية عام ١٧٧١ قدمتها أكاديمية برلين. ولأن هردر رفض الآراء المعارضة المتطرفة لأصل اللغة الإلهى من جهة، و "لاختراعها" من جهة أخرى، فإنه أصر على أن مسألة أصل اللغة هى مسألة لا يمكن حلها إلا على أسس دليل تجريسي يخص

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

النظر إلى كذب بعض المزاعم التي ادعاهها البعض لمصلحة القرن الثامن عشر. فالأفكار الجلييلة والمبادئ الجلييلة كونها القرن الثامن عشر وعبر عنها مثلاً، بيد أن الميل والدافع إلى العيش بنبل ولطف قد ضعفا ووهنا. كما أن أوروبا المستتيرة تباغت بحريتها، لكنها تجاهلت عبودية طبقة لطيفة تجاهلاً تاماً، وانتقلت ردائل أوروبا إلى قارات أخرى.

ومع ذلك، فإن ما هو أكثر أهمية من وجهة نظر فلسفية من هجوم هرذر على الإعجاب الذاتي بأناس عصر التنوير هو هجومه على تأريخهم الخاص؛ إذ إنهم نظروا إلى التاريخ بفرض سابق، أعنى أن التاريخ يمثل حركة إلى الأعلى من تصوف ديني وخرافة إلى أخلاق حرة لا دينية. لكننا إذا درسنا التاريخ على هدى هذه الفروض السابقة، فإننا لن ننجح في أن نفهمه في حقيقته العينية على الإطلاق. إنه يجب علينا أن ندرس كل ثقافة، وكل حقبة للثقافة بذاتها، سابرين الأغوار في حياتها المركبة، ومحاولين فهمها، بقدر المستطاع، من الداخل، بدون أحكام عما هو أفضل وما هو أسوأ، وما هو أكثر سعادة، وما هو أقل سعادة. إن كل أمة تحمل بداخلها، كما يقول هرذر، سعادتها الخاصة، ويصدق الشيء ذاته على كل مرحلة من مراحل تطورها. إننا لا نستطيع أن نقول بوجه عام إن مرحلة الشباب أكثر سعادة من مرحلة الطفولة، أو أن مرحلة الهرم أكثر تعاسة من مرحلة الشباب. ولا نستطيع أن نضع تعميمات مماثلة عن أمم إبان تطورها.

إن هناك نزعة تاريخية في هذا الموقف بالتأكيد. بيد أن هرذر يصر، بوضوح، على حقيقة مهمة هي أنه إذا أردنا، بالفعل، أن نفهم التطور التاريخي للإنسان، فإنه يجب علينا ألا نقحم المعطيات التاريخية في أسلوب يجبر الناس على أن يتبعوا بالعنف خطة متصورة سلفاً. ويبدو ذلك واضحاً بدرجة كافية لنا الآن. غير أنه إذا سلمنا بالميل العام لعصر التنوير إلى استخدام التاريخ للبرهنة على أطروحة، وأطروحة مشكوك فيها، فإن وجهة نظر هرذر لم تكن بديهية على الإطلاق في الوقت الذي طرحها فيها.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

نشر هردر في سنواته الأخيرة عددًا من الكتابات اللاهوتية، وبصفة خاصة "كتابات مسيحية" (في عام ١٧٩٤ - ١٧٩٨)، التي هي، بوجه عام، عقلية بصورة نشير الإعجاب والدهشة، وأكثر مما يتوقع المرء من رجل من رجال عصر التنوير وليس صديقًا من أصدقاء هامان. كما أنه كتب معارضًا فلسفة كانط النقدية، التي كان يستهجنها بشدة. وفي عام ١٧٩٩ نشر كتابًا عنوانه "ما وراء نقد العقل الخالص"، قدّم فيه عمل كانط على أنه تلاعب بالألفاظ، وعلى أنه فظاعة لغوية، ويتضمن تخليدًا لعنوان خاطئ لفرع من فروع السيكولوجيا. ويجب ألا يؤخذ هذا ليعنى أن نقد هردر يتكون من سباب ليس عقلائيًا؛ فهو على العكس يتكون من فحص محكم لنظريات كانط. فهو يؤكد، مثلاً، عكس النظرية الكانطية، أن القضايا الرياضية تأليفية، أي إنها "هي هي"، أعني أنها تكون ما يسميه فجنشتين "تحصيل حاصل". كما يرفض هردر وجهة نظر كانط عن المكان والزمان. فعالم الهندسة لا يحل الصورة القبلية للمكان؛ لأنه لا وجود لمثل هذه الصورة. وحتى إذا لم يفسر هردر بوضوح ما يحلله عالم الهندسة، فإنه يبدو أن ما يحلله هو مضامين بديهياته ومسلّماته الأساسية. غير أن تفسير هردر للرياضيات هو ليس سوى مثال معين لنقده لكانط. إن خط تفكيره الرئيسي هو أن مشروع كانط كله متصور تصورًا خاطئًا. فحتى إذا كانت هناك ملكة منفصلة تُسمى "العقل" فإن الحديث عن "نقدها" يخرج عن النظام. إنه يجب علينا بالأحرى أن نبدأ باللغة؛ لأن الاستدلال لا يُعبّر عنه باللغة فحسب، بل إنه لا ينفصل عنها أيضًا، على الرغم من إنه لا يلزم كل استخدامات اللغة. إن التفكير، كما يرى هردر، هو كلام داخلي، في حين أن الكلام بالمعنى العادي هو كلام بصوت جهور، أو التفكير بصوت جهور، كما نشاء. ليس هناك "عقل" من حيث إنه كيان، وهناك عملية فقط، أو نشاط للإنسان من حيث إنه شخصية كلية، واللغة هي أداة ضرورية لهذه العملية، فهي تنشأ معها. إن كتاب "نقد العقل الخالص" يقوم، بالفعل، كما يرى هردر، على سيكولوجيا خاطئة.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

سنواته الأخيرة، أن ينافس تأثير جوته في ميدان الأدب، ذلك التأثير الذى شعر به لا محالة حتى أولئك الذين اختلفوا معه ^(١).

٣ - لقد أشرنا من قبل إلى "ياكوبى" عندما كنا نتحدث عن الجدل الذى دار حول مذهب وحدة الوجود. لقد كان "فردريش هينرش ياكوبى" F.H. Jacobi (١٧٤٣ - ١٨١٩)، الذى أصبح رئيساً لأكاديمية العلوم، فيلسوفاً للإيمان. إذ شدد على واقعة تقول إن هدفه ليس إقامة مذهب أكاديمى من مذاهب الفلسفة على الإطلاق، فكتاباته هى، على العكس، تعبیر عن حياته الداخلية والتجربة الباطنية، وهى مفروضة منس، إن جاز هذا التعبير، عن طريق قوة عليا لا تقاوم.

قام ياكوبى بدراسة عن إسبينوزا، وفلسفة إسبينوزا هى، فى رأيه، التنسيق المنطقى الوحيد؛ لأن العقل البشرى لا يستطيع أن ينتقل، فى عملية البرهنة على الحقائق، من المشروط إلى المشروط: إنه لا يستطيع أن يتجاوز المشروط إلى ألوهية مفارقة. ومن ثم، لا بد أن تودى كل البراهين الميتافيزيقية على علة قصوى للوجود إلى واحدة؛ أى إلى تصور نسق - للعالم، يكافئ، كما يؤكد ياكوبى فى مناظرته مع مندلسون، الإلحاد. بيد أن هذا لا يعنى أنه يجب قبول مذهب إسبينوزا. فعلى العكس، لا بد من رفضه باسم الإيمان، الذى هو من شأن القلب، وليس من شأن العقل التأمل النظرى.

ونتيجة هذا الموقف هى، بالتأكيد، الفصل التام بين الفلسفة من جهة ومجال الإيمان من جهة أخرى. إن محاولة البرهنة على وجود الله تكافئ المحاولة لرد الله إلى موجود مشروط. ولا بد أن تودى الميتافيزيقا النظرية التأملية، على المدى

(١) أصبح هردر فى سنواته الأخيرة غريباً عن جوته، الذى وجد هردر متأثراً بروح التناقض المتجهمة. ولم يولع جوته الممثل العظيم للمذهب الكلاسيكى الألمانى بـ « هردر » على الإطلاق، كما يرى شيلر، وامتعض، من حيث إنه كان معجباً بكائط، بهجوم هردر على الفلسفة النقدية، ذلك الهجوم الذى لم يكن لائقاً، وساعد على عزل هردر (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الانتباه إلى واقعيتين، هما: الأولى أنه قبل هذه الفلسفة، من حيث إنها تتفق مع فكرته عن قصور العقل الاستدلالي، عن أن يتجاوز مجال ما هو محسوس، والثانية أنه رفضها من حيث إنها تؤكد الوعي المباشر بالله وبالقيم الأخلاقية. كما أنه يجب أن نلاحظ أن مذهب كانط عن الشيء في ذاته هو شذوذ من وجهة نظر ياكوبى، ليس بمعنى أنه ليست هناك حقائق تتجاوز ما هو ظاهرى، وإنما بمعنى أنه لا يمكن تأكيد الأشياء في ذاتها داخل فلسفة كانط إلا باستخدام المبدأ العلى، على الرغم من أن هذا المبدأ هو مبدأ مؤسس ذاتيًا كما يرى كانط، ولا يمكن تطبيقه إلا على الظواهر.

٤ - رأينا أن المفكرين الثلاثة كلهم الذين عرضنا لهم في هذا الفصل لا يعارضون النزعة العقلية في عصر التنوير فحسب، وإنما أخضعوا أيضًا فلسفة كانط النقدية الجديدة للنقد. ومع ذلك، فإنه من فلسفة كانط نشأت الحركة العظيمة للمذهب المثالى النظرى الألمانى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. إن بعض الاعتراضات التى أثاروها ضد كانط شارك فيها المثاليون بالفعل. فاعتراض ياكوبى أن تأكيد كانط على الشيء في ذاته، عندما نأخذه بالإضافة إلى مذهبه عن المقولات، يضع كانط في مكانة مستحيلة، أثاره أيضًا فثبته. بيد أن خط التفكير الذى يأخذه المذهب المثالى النظرى ليس هو على الإطلاق الخط الذى استحسنه هامان أو هردر، أو ياكوبى. (اتهم ياكوبى شلنج بمحاولة إخفاء نتائج إسينوزا في تفكيره). وبهذا المعنى فإنهم قاوموا تيارًا كان يتضح أنه قوى للغاية بالنسبة لهم. وفي الوقت نفسه كان لا بد أن تتحد فكرة هردر عن التاريخ من حيث إنه تربية تقدمية للبشرية ومن حيث إنه تجلٍ للعناية الإلهية، إلى جانب إصراره على كل عضوى، في كل من المجالين الثقافى والميكولوجى، من حيث إنه ضد تفكيك تحليلى، في الحركة المثالية، وبصفة خاصة في مذهب هيجل. وصحيح أن هامان ناصر أيضًا فكرة التاريخ من حيث إنه نوع من التعليق على اللوجوس

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الجزء الأول...

عصر التنوير في فرنسا

الفصل الثامن

روسو وفيكو

ملاحظات افتتاحية - اليونان - القديس أوغسطين
- بوسويه - فيكو - مونتسكيو.

١ - الشعر، كما يرى أرسطو في كتابه "الشعر"^(١)، "هو شيء فلسفي وذو أهمية أعظم من التاريخ؛ لأن عباراته هي عبارات الطبيعة، وليست عبارات الكليات، بينما عبارات التاريخ جزئية"^(٢). إن العلم والفلسفة يهتمان بالكلّي، بينما التاريخ هو مجال الجزئي والممكن. إن الشعر ليس، بالتأكيد، فلسفة أو علماً، بيد أنه "فلسفي" أكثر من التاريخ. صحيح أن أرسطو يقول عبارات عامة عن التطور التاريخي، قد تُصنف تحت عنوان فلسفة التاريخ؛ لأنه يتكلم، مثل أفلاطون قبله، في كتابه "الشعر" عن الأنواع المتعددة للثورة التي تحدث في ظل دساتير مختلفة، وعن أسبابها، ووسائل منعها، وعن الميول في أنواع معينة من الدساتير إلى التحول إلى أنواع أخرى؛ بيد أن هذه الملاحظات هي، بوضوح، تأملات عامة في تاريخ النوع الذي يستطيع أن يصنعه المؤرخ نفسه بصورة جيدة تماماً. وإذا كنا نعني بفلسفة التاريخ نظرة كلية إلى التطور التاريخي نزع بيان أن هذا التطور، كما يوضحه البحث التاريخي، يتبع نموذجاً عقلياً ويحقق خطة ما، أو يمثل قوانين كلية وضرورية، فإنه

(1) 1451 b, 5-8.

(2) في معنى هذه العبارة، انظر : المجلد الأول، ص ٣٦١ - ٣٦٢.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

المنتظر في اليهودية والتجسيد في المسيحية، بالإضافة إلى ارتباطها بالمذهب الأخرى اليهودى والمسيحى، يؤدي إلى نظرية عن التطور التاريخى، يتميز بأنه غائى فى طابعه، بمعنى أنه يفترض مذاهب غائية. والمثال الأكثر شهرة لفلسفة مسيحية عن التاريخ هو، بالتأكيد، نظرية القديس أوغسطين، كما يقدمها فى كتابه "مدينة الله"، الذى يلعب فيه تاريخ الشعب اليهودى وأساس الكنيسة المسيحية وتطورها دوراً مهماً. ولا أريد أن أكرر هنا ما قلته من قبل فى المجلد الثانى من هذا الكتاب "تاريخ الفلسفة"⁽¹⁾ عن فلسفة التاريخ عند القديس أوغسطين. ويكفى أن نلاحظ أنه فكر عن طريق "حكمة مسيحية" بدلاً من أن يفكر عن طريق تمييز نسق بين اللاهوت والفلسفة. ومن ثم، فإن الواقعة التى تذهب إلى أن وجهة نظره عن التاريخ هى تفسير لاهوتى إلى حد كبير بالرجوع إلى اهتمام عناية الله باليهود كما يتضح ويتجلى فى العهد القديم، وبالرجوع إلى "التجسيد" ومدها، إن جاز هذا التعبير، إلى الكنيسة، جماعة المسيح الصوفية، نقول إن هذه الواقعة لا تتسق مع رؤيته العامة على الإطلاق. وما هو عرضة للخلاف بالفعل، على الأقل من وجهة نظر مسيحية، هو أن تفسيراً للتاريخ من حيث إنه عملية تطور نحو هدف محدد لا يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى تفسير لاهوتى، وأن تفسيراً غير لاهوتى للتاريخ، من حيث إنه يمكن أن يكون صالحاً، يمكن رده إلى نوع الأقوال عن التاريخ الذى يكون المؤرخون أنفسهم جديرين بصنعه. وبمعنى آخر، ما هو عرضة للخلاف، من وجهة نظر مسيحية، هو أنه لا يمكن أن يكون هناك شيء هكذا مثل فلسفة التاريخ، إذا فهم هذا اللفظ بأنه يعنى تفسيراً للتاريخ كله من حيث إنه حركة عاقلة نحو هدف محدد، وإذا افترضنا تمييزاً نسقياً بين الفلسفة واللاهوت. ومع ذلك، إذا زعمنا أنه لا يمكن أن يكون هناك شيء هكذا أعنى فلسفة التاريخ بهذا المعنى، فإنه يجب فهم هذا الزعم بوضوح بالرجوع إلى فلسفة صحيحة للتاريخ؛ لأنه يتضح إلى حد كبير أن فلاسفة التاريخ لا يفترضون أن مذاهب لاهوتية وجدت وتوجد. وفلسفة

(1) See Vol. II, pp. 85-89.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وقسطنطين أو سلام الكنيسة، وشارلمان^(١) أو تأسيس الإمبراطورية الجديدة. وبمعنى آخر، اهتم بوسويه بعلاقات الله الخاصة بالعبادة بالشعب المختار، وبامتداد الإمبراطورية الرومانية وذويها من حيث إنها إعداد للمسيحية، واهتم بالتجسيد، وبتأسيس الكنيسة والمجتمع المسيحي. ولا تدخل الإمبراطوريات الشرقية في المشهد إلا من حيث علاقاتها بالشعب اليهودي. وتهمل كل من الهند والصين. وتشكل نظرية الخلق، والعبادة الإلهية، والتجسد إطار خطة المؤلف التاريخية. وتندرج الحقب الاثنتا عشرة تحت "عصور العالم السبعة"، ويدخل ميلاد المسيح في العصر السابع والأخير.

وفي الجزء الثاني، المخصص لتطور الدين، تهيمن الاعتبارات الكلامية الدفاعية مرة أخرى. فنحن ننقل من الخلق من عصر آباء التوراة إلى الوحي بالشرعية إلى موسى، ومن عصر الملوك والأنبياء إلى الوحي المسيحي. ويناقش بوسويه بعض الأديان، مثل دين روما ومصر، فضلاً عن اليهودية، والمسيحية، بيد أن ملاحظاته تطابق موضوعه الرئيسي وهو أن المسيحية هي التطور الكامل للدين. "إن هذه الكنيسة، التي تُهاجم باستمرار ولا تُقهر على الإطلاق، هي معجزة دائمة وشهادة مذهلة على ثبات وصايا الله"^(٢).

كما تظهر فكرة العبادة الإلهية في الجزء الثالث من كتاب "مقالات عن التاريخ الكلي"، الذي يعالج مصير الإمبراطوريات. وبخبرنا، من ثم، بأن "هذه الإمبراطوريات ترتبط، في أغلب الأحوال، بتاريخ شعب الله بصورة ضرورية"^(٣). لقد استخدم الله الآشوريين والبابليين لمعاينة اليهود، واستخدم الفرس ليعيدوهم إلى أرضهم، واستخدم الإسكندر وأتباعه لحمايتهم، واستخدم الرومان لتأكيد حريتهم ضد

(١) شارلمان، أو شارل الأول (٧٤٢ - ٨١٤)، ابن الملك بين القصور ملك الفرنجة أو الفرنكيين (٧٦٨ - ٨١٤)، وإمبراطور الغرب (٨٠٠ - ٨١٤)، وسع رقعة الدولة الفرنكية، تحالف مع الكرسي البابوي ضد بيزنطة فتتوجه البابا ليو الثالث إمبراطوراً (المترجم).

(2) Discoures, Part II, 13.

(3) Ibid, Part III, 1.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وهكذا أحيأ بوسويه فى القرن السابع عشر محاولة القديس أوغسطين فى تطوير فلسفة التاريخ. غير أن قدرتنا على تطوير هذا النوع من فلسفة التاريخ؛ أعنى عن طريق فكرة العناية الإلهية هى محدودة ومقيدة للغاية، كما نلاحظ، وكما يعى بوسويه بدون شك. وربما تكون الأهمية الأساسية لكتابه "مقالات عن التاريخ الكلى" هى أنه ساعد على توجيه الانتباه إلى تاريخ إنسانى من حيث إنه موضوع للتأمل الفلسفى.

٣ - وثمة علم أكثر أهمية فى بزوغ فلسفة التاريخ هو "جيان باتيستا فيكو" Gian Battista Vico (١٦٨٨ - ١٧٤٤)، واحد من أعظم الفلاسفة الإيطاليين. أنجز أثناء حياته قدر معقول من الأبحاث التاريخية. وقد حث عصر الإصلاح وعصر معارضة الإصلاح على هذا العمل، وأعطت نشأة الدول القومية والمصالح الخاصة بالأسر الحاكمة قوة دافعة أخرى، كما يرى المؤرخون، ومن ثم اهتم ليبنتس بكتابة تاريخ "آل برونشفيك"، أما فى إيطاليا فقد كُلف "موراتورى" Muratori، السدى كان أمين مكتبة "دوق مودينا" فى النصف الأول من القرن الثامن عشر، من قبل راعيه أن يعد تاريخاً لـ "آل إسته"^(١). بيد أن البحث التاريخى، وجمع المادة لكتابة التاريخ ليسا هما نفس الشيء مثل التأريخ الرسمى، والتاريخ الرسمى وكتابة التاريخ ليسا هما نفس الشيء مثل نظرية عن فلسفة التاريخ. وبالنسبة لفلسفة التاريخ يجب علينا أن نتجه إلى فيكو.

فى عام ١٦٩٩ أصبح فيكو أستاذاً للبلاغة فى جامعة "نابلى"، وهى وظيفة تقلدها حتى عام ١٧٤١^(٢). وبهذه المقدرة ألقى عدداً من المحاضرات الافتتاحية. بينت المحاضرات الأولى أثر المذهب الديكارتى (الديكارتيّة)، غير أنه فى عام ١٧٠٨ قبل موقفاً مختلفاً. فالمحدثون، كما يقول، أدخلوا صنوفاً من التطوير فى

(١) عمل "موراتورى العظيم" هو : The Rerum Italicarum Scriptores (المؤلف).

(٢) فى عام ١٧٢٣ نافس فيكو من أجل كرسي القانون المدنى، غير أنه فشل فى الحصول عليه (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إن المبدأ الذى يؤكد إن الصدق هو الفعل، أعنى أن معيار الحقيقة هو أنه يجب صنعها، لا يؤدى، بالتالى، إلى النتيجة التى تقول إنه يمكن تطبيق المنهج الهندسى فى جميع العلوم. ويجب ألا يؤخذ على أنه يعنى أن العقل يخلق موضوعات فيزيائية بنفس الطريقة التى يخلق بها كيانات رياضية. ويجب ألا نفسر فيكو على أنه يسلّم بأن الأشياء هى اختلافات ذهنية، أو مجرد أفكار؛ إذ إن صنع أو تأليف الموضوع يجب أن يفهم بمعنى معرفى، وليس بمعنى وجودى. فعندما يخلق العقل بناء الموضوع من جديد، وبهذا المعنى تتوحد المعرفة والصنع، وتصبح كلمتا الصدق والفعل كلمة واحدة هى الله، الذى يخلق كل الأشياء، والذى يعرف بالضرورة جميع الأشياء بوضوح. ولا توجد مماثلة دقيقة لهذه الحقيقة إلا فى المعرفة الرياضية الإنسانية، حيث تكون الموضوعات أو الكيانات اختلافات عقلية. إننا لا نخلق الطبيعة فى النظام الوجودى. وفى الوقت نفسه لا تكون لدينا معرفة علمية بالطبيعة إلا من حيث إننا نصنع بناء الموضوع فى النظام المعرفى من جديد. ولا نستطيع أن نعرف أننا نفعل ذلك بصورة صحيحة دون مساعدة المنهج التجريبي. ولا يستطيع الاستنباط من مفاهيم مجردة خالصة خلقها نحن أن يكفل معرفة بطبيعة موجودة، مهما كانت هذه المفاهيم واضحة ومتميزة.

ولا تطبق هذه الأفكار على التاريخ فى كتاب "حكمة الإيطاليين القديمة"، غير أنه من اليسير أن نستبق الخط العام الذى يأخذه تفكير فيكو. إن التاريخ الإنسانى من صنع الإنسان، ومن ثم يمكن فهمه عن طريق الإنسان. ومبادئ العلم التاريخى لا بد أن توجد فى تعديلات العقل الإنسانى، أى فى طبيعة الإنسان. حقاً، إن التاريخ يصلح للبحث العلمى والتأمل بسهولة أكثر من الطبيعة الفيزيائية؛ فالطبيعة من صنع الله وحده، وليست من صنع الإنسان، ولذلك فإن لدى الله وحده معرفة كاملة وكافية بالطبيعة. أما المجتمع الإنسانى، والقوانين الإنسانية، واللغة، والأدب، فهى جميعها من صنع الإنسان. ولذلك يستطيع الإنسان أن يفهمها بالفعل

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

واليونانية، واللاتينية، أعنى لغات العصور القديمة التى وصلت إلينا عن طريق الديانة المسيحية⁽¹⁾، نقول ضم الفلسفة كلها وعلم اللغة فى مذهب من قانون كلى. لقد أراد فيكو أن يواصل عمل جرتيوس. ونستطيع أن نربط بقراءته فلاسفة القانون الطبيعى، مثل جرتيوس وبافندروف (وقد نضيف هوبز) صياغته لمشكلة التاريخ بوصفها مشكلة تخص أصول الحضارة إلى حد كبير. وهذا موضوع يعطى له اهتمامًا خاصًا فى كتابه "علم جديد".

لم يرد فيكو أن يبدأ بإنسان هوبز "الفاسق والمتوحش"، ولا بإنسان جرتيوس "المنعزل، والضعيف"، ولا بإنسان بافندروف "الهائم على وجهه والذى قُذِف به فى العالم بدون عناية إلهية أو عون إلهي"، كما يعبر عن المسألة فى بداية الكتاب الأول من الطبعة الأولى لكتابه "علم جديد". أعنى أنه لم يرد أن يقوم ببداية مطلقة بأناس فى هذه الحالات؛ لأن النشأة لا تفترض أن آدم كان، فى الأصل، فى حالة الطبيعة التى وصفها هوبز مثلاً. ولذا يسلّم فيكو بفترة من الزمن لتوحش الإنسان لكى يأخذ مكانًا بين الأجناس الأممية، إن جاز هذا التعبير. ثم تنشأ المشكلة وهى كيف تطورت الحضارة.

يفترض فيكو أن البدايات الأولى للحضارة أتت مع المساكن الحضرية المستقرة. لقد دفع رعد السماء وبرقها الرجال، وأيضًا النساء، إلى الملجأ أو إلى الكهوف. وقد جعلت هذه المساكن البدائية نشأة المرحلة الأولى للحضارة ممكنة، "مرحلة الآلهة"، أو "مرحلة الأسر"، عندما كان رب الأسرة ملكًا، وكاهنًا، وحكمًا، وقاضيًا أخلاقيًا. ولهذه المرحلة من مراحل الحضارة ثلاثة مبادئ هى : الدين، والزواج، ودفن الميت.

ومع ذلك، كانت صنوف التوتر والتفاوت قائمة باستمرار فى هذه المرحلة البدائية للحضارة. فلقد كان من بين المتشردين، مثلاً، أولئك الذين لم ينضموا فى

(1) Autobiography, p. 155.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وبعد أن تكتمل الدورة تبدأ دورة جديدة، وهكذا بشر ظهور المسيحية فى الغرب بعهد جديد للآلهة. ومثلت العصور الوسطى عصر الأبطال فى الدورة الجديدة. وكان القرن السابع عشر، قرن الفلسفات، حقبة البشرية المتجددة. إننا نجد دورات فى تاريخ الشعوب الفردية، ودوراتها الجزئية هى تحقق قانون كلى. غير أنه يجب ألا يُساء فهم نظرية الدورات هذه، التى اعتقد فيكو أنها مؤكدة استقرائياً. ولا يعنى فيكو أن الأحداث التاريخية محددة، أو أنها مجموعة متشابهة بدقة من أحداث معينة تحدث فى كل دورة. ولا يعنى أن المسيحية، مثلاً، هى ظاهرة دينية مؤقتة لها قيمة نسبية لدورة معينة، حتى إنها لا بد أن تفسح المجال لديانة أخرى فى المستقبل. إن ما يحدث من جديد ليس الواقعة التاريخية الجزئية أو الأحداث الجزئية، وإنما بالأحرى الإطار العام الذى تحدث فيه الأحداث. أو، بطريقة أفضل، إن دورة العقلية هى التى تحدث من جديد. وهكذا نجحت العقلية البدائية بالتدرج، المعبر عنها بلغة الإحساس، والخيال، والعاطفة، عن طريق ظهور العقلية التأملية. وقد انفصلت هذه العقلية التأملية عن طبقات الطبيعة الإنسانية، إن جاز هذا التعبير، ومالت إلى أن تتطور إلى النقد المفتت للعقل الشكى. إن انحلال المجتمع لا يتوقف حتى يستعيد الإنسان العقلية البدائية التلقائية التى تجلب معها اتصال متجدد بالله، أعنى تجديدًا للدين. فالحضارة "تبدأ، فى كل حالة، بالدين وتكملها العلوم، والنظم، والفنون"⁽¹⁾. إن هناك دورة لعقلية؛ دورة لأشكال التطور التاريخي، وليس هناك دورة لمضامين الوقائع التاريخية الجزئية، والأحداث. ولا تستدعى فكرة فيكو، بالفعل، النظريات اليونانية عن العود الدوري، بيد أنه لم تكن لديه النية لأن يؤكد نظرية وهمية عن التكرار الضروري لأحداث جزئية مشابهة. ولا تعوق نظريته عن الدورات كل تقدم. إن المسيحية، مثلاً، قد تناظر فى دورة جديدة ما يسميه فيكو "الديانة المخيفة" لعصر الآلهة الأول، غير أنه لا ينجم عن ذلك أن المسيحية تفوقها.

(1) Opere, III, 5.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الديانة البدائية، من الناحية السيكلوجية، هي النتاج التلقائي للخوف، والإحساس بالعجز، وليست نتاج العقل بالمعنى الفلسفي، وارتبط القانون البدائي بالديانة البدائية ارتباطاً وثيقاً. لقد كان كلاهما نتاج منطق الشعور والخيال، وليس نتاج العقل الفلسفي. إن القانون هو، في أصوله، عادة مثل التطور الطبيعي، وليس ثمرة العقل المخطط.

يشدد فيكو على الشعر والأسطورة. فالكتاب الثالث من كتابه "علم جديد" يأخذ عنواناً هو "في اكتشاف هوميروس الحقيقي". وإذا أردنا أن ندرس المراحل الأولى للدين، والأخلاق، والقانون، والتنظيم الاجتماعي والاقتصاد، لا بد أن نكف عن التنظير المجرد المحض، وندرس وقائع علم اللغة؛ أعني أنه يجب علينا أن ندرس الشعر والأسطورة. وعندما نفسر شعر «هوميروس»، مثلاً، لا بد أن نتجنب فكرتين خاطئتين؛ الأولى، يجب علينا ألا ننظر إلى الأساطير على أنها صنوف من الخداع المتعمد، أو على أنها أكاذيب مفيدة من النوع الذي أتى عليه أفلاطون في محاوره الجمهورية. والثانية، يجب علينا ألا نعتقنها، كما لو كان أصحابها يقدمون تعبيراً رمزياً عن أفكار ونظريات مصاغة ومصورة بوضوح وعقلانية. بل هي بالأحرى التعبير عن "حكمة شعبية"، "الحكمة الشعرية" لشعب ما، وهي تعطينا المفتاح لطبيعة تفكير الشعوب في الوقت الذي ولدت فيه الأساطير. فقصاصد هوميروس، مثلاً، تعبّر في "طابع شعري" عن ديانة اليونان، وعاداتهم، وتنظيمهم الاجتماعي، واقتصادهم، بل وحتى أفكارهم العلمية في العصر البطولي. إنها التعبير الأدبي التلقائي، أو مستودع عقلانية شعب وحياته في فترة معينة من تطوره. ومن هنا تأتي قيمتها العظيمة بالنسبة لبناء التاريخ من جديد. ومن الواضح أنه ليس مطلوباً منا أن نقبل كل شيء على أنه حقيقة بعينها. ف"زيوس"، مثلاً، ليس شخصاً واقعياً، بالصورة التي وُصف بها، ووُصفت بها أنشطته في قصائد هوميروس. وهو ليس في الوقت نفسه مجرد وسيلة أدبية، يعبر بصورة رمزية عن فكرة فلسفية مجردة عن الألوهية. إنه، بالأحرى، التعبير الخيالي عن مرحلة مبكرة

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

العصر البدائي للآلهة نرى الإنسان من حيث إنه حس، ونراه في عصر البطولات بوصفه خيالاً، ونراه في عصر البشرية بوصفه عقلاً.

إن القول بأن التاريخ، سواء نظرنا إلى الأفعال الإنسانية أم إلى آثار الفن والأدب، من صنع الإنسان لا يعنى، مع ذلك، أنه يفصل عن العناية الإلهية، وأنه بمعنى ما ليس من عمل الله. غير أن العناية الإلهية عند فيكو تعمل، أساساً، عن طريق العقل الإنسانى والإرادة الإنسانية؛ أعنى عن طريق وسائل طبيعية، وليس عن طريق تدخل مُعجز. فالناس يقصدون فى الغالب غاية ويحققون أخرى. فالآباء، مثلاً، يريدون أن يمارسوا سلطتهم الأبوية على الرقيق بحرية مطلقة، ويخضعوهم للسلطة المدنية التى تنشأ منها المدن. وتريد طبقة النبلاء الحاكمة أن تتعسف فى حريتها الجلية على العوام، ويجب أن يخضعوا للقوانين التى تؤسس الحرية العامة⁽¹⁾. وأياً كان ما يريده الأفراد عن طريق أفعالهم، فإن الحضارة تنشأ وتتطور. وفى الحقبة الثانية من عصر البشرية عندما حاول مفكرون أحرار أن يحطموا الدين، مثلاً، ساهموا فى فساد المجتمع وانحلاله، وفى إنهاء دورة ثقافية، وبالتالي فى ميلاد جديد للدين، الذى هو العامل الرئيسى فى تيسير كبح الإنسان لعواطفه الأنانية، والذى يودى إلى نمو ثقافة جديدة. إن الناس يفعلون بحرية، بيد أن أفعالهم الحرة هى الوسيلة التى تتحقق بواسطتها الغايات الأزلية للعناية الإلهية.

وليس من قبيل الدقة التامة أن نقول إن معاصرى فيكو قد أغفلوا كتابه "علم جديد" تماماً؛ لأن موضوعات معينة أصبحت موضوعاً للمناقشة. غير أنه لم يتم تقدير الدلالة العامة لأفكاره بالتأكيد، ولم ينل فيكو حقه تماماً حتى القرن التاسع عشر. ففي عام ١٧٨٧ زار "جوته" نابلى" وجذب كتاب "علم جديد" انتباهه. وقد أعار هذا الشاعر العظيم هذا الكتاب إلى "ياكوبى"، وفى عام ١٨١١ أشار ياكوبى إلى ما اعتبره استباق فيكو لكانط. وقد استخدم «كوليردج» هذه الفقرة فى كتابه "نظرية عن الحياة" (عام ١٨١٦، ونشر عام ١٨٤٨)، وتحدث فى سنواته التالية

(1) Opere. IV, 2, 164.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل التاسع

من فولتير حتى هردر

ملاحظات افتتاحية - فولتير - كوندروسييه -

لسنج - هردر

١ - لقد تم الإقرار أحياناً بأن نظرة عصر التنوير في القرن الثامن عشر ليست تاريخية. وإذا أخذنا ذلك ليعنى أنه لم يكتب تاريخ في هذه الفترة، فإن القول سيكون زائفاً بصورة واضحة؛ إذ لا يجب علينا سوى أن نفكر في كتاب مونتسكيو "تاريخ عظمة الرومان وانحطاطهم" (عام ١٧٣٤)، وكتاب جوبون "تدهور وسقوط الإمبراطورية الرومانية" (عام ١٧٧٦ - ١٧٨١)، وكتاب فولتير "تاريخ شارل الثاني عشر" (عام ١٧٥١)، وأعمال هيوم التاريخية. ولا يمكن القول إن تاريخ القرن الثامن عشر اهتم، ببساطة، بالمعارك، والصراعات السياسية والدبلوماسية، وأعمال "الرجال العظام". فعلى العكس نحن نرى نشأة فكرة التاريخ من حيث إنه تاريخ الحضارة الإنسانية. لقد أعلن تشارلز دكلو C. P. Duclos^(١)، مؤلف كتاب "تاريخ لويس الحادي عشر" (عام ١٧٤٥)، وكاتب "تظرات في عادات المجتمع" (عام ١٧٥٠)، أنه اهتم بسلوك الناس وعاداتهم بدلاً من الحروب أو السياسة. وهو يتفق مع فولتير في هذا الموقف. لقد فطن القرن الثامن عشر إلى توسيع فكرة التاريخ بالتأكيد.

(١) تشارلز دكلو (١٧٠٤ - ١٧٧٢) كاتب ومؤرخ فرنسي (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

عصر النهضة وتمجيده، وأحكامهم المبتسرة جعلت من الصعب بالنسبة لهم أن ينفذوا بفهم متعاطف إلى الثقافات والرؤى التي شعروا أنها تختلف عن ثقافتهم ورواهم الخاصة أتم الاختلاف، والتي مالوا إلى التقليل من شأنها. وبهذا المعنى لا بد أن نفهم الاتهام الذي يقول إن عقلية عصر التنوير "ليست تاريخية".

٢ - أكد فولتير، الذي ناقشنا موقفه الفلسفي العام في الفصل الأول من هذا المجلد، أنه كان يقصد من كتابه "مقال عن عادات وروح الأمم" (عام ١٧٤٠ - ١٧٤٩، والمنشور عام ١٧٥٦) أن يكون استمراراً لعمل بوسويه. "لقد توقف بوسويه المبجل، الذي فهم في مقاله عن جزء من التاريخ الكلي روحه الحقيقي، عند شارلمان"^(١). وأراد فولتير أن يستمر من حيث توقف بوسويه، والعنوان الكامل لعمله هو "مقال عن التاريخ العام وعن عادات وروح الأمم من شارلمان حتى أيامنا". ومع ذلك فإنه يرجع، في حقيقة الأمر، إلى الوراء كثيراً، ويبدأ بالصين، وينتقل إلى الهند، وفارس، والعرب، ثم يعود إلى الكنيسة في الغرب والشرق قبل شارلمان.

لكن على الرغم من أن فولتير يعلن أن قصده هو مواصلة عمل بوسويه، فمن الواضح أن فكرته عن التاريخ تختلف عن فكرة أسقف مدينة "مو" Meaux أتم الاختلاف؛ إذ إن الأحداث المهمة في التاريخ هي، عند بوسويه، الخلق، هي اهتمامات الله بالشعب اليهودي، هي التجسيد وتطور الكنيسة، ويصور التاريخ الإنساني، منذ الخلق حتى اليوم الأخير، بأنه وحدة، بأنه تجلٍ للعناية الإلهية التي تخدمها حتى الاختيارات الإنسانية الحرة. وعند فولتير، تغيب الرؤية اللاهوتية للقدّيس أوغسطين وبوسويه بصورة جلية. فالتاريخ هو ميدان تسأثير الإرادات الإنسانية، والانفعالات. والتقدم ممكن من حيث إنه يجاوز الحالة الحيوانية، ومن حيث إن العقل يهيم، لا سيما عندما يأخذ شكل ذلك الاستبداد المستتير الذي

(1) Avant - Propos.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الأساطير والقصص الخرافية على أنها حقيقية. وبغض النظر تماماً عن الواقعة التي تذهب إلى أنه يمكن أن تكون دراسة لمثل هذه الأساطير والقصص الخرافية، بل وحتى الأوامر الإلهية لـ "دلفي"، كما يرى فيكو ولا يرى فولتير، ذات استخدام عظيم للمؤرخ الجاد، فإن العلاج لتاريخ غير مؤكد وخرافي هو بحث متأن. بيد أن لدى فولتير سبباً آخر، بالتأكيد، لأن يفضل تاريخ العصور الحديثة؛ وهو الاقتناع بتفوق العالم الحديث وسموه، ولا سيما تفوق الفلاسفة وسموهم. فهو يعبر في كتابه الموجز "ملاحظات عن التاريخ" عن الرغبة في أن يبدأ الشباب بدراسة جادة للتاريخ "في العصر الذي يصبح فيه شيقاً لنا بالفعل؛ أعني - كما يبدو لي - في نهاية القرن الخامس عشر". ففي هذه الفترة غيرت أوروبا مظهرها. وبمعنى آخر، العصور الوسطى لا تهتما بالفعل.

وتتجلى وجهة النظر هذه في عدد من المواضيع من كتابات فولتير. فهو يقول لنا إن العصور الماضية هي عصور كما لو لم تكن موجودة، وإن عالم اليهود القدماء يختلف عن عالمنا نحن حتى أنه يصعب أن نستمد منه أي قاعدة للسلوك يمكن تطبيقها اليوم، وإن دراسة العصور القديمة تشبع حب الاستطلاع، في حين أن دراسة العصور الحديثة ضرورية، وهلم جرا. ويكون هذا الموقف موطناً من مواطن الضعف عند فولتير كمؤرخ وفيلسوف للتاريخ.

بيد أنه توجد عند فولتير مواطن قوة بالتأكيد. ففي مقاله الصغير "نظرات جديدة في التاريخ" يرى أنه بعد أن قرأ ثلاثة أو أربعة آلاف وصف لمعارك ومضامين بعض المئات من الأبحاث، لم يجد نفسه أكثر حكمة قبل أن يقرأها. "إنني لا أعرف الفرنسيين والمسلمين عن طريق معركة شارل مارتل أكثر من أن أعرف التتار والأتراك عن طريق الانتصار الذي أحرزه "تيمورلنك" على "بايزيد"^(١). إنه يجب علينا أن نجد في التاريخ تفسيرات الفضائل والذائل المهيمنة

(١) تيمورلنك (١٣٣٦ - ١٤٠٥) فاتح مغولي مسلم، من أعظم الفاتحين في التاريخ. واتخذ من سمرقند عاصمة له. انتصر على السلطان العثماني بايزيد الأول عام ١٤٠٢. مات وهو يعد العدة لفتح الصين (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الأقصى، وأمريكا، ولا يتحدث عن العالم المسيحي فحسب، وإنما عن العالم الإسلامي، والأديان الشرقية. حقاً، إن معرفته ناقصة في الغالب، غير أنه لم يغير مجال خطته. إن تاريخه، بمعنى ما، أقل شمولية وعمومية من تاريخ بوسويه؛ لأن الإطار اللاهوتي عند بوسويه يضع تاريخ الجنس البشري كله في وحدة معقولة. لكن بمعنى آخر، أو بمعنى أكثر وضوحاً، كتاب فولتير "روح الأمم" أكثر شمولية وعمومية من كتاب الأسقف «مقالات عن التاريخ الكلي»؛ بمعنى أن فولتير كتب عن الأمم والثقافات التي لم يكتب عنها بوسويه.

٣ - اهتمنا في القسم الخاص بالفيزيوقراطيين^(١) في الفصل الثاني من هذا المجلد بنظرية التقدم التي اقترحها "تورجو"^(٢)؛ الذي استبق وجهة النظر عن التاريخ التي طرحها "أوجست كونت" في القرن التاسع عشر. لقد كان تورجو مؤمناً بالتقدم بالفعل بصورة أكثر من فولتير؛ لأنه على الرغم من اعتقادات فولتير عن تفوق عصر التنوير، فإنه لم يكن لديه إيمان بقوانين تحكم التاريخ الإنساني. غير أنني لا أريد أن أكرر ما قلته عن تورجو من قبل، وبدلاً من ذلك فإنني سأوجه إلى مؤيد رئيسي لفكرة التقدم في الجزء الأخير من القرن الثامن عشر، وهو كوندرسيه.

كان ماري جان أنطوان نيقولا كاريتا، المعروف بالماركيز دي كوندرسيه (١٧٤٣ - ١٧٩٤) Condorcet, M. J. A. N. C.، رياضياً، وفيلسوفاً أيضاً. ألّف

(١) الفيزيوقراطيون: مدرسة في الفكر الفرنسي، راجت تعاليمها في أواخر القرن الثامن عشر، من أنصارها: كونيي، وجورنای... وهؤلاء يقيسون ثروات الأمم بمقدار ما يتوافر بها من طعام للناس، ويرون أن الأمم ترقى باهتمامها بالغذاء والكساء والسكن. نادوا بعدم تدخل السلطة في شئون الناس إلا لحماية الأغنياء والتجار دون الفقراء (المترجم).

(٢) تورجو، روبرت جاك (١٧٢٧ - ١٧٨١): سياسي وعالم اقتصاد فرنسي، كان وزيراً للمالية (١٧٧٤ - ١٧٧٦) في عهد الملك لويس السادس عشر. وهو من زعماء المدرسة الفيزيوقراطية، حاول إصلاح الاقتصاد الفرنسي بتشجيع الصناعة وإطلاق حرية التجارة ومقاومة الاحتكار، ولكن الفئات الأرستقراطية دوات الامتياز تألفت عليه، فاضطر لويس السادس عشر إلى إقالته (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إلى النور، ومن الهمجية إلى الحضارة، وتقدم لا محدود في المستقبل. وهكذا، على الرغم من أنه كتب العمل في ظلمة المقصلة، فإن روح التفاؤل قد عمته. وقد بينَ عنف العصور وشروطها عن طريق الدساتير والقوانين السيئة التي أوجدها الحكام والكهنة؛ لأنه كان عدوًا ليس للنظام الملكي فحسب، وإنما للكهنة أيضًا، ولكل دين. لقد نظر إلى الإصلاح الدستوري وإلى التعليم على أنهما الوسيلة لتعزيز التقدم. وفي عام ١٧٩٢ كان أحد أولئك الذين قدموا إلى «الجمعية» خطة لتنظيم الدولة لتعليم علماني، التي أصبحت الأساس للخطة التي تبنتها "الجمعية التأسيسية" فيما بعد. وفقًا لهذه الخطة تكوّن الرياضيات، والعلم الطبيعي، والعلم التقني، والعلم الأخلاقي، والعلم السياسي مواد التعليم الأساسية في تعليم أكثر تطورًا، وتحتل دراسة اللغات، الحية أو الميتة، مكانًا أدنى نسبيًا في الخطة. وبمعنى آخر، لا بد أن يكون التشديد على علم الطبيعة، وعلم الإنسان.

لقد تطور تفسير كوندرسيه للتاريخ الماضي على هدى فكرة الثقافة العلمية هذه. فهو يميز بين تسع مراحل أو حقب. في الحقبة الأولى اتحد الناس، الذين نشأوا من حالة الهمجية التي لم يختلفوا فيها عن الحيوانات إلا من الناحية الجسدية، معًا في مجموعات من القناصين أو الصيادين، وعرفوا العلاقات الأسرية واستخدم اللغة. وفي المرحلة الثانية، أو المرحلة الرعوية من التطور ظهر عدم المساواة والرق، بالإضافة إلى بعض الفنون البدائية. وفي المرحلة الثالثة، عصر الزراعة، حدث تقدم أبعد. وهذه الحقبة التمهيدية الثلاث هي حقبة افتراضية بالفعل، لكن مع اختراع الحروف الأبجدية ننقل من الافتراض والتخمين إلى واقعة تاريخية. وتمثل ثقافة اليونان الحقبة الرابعة عند كوندرسيه، بينما تمثل ثقافة الرومان الحقبة الخامسة. ثم يقسم كوندرسيه العصر الوسيط إلى حقبتين. تنتهي الحقبة السادسة بانتهاء الحروب الصليبية، بينما تنتهي الحقبة السابعة باختراع العنبر للطباعة. والمرحلة الثامنة ترادف عصر النهضة بصورة كبيرة أو قليلة، وتبدأ باختراع الطباعة وتنتهي بالمنحى الجديد الذي أعطاه ديكارت للفلسفة. وتنتهي المرحلة

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

حضارة ديمقراطية وعلمية، وعلى الرغم من العيوب الموجودة في كتابه "مقال..."، التي تتمثل في إطار خطته، وفي كثير من عباراته، فإنه، بمعنى ما، أكثر حداثة من فولتير. فهو لم يقدس القرن الثامن عشر من حيث إنه موضوع للمستقبل. ولسوء الطالع، فإنه أغفل جوانب الواقع المهمة والإنسان، بيد أن هذا الإغفال قد شارك فيه أتباعه في القرن التاسع عشر بالتأكيد. وبالنسبة لعقيدة التقدم، فإن هذا قد سبب انتكاسة في القرن العشرين.

٤ - ويمثل لسنج فكرة التقدم في ألمانيا. غير أن نظريته في التقدم في التاريخ كان لها وضع لاهوتي، كما رأينا في الفصل السادس من هذا المجلد. فهو يعلن في كتابه "تربية الجنس البشري" (عام ١٧٨٠) أن التربية تكون للموجود البشري الفرد، والوحي يكون للجنس البشري بأسره. إن التقدم هو، أولاً وقبل كل شيء، التربية الأخلاقية للبشرية عن طريق الله. حقاً، إن تصور لسنج للتاريخ يختلف كثيراً عن تصور القديس أوغسطين ويوسويه؛ لأنه لم ينظر، مثلهما، إلى المسيحية على أنها وحي الله للإنسان، وكما أن العهد القديم يتكون من "كتب أولية" مقارنة بالعهد الجديد، فإن العهد الجديد يتكون من «كتب أولية» مقارنة بالمرحلة الأبعد للوحي الإلهي عندما يتعلم الناس فعل الخير من أجل الخير، لا من أجل الجزاء سواء في هذه الحياة أم في الحياة الأخرى. وعن طريق فكرة تجاوز الأخلاق المسيحية هذه، بمذهبيها الخاص بالجزاءات، فإن لسنج يتفق مع المجري العام للنظرية الأخلاقية التي تميز عصر التنوير. كما يسمح تصوره للتاريخ بأنه وحي إلهي تدريجي بالقول بتشابه، على الأقل، بينه وبين فلسفة التاريخ عند كل من القديس أوغسطين ويوسويه. فهو يحمل، بالتأكيد، طابع القرن الثامن عشر، بيد أنه يختلف كثيراً، وبوضوح، عن نظرية كوندرسيه، الذي لا يكون التقدم التاريخي بالنسبة له عمل الله، وإنما تحرر من الدين^(١).

(١) من أجل معلومات إضافية عن لسنج، يجب أن يرجع القارئ إلى الفصل السادس (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الإنسانية. ولا يعقل، بالفعل، أن نقول إن تشديداً على فهم تطور اللغات والأدب يتعارض مع أفكار عصر التنوير. بيد أن هردر وجه الانتباه إلى أهمية ما هو بدائي بصورة نسبية عند تفسير الإنسان وتاريخه. إننا نحقق في تقدير دلالة وأهمية الحقب الثقافية الأولى لو أننا استمررنا في الحكم عليها ببساطة بالرجوع إلى معيار يقوم على مثل فلاسفة القرن الثامن عشر العقلية وفروضهم المسبقة.

لقد فهم كتاب هردر العظيم "أفكار حول فلسفة تاريخ البشرية" (عام ١٧٨٤ - ١٧٩١) على نطاق واسع، لأنه يعالج في الجزئين الأولين منه، وكل منهما يحتوى على خمسة كتب، بيئة الإنسان الفيزيائية، وتنظيمه، مع الأنثروبولوجيا، ومع تطور ما قبل التاريخ للإنسان. ولا يصل إلى التاريخ المدون، ويقوم بتفسيره حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية، إلا في الجزء الثالث، الذى يضم الكتاب الحادى عشر والخامس عشر. ويستمر هذا التفسير فى الجزء الرابع (الكتاب السادس عشر حتى الكتاب العشرين) حتى عام ١٥٠٠ بعد الميلاد. ولم يكتب الجزء الخامس. وعلى الرغم من أن هردر كان طموحاً مثلما كانت خطة عمله، فإنه لم يدع ادعاءات غير معقولة. إن العنوان "أفكار حول فلسفة تاريخ البشرية" ذو دلالة فى تواضعه. ويقرر المؤلف، بوضوح، أن العمل يتكون من "حجارة لبناء لا يمكن أن تنتهى سوى قرون"^(١). إنه لم يكن أحق حتى إنه يفترض أنه يستطيع أن يكمل الصرح.

وبعد أن يعالج هردر بيئة الإنسان الفيزيائية؛ أعنى بعد أن يعالج قوى الكون الفيزيائى، ويعالج موقع الأرض وتاريخها، يصل إلى موضوع الحياة العضوية، وموضوع الإنسان نفسه. وهو لم يشرح التطور بمعنى التسليم بأن الإنسان تطور من نوع ما من الحيوان، وإنما نظر إلى الأنواع والأجناس على أنها تشكل نوعاً

(1) Preface, XII, p. 6. References to the "Ideas" are, by Volume and page, to the edition of Herder's Works by A. Suphan, Berlin, 1877-1913.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

كما يفترض أن الإنسان مُنظم من أجل الدين. والدين والإنسانية مرتبطان، بالفعل، ارتباطاً وثيقاً، حتى إنه يمكن وصف الدين بأنه الإنسانية العليا. ويرجع أصل الدين، كما يرى هردر، إلى استدلال الإنسان على علة الظواهر غير المرئية من الظواهر المرئية. والقول بأن الدين يرجع إلى الخوف (الخوف من الظواهر الجوية الخطيرة، والتي تهدد مثلاً) معناه أن نعين علة غير كافية تماماً. "لا معنى للقول إن الخوف اختراع آلهة معظم الشعوب؛ لأن الخوف، إذا نظرنا إليه من حيث إنه كذلك، لا يخترع شيئاً؛ إنه، ببساطة، يضعف الفهم"^(١). وحتى الديانة الزائفة تشهد على قوة الإنسان لمعرفة الله. وقد يستدل على وجود الموجودات التي لا توجد كما يتصورها، لكنه محق في استدلاله على ما هو غير مرئي مما هو مرئي، أعني على استدلاله على علة مختفية من الظواهر.

عندما عالجتنا هردر في الفصل السابع، ذكرنا قوله في كتابه "معرفة النفس البشرية وإحساساتها" (عام ١٧٧٨) إن السيكولوجيا التي لا تكون فسيولوجيا في كل خطوة لا تكون ممكنة. ومن ثم، فإنه مما يستحق الذكر أن هردر يؤكد، بوضوح، روحانية النفس البشرية وخلودها في الكتاب الخامس من الجزء الأول من كتابه "أفكار...". وهو يصف العقل بأنه وحدة. ولا يمكن أن تُستخدم ظاهرة تداعي الأفكار كدليل على العكس؛ إذ إن الأفكار المتداعية تنتمي إلى موجود "يستدعي ذكريات من طاقتها الخاصة... ويربط أفكاراً بناء على جذب داخلي، أو الدفع، وليس وفقاً لميكانيكا خارجية"^(٢). وثمة قوانين سيكولوجية خالصة بناء عليها تنفذ النفس أنشطتها وتربط مفاهيمها. ويحدث هذا، بالتأكيد، بالاشتراك مع تغيرات عضوية، بيد أن ذلك لا يغير طبيعة النفس أو العقل. "إذا كانت الأداة عديمة القيمة، فإن الفنان لا يستطيع أن يفعل شيئاً"^(٣). وبمعنى آخر، يوضح هردر موقفه بأنه ضد المذهب المادي.

(1) XIII, p. 182.

(2) Ibid, p. 183.

(3) Ibid, p. 182.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ولقد انشغل هرذر، إلى حد ما، بهجوم غير مباشر على كانط. فقد نشر كانط مقالة عدائية عن الجزء الأول من كتاب هرذر "أفكار..."، وقد سُنحت لهرذر الفرصة في الجزء الثاني لأن يهاجم مؤلف كانط "فكرة عن تاريخ عام بالمعنى العالمي" (عام ١٧٨٤). فقد كان كانط على استعداد لأن يتجاهل كل مراحل التنظيم الاجتماعي إلا من حيث إنه يمكن النظر إليها على أنها تساهم في تطور الدولة العقلية. والدولة العقلية لابد أن يكون لها سيد (صاحب سلطة عليا)؛ لأن الإنسان ناقص وبه عيوب حتى إنه لا يستطيع أن يعيش في مجتمع بدون سيد. وربما يكون كانط محقاً في هذه المسألة إلى حد كبير، بيد أن هرذر أثر أن يؤمن بخيرية الإنسان الطبيعية وإمكان كماله. وعلى أية حال، لقد كان يقصد رفض فكرة مؤداها أنه من الأفضل تفسير التاريخ بأنه تقدم نحو الدولة الحديثة، التي لا بد أن نحكم على مداها على كل صور التنظيم الاجتماعي.

ويصل هرذر في الجزء الثالث من كتابه "أفكار..." إلى التاريخ المدون. ومبدؤه العام بالنسبة للمؤرخ هو أنه لا بد أن يتخلص عقل المؤرخ من الفروض، ويجب عليه ألا ينظر إلى أي أمة معينة، أو شعب معين، على أنه هو المُفضَّل، ويحتقر، أو يقلل من شأن شعوب أخرى. إن المؤرخ للبشرية لا بد أن يحكم بموضوعية وبصورة محايدة، "مثل خالق جنسنا البشري"^(١). وإذا تحدثنا بوجه عام، فإن هرذر قد أصرَّ على أن يحاول أن يعيش مخلصاً لهذا المبدأ، على الرغم من أن الحقد على روما يظهر ويتجلى، مع هوادة وتسامح مع حضارة الفينيقيين.

ولم يحصر هرذر اهتمامه في أوروبا، بل إنه نظر أيضاً إلى حضارة الصين، والهند، ومصر، واليهود مثلاً، على الرغم من أن معرفته بالصين والهند لم تكن كافية. وعندما وصل إلى اليونان^(٢) وجد دورة ثقافية كاملة؛ أعنى نشأة شعب وانهياره، واستخدامها ليستنتج نتائج عامة. إن كل ثقافة لها مركز جاذبية، وكلما

(1) XIV, p. 85.

(2) استشار جوته هرذر كمصدر موثوق به في ثقافة اليونان (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

والنزعة العسكرية باستمرار. إن مثله الأعلى هو مثال الكشف المنسجم عن الثقافات القومية. وكما أن الأفراد أحرار، أو ينبغي أن يكونوا أحراراً، فإنهم مع ذلك يتحدون في مجتمع، وكذلك يجب أن تشكل الأمم المختلفة أسرة، لكل منها مشاركتها الخاصة في تطوير "البشرية". وبالنسبة لنظرية العرق، فإن هردر آمن بأن تجمعات أو مجموعات عرقية تشكل الأسس الأكثر طبيعية للدول. ومن العوامل التي ساهمت في عدم استقرار روما، كما يرى، الطريقة التي دمر بها غزو الشعوب الأخرى وحدتها العرقية. بيد أن هذه الفكرة، سواء أكانت صحيحة أم لا، ليست لها علاقة بنظرية العرق، إذا أخذناها على أنها تعنى الفكرة القائلة إن جنساً ما يقوق الأجناس الأخرى بصورة متأصلة، وله الحق في أن يحكمها. وبالنسبة لليهود، فإن هردر لم يكن معادياً للسامية. بيد أن الاهتمام كثيراً بهذا الموضوع هو مضيعة للوقت. وليس هناك مؤرخ راجح العقل، وموضوعي يفترض أن نظرية هردر عن التاريخ من حيث إنه تطوير للثقافات القومية تتضمن النزعة القومية بالمعنى المستهجن، أو أنها تتضمن الإمبريالية والنزعة العسكرية، أو نظرية عن السمو المتأصل لجنس معين. لقد كان هردر قومياً بمعنى ما بالتأكيد، لكن ليس بمعنى أنه ادعى أن لأمته حقوقاً لم يرغب في أن يسلم بها بالنسبة للأمم الأخرى.

وفلسفة التاريخ عند هردر مركبة إلى حد ما. فمن جهة، نجد إصراره على الحاجة إلى فحص موضوعي، ومحايد، ويخلو من النظريات المتصورة سلفاً، لكل ثقافة على حدة. وهذه قاعدة ممتازة بصورة واضحة لمؤرخ. ومن جهة ثانية، نجد نظريته عن حياة الثقافة، تشبه حياة الكائن الحي، وقد يبدو أن هذه النظرية تزود بتفسير بطريقة تذكرنا بنظرية فيكو عن الدورات. ومن جهة ثالثة، نجد فكرته عن "البشرية" التي تتفق مع نظرية عن التقدم مما تتفق مع نظرية عن الدورات. بيد أن توافقاً ما هو أمر ممكن بدون شك. إن لكل ثقافة دورتها، غير أن الحركة العامة تكون نحو تحقيق الإمكان المتأصل للإنسان "البشرية".

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

المستمرة يتردد الإنسان إلى حال الهمجية^(١). ويبدو أن هذه العبارات لا تتضمن ضرورة التقدم. فنحن نستطيع، كما يرى هردر، أن نميز ثلاث حقب فى تطور الروح الأوروبية. أولاً، هناك مزج الثقافتين الرومانية والجرمانية الذى أنتج تنظيم أوروبا الدينى والسياسى. ثانياً، هناك عصر النهضة وعصر الإصلاح. ثالثاً، هناك الحقبة الحديثة التى لا نستطيع أن نتنبأ بنتيجتها^(٢). ويبدو هنا مرة ثانية أن ثمة شكاً ما فى المستقبل، على الرغم من أن هذا الشك يمكن، بالتأكيد، أن يتفق مع إيمان عام بالسير الأمامى للبشرية نحو التطور الأبعد لإمكاناتها الأسمى.

وربما يمكن التعبير عن الموقف بهذه الطريقة. لقد مال هردر، من حيث إنه مؤرخ، يعادى الميل إلى الحكم على كل ثقافة على هدى حضارة العصر، إلى النزعة التاريخية والنسبية، التى يصعب أن تتفق مع عقيدة التقدم. لكنه من حيث إنه فيلسوف، لا يؤمن بخيرية الإنسان الطبيعية وإمكان كماله فحسب، وإنما يؤمن بتأثير العناية الإلهية فى الأفعال الإنسانية أيضاً، فإنه مال، بصورة طبيعية، إلى نتيجة هى إن إمكانات الإنسان الأسمى ستتحقق بالفعل فى نهاية الأمر على الرغم من كل العقبات الموجودة فى الطريق.

(1) XIV, p. 138.

(٢) فيما يتعلق بهذه الحقبة يتحدث هردر عن روح - العالم، وهو مصطلح يرجع إلى هيجل (المؤلف).

الجزء الأول...

عصر التنوير في فرنسا

الفصل العاشر

كانط (١): حياته وكتاباتاته

حياة كانط وشخصيته - الكتابات الأولى وفيزياء
نيوتن - الكتابات الفلسفية في مرحلة ما قبل النقد - رسالة
عام ١٧٧٠ وسياقها - تصور الفلسفة النقدية.

١ - إذا صرفنا النظر عن تاريخ تطور كانط العقلي، وعن نتائج هذا التطور، فإننا لا نحتاج إلى أن نقضى وقتاً طويلاً في سرد وقائع حياته؛ لأنها كانت على نحو يثير الاستغراب بصورة متفردة، وتخلو من الأحداث الدرامية. حقاً، إن حياة أى فيلسوف مخصصة أساساً للتأمل، وليس لنشاط خارجي على مسرح الحياة العامة. فلم يكن كانط قائداً في الميدان، أو مكتشفاً في منطقة القطب الشمالي. وعلى الرغم من أنه لم يُجبر على تجرع السم مثل سقراط، أو الحرق بالشدة على الخازوق مثل "جيوردانو برونو"^(١)، فإن حياته لم تكن، بصورة طبيعية، درامية. بيد أن كانط لم يكن حتى شخص رخالة يجوب العالم مثل ليبنتس؛ لأنه قضى طفلة حياته في "بروسيا" الشرقية، كما أنه لم يشغل وظيفة معلم فلسفي في جامعة مدينة رئيسية مثلما كان هيجل في جامعة "برلين".

(١) برونو (١٥٤٨ - ١٦٠٠): ولد في "تولا" بالقرب من "نابولي"، كانت آراؤه متطرفة بالنسبة لمعاصريه؛ إذ أعلن، مثلاً، أن الأرض والكواكب الأخرى في مجموعتنا الشمسية تدور حول الشمس. وتم إعدامه حرقاً بالشدة على الخازوق. من أشهر أعماله: طرد الوحش المنتصر، والمتحمسون الأبطال (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وظائف مثل مربى خصوصى لأسرة فى "بروسيا الشرقية"، واستمرت هذه الفترة من حياته سبع أو ثمانى سنوات، وانتهت فى عام ١٧٥٥ عندما حصل على ما نسميه درجة الدكتوراه، وصُرح له بأن يعمل مدرسا خاصاً^(١) أو محاضراً. وحاول فى عام ١٧٥٦ أن يشغل كرسي كونتسن، الذىبقى شاغراً بسبب وفاته. غير أن كونتسن كان أستاذاً "قذاً وفوق العادة"، وتركت الحكومة، التى تأثرت باعتبارات مالية، الوظيفة شاغرة. وفى عام ١٧٦٤ عُرض على كانط كرسي الشعر، لكنه رفضه، بحكمة بدون شك. وفى عام ١٧٦٩ رفض عرضاً مماثلاً من جامعة "يينا". وأخيراً عين أستاذاً "عادياً" للمنطق والميتافيزيقا فى جامعة "كونجسبرج" فى شهر مارس عام ١٧٧٠. ولذلك فإن الفترة التى قضاها مدرسا خاصاً استمرت من عام ١٧٥٥ حتى عام ١٧٧٠، على الرغم من أنه فى الأربع سنوات الأخيرة من هذه الفترة قدمت له وظيفة أمين مساعد للمكتبة التى عمل بها دعماً مالياً إضافياً. (وفى عام ١٧٧٢ ترك هذه الوظيفة؛ لأنها لا تتفق مع أستاذيته).

ألقى كانط عدداً هائلاً من المحاضرات فى موضوعات كثيرة متنوعة إبان السنوات الخمس عشرة هذه، التى تنتمى إلى ما يُسمى، بوجه عام، مرحلة ما قبل النقد. وهكذا فإنه فى أوقات متنوعة لم يحاضر فى المنطق، والميتافيزيقا، وفلسفة الأخلاق فحسب، وإنما فى الفيزياء، والرياضيات، والجغرافيا، والأنثروبولوجيا، وعلم التربية، وعلم المعادن. وبناء على ما جاء من كل الأخبار، فإنه كان محاضراً ممتازاً. وكان هناك عُرف فى الجامعة هو أن يقدم الأساتذة والمحاضرون نصوصاً، وكان محتماً على كانط أن يذعن لهذا العرف بالتأكيد. ولذلك فإنه استخدم كتاب بومجارتن "الميتافيزيقا". غير أنه لم يتردد فى أن يتخلى عن هذا الكتاب أو أن ينقده، وكانت محاضراته مليئة بروح المرح والفكاهة، بل وحتى بالقصص. وكان هدفه الرئيسى فى تدريس مواد الفلسفة أن يثير مستمعيه لكى يفكروا بأنفسهم، ويقفوا على أقدامهم، كما يصرح هو.

(١) مدرس خاص أو خارج الهيئة Privatdozent هو نظام فى الجامعات الألمانية كان فيه المدرس أو الأستاذ الجامعى يتقاضى مرتبه من تلاميذه (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

١٧٨٣ نشر كانط كتابه "مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصبح علمًا"^(١)، وفي عام ١٧٨٥ نشر كتاب "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق"^(٢)، وفي عام ١٧٨٦ نشر كتاب «المبادئ الميتافيزيقية الأولى للعلم الطبيعي»، وفي عام ١٧٨٧ نشر الطبعة الثانية لكتابه "نقد العقل الخالص"، وفي عام ١٧٩٠ نشر كتاب "نقد ملكة الحكم"، وفي عام ١٧٩٣ نشر كتاب "الدين في حدود العقل وحده"، وفي عام ١٧٩٥ نشر كتاب "مشروع للسلام الدائم"^(٣)، وفي عام ١٧٩٧ نشر كتاب "ميتافيزيقا الأخلاق". وبالتالي ليس من المعقول أنه كان يجب على كانط، في ظل هذا البرنامج الثقيل، أن يحافظ على الوقت. وأصبح نظام يومه، الذي تمسك به بإخلاص إبان سنواته وهو أستاذ شهير. وعندما كان يستيقظ قبل الساعة الخامسة بقليل في الصباح، كان يقضى ساعة من الخامسة حتى السادسة يحترس الشاي، ويدخن الغليون، ويفكر في عمله اليومي. ويقوم بإعداد محاضراته من الساعة السادسة حتى السابعة، ويبدأ هذه المحاضرات في الساعة السابعة أو الثامنة، وتستمر حتى الساعة التاسعة أو العاشرة. ثم يكرس نفسه للكتابة حتى وجبة منتصف اليوم، التي تكون مع رفقاء باستمرار، والتي تطول لساعات عدة؛ لأن كانط كان يستمتع بالمحادثة. وبعد ذلك يقوم بنزهة يومية لمدة ساعة أو أكثر، ويخصص المساء للقراءة والتأمل. ويأوى إلى الفراش في الساعة العاشرة.

لم يصطدم كانط مع السلطة السياسية سوى مرة واحدة. وذلك فيما يتصل بكتابه "الدين في حدود العقل وحده". وقد تفاضت الرقابة في عام ١٧٩٢ عن الجزء الأول من هذا العمل، وعنوانه "عن الشر الجذري في الطبيعة الإنسانية"، على أساس أنه لم يكن موجهاً إلى القارئ العام، كما هي الحال بالنسبة لكتابات كانط الأخرى. لكن الجزء الثاني وهو "عن صراع مبدأ الخير مع الشر" أخفق في

(١) ترجمته إلى العربية الدكتور نازلي إسماعيل، وراجعه الدكتور عبد الرحمن بدوي (المراجع).

(٢) ترجمه إلى العربية الدكتور عبد الغفار مكاوي، وراجعه الدكتور عبد الرحمن بدوي (المراجع).

(٣) ترجمه إلى العربية الدكتور عثمان أمين (المراجع).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

العادية، ولا يستطيع أى شخص أن يزعم أنه كان يميل إلى التصوف. ولم يكن مسيحياً أرثوذكسياً بدقة. غير أنه كان لديه إيمان حقيقى بالله بالتأكيد. وعلى الرغم من أنه سلم بأن الأخلاق مستقلة ذاتياً، بمعنى أن مبادئها ليست مستمدة من اللاهوت، طبيعى أو موحى به، فإنه اقتنع أيضاً بأنها تستلزم، أو تتضمن فى نهاية الأمر الإيمان بالله، بمعنى سببته فيما بعد. ومن المغالاة أن نقول إنه لم تكن لديه فكرة عن التجربة الدينية. وإذا قال المرء ذلك، فإنه سيثير إشارات ناقمة باستمرار إلى تبجيل كانط للسماء المرصعة بالنجوم من فوقنا، والقانون الأخلاقى بداخلنا. وفى الوقت نفسه لم يظهر كانط تقديرًا حقيقياً لأنشطة العبادة والصلاة، ولما يسميه "بارون فون هوجل" B. V. Hugel^(١) العنصر الصوفى فى الدين. بيد أن ذلك لا يعنى بالتأكيد أنه لم يكن لديه تبجيل لله، حتى إذا كان منظوره للدين من الناحية العملية فقط عن طريق الوعى بالإلزام الأخلاقى. ويبدو أن حقيقة الأمر هى أنه كما أن كانط كتب عن الإستاطيقا والخبرة الإستاطيقية بدون أن يكون لديه، فيما يبدو، أى تذوق شخصى ومغم بالحياة بالموسيقى، مثلاً، فإنه كذلك كتب عن الدين بدون أن يكون لديه أى فهم عميق إما للورع المسيحى، أو للتصوف الشرقى مثلاً. تميز كانط بالجدة والهمة وليس بالإخلاص الدينى، شريطة ألا يفهم هذا القول بأنه يعنى أنه كان شخصاً ملحدًا، أو أن تأكيده للإيمان بالله كان مرئياً. إنه لم يواظب على خدمات الكنيسة إلا فى المناسبات الرسمية التى تتطلب وجوده، وتكشف ملاحظته لصديق من أصدقائه؛ وهى أن التقدم فى الخير الأخلاقى يلزمه هجر للصلاة - عن شىء ما من شخصيته.

وفى السياسة كان كانط يميل إلى النظام الجمهورى، إذا أخذنا هذا اللفظ ليشمل ملكية دستورية محدودة. وتعاطف مع الأمريكيين فى حرب الاستقلال، وتعاطف فيما بعد مع مثل الثورة الفرنسية على الأقل. كانت النزعة العسكرية

(١) بارون فون هوجل (١٧٩٥ - ١٨٧٠) مكتشف أسترالى ومختص فى فلاحه البساتين. عمل جندياً ثم استأنف دراسة فلاحه البساتين، والتاريخ الطبيعى (المتروجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

يبدو أن التقسيم الثنائي التقليدي كاف تماماً. وفضلاً عن ذلك، فإن كانط لم يتخل عن الفيزياء النيوتونية من أجل أى نوع آخر من الفيزياء. بيد أنه تخلى عن ثمرات فولف الفلسفى لصالح فلسفة أصيلة، وتظل هذه الواقعة المهمة فى تطوره العقلى. وعلاوة على ذلك، فإن التقسيم الثلاثى يمكن أن يكون مضللاً. فمن جهة، على الرغم من أن كتابات كانط الأولى علمية بصورة مهيمنة، فإنها لم تكن كذلك فقط. ففي عام ١٧٥٥، مثلاً، تلت رسالته "عن النار" رسالة لاتينية أخرى هى «تفسير جديد للمبادئ الأولى للمعرفة الميتافيزيقية»، التى ألّفها عندما صُرح له بأن يحاضر فى الجامعة كمدرس خاص. ومن جهة أخرى، نشر كانط بعض البحوث العلمية حتى إبان المرحلة النقدية. فقد نشر فى عام ١٧٨٥ مقالاً "عن البراكين فى القمر".

ومع ذلك، فإنها مضيعة للوقت أن نكرر هذا السؤال مرة أخرى. فالمسألة المهمة هى أنه على الرغم من أن كانط لم يكن فيزيائياً ممارساً أو فلكياً ممارساً، إن جاز هذا التعبير، فإنه حصل على معرفة بالعلم النيوتونى، وأن صحة التصور العلمى للعالم ظلت حقيقة راسخة بالنسبة له. لقد كانت طبيعة المعرفة العلمية، بالتأكيد، مسألة محل نظر، وشكل مدى إمكان تطبيق المقولات العلمية، والمفاهيم العلمية مشكلة. غير أن كانط لم يشك فى الصحة العامة لفيزياء نيوتن داخل مجالها الخاص على الإطلاق. ونشأت مشكلاته المتأخرة على أساس هذا الاعتقاد. فكيف يمكننا، مثلاً، أن نوفق بين التصور العلمى للعالم من حيث إنه نسق يحكمه قانون، لكل حدث فيه مجراه المحتوم والمحدد، وعالم التجربة الأخلاقية الذى يتضمن الحرية؟ وأيضاً، ما التبرير النظرى الذى يمكننا أن نجده لكلية أو عمومية العبارات العلمية ولصحة التنبؤ العلمى فى مواجهة المذهب التجريبى عند ديفيد هيوم، الذى يبدو أنه يحرم التصور العلمى للعالم من أى تبرير عقلى، ونظرى؟ ولا أعنى بذلك الإشارة إلى أن هذه المشكلات توجد منذ البداية فى تفكير كانط، ولا أرغب فى أن أتطلع فى هذه المسألة إلى مناقشة للأسئلة التى نشأت فى مرحلة متأخرة على الفلسفة النقدية. ولكن يجب علينا أن نفهم من البداية أن كانط قبل، واستمر فى

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

نشر كائط "بيان ما فى أشكال القياس الأربعة من تحذلق كاذب" (عام ١٧٦٢)، يرى فيه أن التقسيم المنطقى للقياس إلى أربعة أشكال هو تحذلق مغال فيه، وغير ضرورى. ونشر فى نهاية السنة نفسها "البرهان الممكن الوحيد لإثبات وجود الله". ولما كان هذا العمل ذا أهمية، فإنه يمكن أن نبدى ملاحظات ضئيلة ومختصرة عليه هنا.

يرى كائط فى نهاية المقال أنه على الرغم من أنه "يجب أن تقتنع بوجود الله بصورة يقينية، فإنه ليس من الضرورى تمامًا أن نبرهن على وجوده"^(١)؛ لأن العناية الإلهية لم ترد أنه لا بد أن تكون الطريقة الوحيدة لبلوغ معرفة بالله عن طريق تحذلقات ميتافيزيقية. وإذا كان الأمر هكذا، بالفعل، فإننا سنكون فى حالة يرئى لها؛ لأنه لم تقدم بالفعل برهان معرفى بعد، يزودنا بتشابه أكيد لبرهان الرياضيات. ومع ذلك، فمن الطبيعى أنه يجب على الفيلسوف المحترف أن يبحث عما إذا كان برهان دقيق على وجود الله ممكنًا. وهدف كائط هو أن يشارك فى هذا البحث.

إن كل البراهين على وجود الله لا بد أن تقوم إما على مفهوم الممكن، أو على الفكرة التجريبية عما هو موجود. وعلاوة على ذلك، فإنه يمكن تقسيم كل فئة إلى فئتين فرعيتين. فمن جهة، قد نحاول أن نبرهن إما من الإمكان بوصفه أساسًا على وجود الله من حيث إنه نتيجة، أو من الإمكان بوصفه نتيجة على وجود الله من حيث إنه أساس هذا الإمكان. ومن جهة أخرى، أعنى إذا بدأنا من أشياء موجودة، فإن مجربين يكونان متاحين لنا. فإما أننا نستطيع أن نحاول أن نبرهن على وجود علة أولى ومستقلة لهذه الأشياء، ثم نبين أن هذه العلة لا بد أن تمتلك صفات معينة، تجعل الأمر مناسبًا لأن نتحدث عنها بوصفها إلهًا. أو أننا نستطيع

(1) 3.5. W., II, P. 163.

الإشارات إلى هذا المجلد والصفحة، المسبوقة بحرف W هى باستمرار إشارات إلى طبعة أعمال كائط الكاملة التى أعدها "الأكاديمية البروسية للعلوم". انظر: سيرة الحياة (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

مجال الإمكان بصورة ضمنية. وينتقل كانط ليبيرهن على أن هذا الموجود لا بد أن يكون واحداً، وبسيطاً، ولا يتغير، وأزلياً، وروحياً، وكل شيء آخر يتضمن فى معنى كلمة "الله" كما تُستخدم فى الميتافيزيقا.

وبقدر ما يهم هذا الخط من الدليل فلسفة العصور الوسطى، فإنه يذكرنا بـ "دانز سكوت"، الذى حاول أن يبرهن على وجود الله وصفاته من فكرة الإمكان، أكثر مما يذكرنا بـ "القديس توما الإكوينى"، فالقديس توما الإكوينى يقيم، بالفعل، بطريقته الثالثة دليله على مفهوم "الموجودات الممكنة"، بيد أن مفهومه عن الإمكان مستمد من واقعة تجريبية هى أن بعض الموجودات توجد وتبقى، ومن ثم تكون "ممكنة" (وهذا ما يسميه الإسكولانيون بوجه عام «حادث»). ويبرهن كانط على أن وجود الله يتضمنه كل تفكير بدلاً من أن وجود الأشياء الحادثة هى التى تظهر وجود الله. وربما يمكن أن نقول إن ما يطلبه كانط هو أن دليل لينتس من حقائق أزلية يجب أن يتحول إلى برهان دقيق. وعلى أية حال من الممتع أن نلاحظ أن خطه من التفكير، على الرغم من أنه يختلف عن خط الدليل الأنطولوجى، ذو طابع قبلى إذا قارناه بالدليل من التدبير والنظام مثلاً، وأنه يفترض وجهة نظر لينتس عن الميتافيزيقا من حيث إنها علم غير تجريبى. غير أن ذلك لا يعنى أنه لم ير أى اختلاف جوهري بين الرياضيات والميتافيزيقا. وسنشير الآن إلى اختلاف أكده كانط فى عمل من أعماله بجلاء ووضوح.

يتحدث كانط فى «البرهان الممكن الوحيد الممكن لإثبات وجود الله»^(١) عن الميتافيزيقا بأنها "هوة لا يُسبر لها غور" و"محيط مظلم بلا شطئان ولا منارات". ونسمع شيئاً أكثر وضوحاً عن طبيعة الميتافيزيقا فى «بحث فى وضوح مبادئ اللاهوت الطبيعى» عام ١٧٦٤. وقدمت أكاديمية برلين فى عام ١٧٦٥ جائزة لمقال عن السؤال عما إذا كانت الحقائق الميتافيزيقية بوجه عام، والمبادئ الأولى

(1) Preface, W., II, p. 66.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وربما يقال إن الفلاسفة يكوّنون، في حقيقة الأمر، تعريفات "بصورة تأليفية". فقد تصور ليننتس لنفسه، مثلاً، جوهرًا بسيطًا لا يملك سوى تمثيلات غامضة، وأسماء "مونادة نائمة". وهذا صحيح للغاية. غير أن المسألة هي أنها عندما كوّن الفلاسفة تعريفات بصورة تعسفية، فإن هذه التعريفات ليست فلسفية إذا تحدثنا بعبارة دقيقة. "إن تحديدات كهذه لمعنى كلمة ليست تعريفات فلسفية على الإطلاق. لكنها إذا سُميت توضيحات على الإطلاق، فإنها لا تكون سوى توضيحات نحوية"⁽¹⁾. ويمكنني أن أبين، إذا أردت، بأى معنى أقصد استخدام مصطلح "مونادة نائمة"، ولكنني أتصرف الآن كنعوى، وليس كفيلسوف. ولم "يفسر ليننتس هذه المونادة، ولكنه تصورهما؛ لأن فكرتها ليست شيئًا معطى له، وإنما هي شيء خلقها هو بنفسه"⁽²⁾. وعلى نحو مماثل، غالبًا ما يعالج الرياضى مفاهيم يمكن تحليلها فلسفيًا، ولا تكون مجرد بناءات تعسفية. ومفهوم المكان هو من هذا القبيل. بيد أن هذه المفاهيم يستقبلها الرياضى؛ أى إنها ليست مفاهيم رياضية، إذا تحدثنا بصورة فنية، بالمعنى الذى يكون به مضيع مثلاً.

ونستطيع أن نقول، من ثم، إنه بينما لا يكون لدينا فى الرياضيات مفهوم على الإطلاق عن أى موضوع حتى يزودنا التعريف بمفهوم، فإنه يكون لدينا فى الميتافيزيقا⁽³⁾ مفهوم معطى لى من قبل واضح، ومحدد⁽⁴⁾، على الرغم من أنه غامض وأحاول أن أوضحه. وكما يقول القديس أوغسطين إننى أعرف جيدًا ما الزمان طالما لم يسألنى أحد عن تعريفه. وأستطيع فى الميتافيزيقا أن أعرف جيدًا بعض الحقائق عن موضوع من موضوعات التفكير، وأستنتج نتائج صحيحة من هذه الحقائق دون أن أستطيع أن أعرف الموضوع. ويقدم كائط مثال الرغبة. فهناك

(1) Enquiry, I, 12. W., II, P. 277.

(2) Ibid.

(3) يصف كائط الميتافيزيقا بأنها "ليست شيئًا سوى فلسفة عن مبادئ معرفتنا القصوى" (Enquiry, 2. W., II, P. 283. (المؤلف).

(4) Enquiry, 2. W., II, P. 283.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

باختصار إلى برهانه على وجود الله بأنه الأساس الفعلي للإمكان. بيد أن الموقف في الأخلاق يختلف إلى حد ما؛ لأنه يجب علينا أن نعرف الدور الذي يلعبه الشعور في الحياة الأخلاقية. ويشير كانط إلى "هانشيسون، وآخرين"، ويرى أن "أول شيء في ألمانيا هو أن الناس بدأوا يرون أنه بينما تكون قوة التمثيل في الحقيقة هي المعرفة، فإن قوة إدراك الخير هي الشعور، وأنه يجب ألا تختلط هاتين القوتين ببعضهما ببعض"^(١). (كما أن تأثير فلاسفة الأخلاق البريطانيين والكتاب البريطانيين على الإستاطيقا جلي وواضح في مقال كانط "ملاحظات عن الشعور بالجميل والجليل" (عام ١٧٦٤). لكن بغض النظر تماماً عن الدور الذي يلعبه الشعور في الحياة الأخلاقية، فإن المبادئ الأولى للأخلاق لم تتضح تماماً بعد. ونجد استباقاً لنظرية كانط الأخلاقية المتأخرة في التمييز الذي يقوم به بين "ضرورة مشروطة" (أعني لكي تحقق الغاية س يجب عليك أن تأخذ الوسيلة ص)، و"ضرورة قانونية" (أعني أنه يجب عليك أن تفعل هذا، ليس بوصفه وسيلة لشيء آخر، وإنما بوصفه غاية). ويخبرنا كانط في الوقت نفسه بأنه بعد تمنع وتروى وصل إلى نتيجة هي أن المبدأ الصوري الأول للإلزام هو "افعل الشيء الأكثر كمالاً الممكن بالنسبة لك"^(٢). بيد أننا لا نستطيع أن نستنبط من هذا المبدأ إزامات معينة، إذا لم تُعط أيضاً مبادئ أولى «مادية». ويجب فحص كل هذه الموضوعات بدقة، والتفكير فيها ملياً قبل أن نعطي للمبادئ الأولى للأخلاق الدرجة القصوى من اليقين الفلسفي.

وربما نفترض ملاحظات كانط في "بحث في مبادئ اللاهوت الطبيعي" على توضيح فكرتنا عن الزمان للقارئ الإنجليزي المعاصر أنه اهتم برد الفلسفة إلى «تحليل لغوي»؛ أي إلى تحليل لاستخدام الألفاظ. غير أنه لم يقصد إنكار المغزى الوجودي للميتافيزيقا. ويتضح ذلك، مثلاً، فيما كان مضطراً إلى قوله عن اللاهوت الطبيعي. وهدفه في هذا العمل هو بيان أن الميتافيزيقا التي تستخدم المنهج

(1) Enquiry, 4, 2. W., II. pp. 99-300.

(2) Enquiry, 4, 2. W., II. p. 299.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

يرفضها بصورة محددة في التأثير الذي يمارسه عالم الأرواح. ويقدم لنا، من جهة، ما يسميه "شذرة من شذرات الفلسفة السرية"⁽¹⁾، يفترض فيها، إذا سلمنا بافتراض (غير مبرهن) عالم الأرواح، طريقة قد يُسقط فيها تأثير الأرواح على نفوس الناس في رؤى خيالية. ويواصل ذلك، من جهة أخرى، بـ "شذرة من شذرات الفلسفة الدارجة"⁽²⁾، يفترض فيها تفسيراً لتجارب مثل تجارب "سويدنبرج" التي تجعل موضوعها مرشحات مناسبة لمعالجة طبية، واهتمام طبي. وللقارئ الحق في أن يقبل أى التفسيرات التي يختارها. بيد أن المسألة الرئيسية ليست مناقشة كسائط لتجارب خيالية، وإنما هي، بالأحرى، سؤاله عما إذا كانت نظريات الميتافيزيقا النظرية، من حيث إنها تزعم مجاوزة التجربة، هي في وضع أقوى من رؤى سويدنبرج. وبين أنها، في رأيه، في وضع أضعف. وربما تكون رؤى سويدنبرج قد سببها اتصال بعالم الأرواح، حتى إذا لم تتم البرهنة على ذلك. لكن يفترض أن النظريات الميتافيزيقية مبرهن عليها عقلياً، ولا يمكن أن تكون النظريات الميتافيزيقية عن موجودات روحية. بل وحتى لا يمكن أن تكون لدينا تصورات عن الأرواح. صحيح، أننا يمكن أن نحاول أن نصفها عن طريق صنوف السلب. غير أن إمكان هذا الإجراء لا يقوم، كما يرى كانط، على التجربة ولا على استدلال عقلي؛ إنه يقوم على جهلنا، يقوم على معرفتنا المحدودة. والنتيجة هي أنه لا بد من استبعاد مذهب الأرواح من الميتافيزيقا التي لا بد أن تكمن في تحديد "حدود المعرفة التي تضعها طبيعة العقل الإنساني"⁽³⁾، إذا أرادت أن تكون علمية.

لقد تأثر كانط بنقد هيوم في قبوله هذا الموقف من الميتافيزيقا. ويبدو هذا واضحاً إلى حد كبير بما قيل في "أحلام راء مفسرة..." عن العلاقة العلية. ويجب ألا يختلط ذلك بعلاقة اللزوم المنطقي. فليس هناك تناقض منطقي مضمن باستمرار في تأكيد العلة وإنكار المعلول. إننا لا نعرف العلل والمعلولات إلا عن

(1) Dreams. I, 2; W., II, P. 329.

(2) Dreams. I, 3; W., II, P. 342.

(3) Dreams. I, 3; W., II, P. 369.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

والقول بأن كانط لم يصل بعد إلى الموقف النقدي جلي وواضح من مقاله عن المكان، مثلاً، الذي نشره في عام ١٧٦٨. ففي هذا المقال طور بعض أفكار "ليونارد إيولر" ^(١) (١٧٠٧ - ١٧٨٣)، الذي أعجب به إعجاباً شديداً، وسلّم بأن "المكان المطلق له حقيقة خاصة به باستقلال عن وجود كل مادة..." ^(٢). وفي نفس الوقت أظهر أنه على وعى بالصعوبات التي تلازم النظرية التي تقول إن المكان حقيقة مستقلة، وموضوعية. ويرى أن المكان المطلق ليس موضوعاً للإدراك الخارجي، وإنما هو مفهوم أساسي يجعل الإدراك الخارجي ممكناً ^(٣). وطور وجهة النظر هذه في رسالته التي أهدته لمنصب الأستاذية.

٤ - إن تقرير كانط في مدخل كتابه "مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصبح علماً" أن هيوم هو أول من أيقظه من سباته الدوجماتيقي قد يُقتبس أحياناً أو يشير إلى أننا قد نتغاضى عن تأثير ليننتس، أو نقل من شأنه. لقد نُشر كتاب ليننتس "مقالات جديدة عن الفهم البشري" أخيراً في عام ١٧٦٥، وفي عام ١٧٦٨ ظهرت طبعة "ديوتن" Duten لكتابات ليننتس، تحتوي على مناظرة ليننتس - كلارك. وقبل هذه المنشورات عرف كانط فكر أسلافه العظام عن طريق وسيط فلسفة فولف؛ ويتضح أن الضوء الجديد الذي ألقى على ليننتس كان له تأثير عميق في تفكيره. ووجدت النتائج الأولى لتأملاته تعبيراً في رسالته التي أهدته لمنصب الأستاذية وهي "صورة العالم المحسوس والعالم المعقول وميادئهما" (عام ١٧٧٠).

(١) ليونارد إيولر: رياضي وفيزيائي سويسري، وأحد مؤسسي علم الرياضيات البحتة. له مؤلفات في الرياضيات التحليلية، والجبر، والميكانيكا التحليلية، والفلك، والضوء (المترجم).

(2) W., II, P. 378.

(3) Ibid. P. 383.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وهي شرط المعرفة الحسية. وهناك شرطان هما: المكان والزمان. ويتحدث كانط في رسالته عنهما بأنهما "مفهومان". غير أنهما ليسا مفهوميين كليين تتدرج تحتها الأشياء الحسية، وإنما هما مفهومان مفردان تصبح فيهما الأشياء الحسية موضوعاً للمعرفة. ويوصف هذان "المفهومان المفردان" بأنهما "عيانان خالصان"⁽¹⁾. والعيان الإلهي هو النموذج الأصلي والمبدأ النشط للأشياء، غير أن الأمر ليس كذلك بالنسبة لعياننا التي يفترض أنها سلبية. إن وظيفتهما هي، ببساطة، تنظيم الإحساسات التي نستقبلها، وتجعل المعرفة الحسية، بالتالي، ممكنة. "إن الزمان ليس شيئاً موضوعياً وواقعياً، وهو ليس عرضاً، ولا جوهرًا، ولا علاقة، إنه الشرط الذاتي، الضروري - بسبب طبيعة العقل الإنساني - لتنظيم كل الأشياء الحسية عن طريق قانون معين، وهو عيان خالص؛ لأننا لا ننظم الجواهر والأعراض على حد سواء، وفقاً للثباتية والتتابع أيضاً، إلا عن طريق مفهوم الزمان..."⁽²⁾. كما أن "المكان ليس شيئاً موضوعياً وواقعياً، وهو ليس جوهرًا ولا عرضاً ولا علاقة، وإنما هو ذاتي ومثالي وينتج من طبيعة الذهن عن طريق قانون ثابت، من حيث إنه اسكيم (رسم تخطيطي) Scheme لتنظيم كل الإحساسات الخارجية"⁽³⁾. ومن ثم فإن العيان الخالص للزمان هو الشرط الضروري لكل معرفة حسية أياً كانت. فأنا لا أستطيع أن أعى رغباتي الداخلية، مثلاً، إلا في زمان. والعيان الخالص للمكان هو الشرط الضروري لكل معرفة بالإحساسات الخارجية.

ومن ثم لكي نجتنب الصعوبات والنقائص التي نقع فيها إذا تمسكنا بأن المكان والزمان حقيقتان مستقلتان ومطلقتان، أو إذا كانا خاصيتين موضوعيتين وواقعيتين للأشياء، فإن كانط يفترض أنهما عيانان ذاتيان خالصان (أعنى أنهما في

(1) مصطلح Intuition يُترجم عادة "حدس"، ولكني أثرت أن أترجمه "عيان"، والكلمة مشتقة من الفعل اللاتيني Intueri الذي يتكون من Tueri أى يرى، و In من الداخل. وتعني الكلمة "رؤية داخلية". وأعتقد أن ما كان يعنيه كانط من هذا المصطلح قريب من هذا (المترجم).

(2) On the form and Principles, 3, 14, 5; W., II, p. 400.

(3) On the form and Principles, 3, 15, D. W., II, p. 403.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بعيداً عن مصادرها الخاصة إن جاز هذا التعبير، لكنه، ببساطة، ينظم من الناحية المنطقية المواد المستمدة من مصدر حسي. إن الاستخدام المنطقي للذهن ليس محصوراً في تنظيم المادة المستمدة من مصدر حسي، ولكنه عندما يُستخدم بهذه الطريقة، فإن استخدامه لا يحول المعرفة الحسية إلى معرفة عقلية، بالمعنى الذي يستخدم به كانط هذين المصطلحين في الرسالة.

ماذا يعني كانط، إذاً، بالمعرفة العقلية والعالم المعقول؟ المعرفة العقلية هي معرفة الموضوعات التي لا تؤثر على الحواس؛ أعني أنها معرفة ليست بالمحسوسات، وإنما بالمعقولات. وتكون المعرفة بالمعقولات مغا للعالم المعقول. إن المعرفة الحسية هي معرفة بالموضوعات كما تظهر؛ أعني لا تخضع لما يسميه كانط "قوانين الحساسية"، وهي الشروط القبلية للمكان والزمان، بينما المعرفة العقلية هي معرفة بالأشياء في ذاتها⁽¹⁾. وتدرج العلوم التجريبية تحت عنوان المعرفة الحسية، بينما تكون الميتافيزيقا هي النموذج الأول للمعرفة العقلية.

ومن ثم فإن هذا يفترض بوضوح أن العقل في الميتافيزيقا يعي الموضوعات التي تتجاوز الحواس؛ والله يفوقها جميعاً. لكن هل نتمتع بعيان الحقائق الروحية؟ ينكر كانط ذلك بوضوح، "إذ إن عيان الموضوعات المعقولة ليس معطى للإنسان، وإنما هو معرفة رمزية فقط"⁽²⁾. وأعني أننا ندرك الموضوعات التي تتجاوز الحس عن طريق مفاهيم كلية، لا عن طريق عيان مباشر. فما الذي يبرر إذن الاعتقاد بأن تمثلاتنا التصورية للحقائق التي تتجاوز ما هو محسوس صحيحة؟

ويمكن أن نضع هذه الصعوبة على هذا النحو. يتحدث كانط، كما رأينا، عن الاستخدام المنطقي للفهم أو للذهن، فوظيفة الذهن، وهي مقارنة المادة وتنظيمها، إما أن تستمد من مصدر محسوس أو مصدر يتجاوز ما هو محسوس. في حالة المادة المستمدة من مصدر محسوس يكون لدى الفهم شيء يؤثر عليه، وهو المادة

(1) On the form and Principles, 2, 4; W., II, p. 392.

(2) Ibid, 2, 10; W., II, p. 396.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

طبيعية أن المعرفة العقلية هي معرفة بالمعقولات، تماماً كما أن المعرفة الحسية هي معرفة بالمحسوسات. ومن حيث إن الحقائق التي تجاوز ما هو محسوس تنتمي إلى فئة المعقولات، فإننا نتوقع بصورة طبيعية أن كائناً يؤكد أن الميتافيزيقا الدوجماتيقية، إذا نظرنا إليها على أنها نسق من حقائق معروفة، ممكنة. والخطوة المزدوجة هذه للمعرفة، وموضوعات المعرفة، التي افترضها تحت تأثير ليننتس، تجعل الأمر صعباً بالنسبة له، في واقع الأمر، لأن يتخلى عن الميتافيزيقا الدوجماتيقية تماماً. وهو يقول في نفس الوقت ما يكفي في الرسالة لإضعاف موقف الميتافيزيقا الدوجماتيقية بصورة ملحوظة جداً، والشك في مزاعمها، حتى إن لم يرفضها تماماً. ومن المفيد جداً تناول هذه المسألة باختصار التي هي ذات أهمية في تطور فكر كائنت.

يؤكد كائنت، من جهة، كما رأينا، أن "الاستخدام الفعلي" للذهن في مجال المعقولات لا يقدم لنا سوى معرفة رمزية. وربما يفترض ذلك بالنسبة لشخص يعرف تراث توما الإكويني جيداً أن كائنت يقول إنه يمكن أن تكون لدينا معرفة بحقائق تجاوز ما هو محسوس، على الرغم من أن هذه المعرفة هي معرفة بالمثل في طابعها. غير أن ما يبدو أن ما يعنيه هو أنه في غياب المادة العيانية (الحسية)، لا يمدنا امتداد "الاستخدام الواقعي" للذهن (من حيث إنه ينتج مفاهيمه وبديهياته من نفسه عند حاجة التجربة) إلى استخدامه للدوجماتيقى إلا بإشارات رمزية عن حقائق تجاوز ما هو محسوس، حتى إن وصف الله، مثلاً، بأنه العلة الأولى يكون مثلاً للرمزية. والمسافة من هذا الموقف إلى موقف كائنت المتأخر ليست كبيرة جداً؛ أعني أنه من السهل أن نأخذ الخطوة الأبعد لتأكيد أن الوظيفة الأولية لمفاهيم مثل العلة، والجوهر هي أن تولد معطيات العيان الحسى، وعلى الرغم من أنه يمكن، بالتأكيد من الناحية السيكلولوجية، تطبيق هذه المفاهيم على حقائق تجاوز ما هو محسوس، فإن التطبيق لا ينتج معرفة علمية بهذه الحقائق.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

مفاهيم لا تنطبق إلا في مجال المعرفة الحسية على حقائق تجاوز ما هو محسوس، وأن نكون على حذر من تحويل مبادئ المعرفة الحسية إلى مبادئ عامة. ويقدم مثلاً هو البديهية التي تقول إن ما هو موجود، يوجد في مكان ما وفي وقت ما. إنه ليس من حقنا أن نقرر ذلك بصورة كلية، وإلا فإننا نسحب الله، مثلاً، إلى المجال المكاني - الزماني. وللذهن فيما يسميه كانط "استخدامه النقدي" وظيفة الكشف عن الطابع الذي ليس له ما يبرره لهذه الأقوال العامة. ومن ثم فإن الذهن يستطيع في استخدام النقدي أن يخلص مجال الحقيقة التي تجاوز ما هو محسوس، إن جاز التعبير، من التلوث عن طريق تطبيق مفاهيم ومبادئ تخص المعرفة الحسية.

بيد أنه لا بد من تمييز الاستخدام النقدي للعقل عن استخدام الدوجماتيقي. إن الواقعة التي تقول إننا نستطيع أن نقول، مثلاً، إن الله ليس في مكان أو في زمان لا تعنى بالضرورة أننا نستطيع أن نبلغ معرفة إيجابية أو يقينية بالله عن طريق العقل الخالص. ولم يكن محتملاً على كانط، كما رأينا، سوى أن يستمر ليقول إن الوظيفة المعرفية لمفاهيم العقل الخالص هي وظيفة تركيب معطيات العيان الحسي التي هي باطلة بالنسبة للميتافيزيقا الدوجماتيكية إذا قصدنا بهذه الميتافيزيقا نسقاً من حقائق معينة عن حقائق تجاوز ما هو محسوس مثل الله وخلود نفس الإنسان. وإذا تحدثنا بدقة، فإن مفهوم العلة، مثلاً، لن ينطبق، بالتالي، على الله. وإذا تحدثنا من الناحية السيكلوجية، فإننا نستطيع، من ثم، أن نطبقه بالتأكيد، غير أن استخدامه لا يقدم لنا سوى إشارة رمزية عن الله، ولا يقدم لنا معرفة علمية.

ولم يؤكد كانط، ولم يؤكد بالفعل على الإطلاق، أنه لا وجود لحقائق تجاوز ما هو محسوس. وقد يُعترض بأنه ليس لديه، إذا أُلقي جو من اللبس على الميتافيزيقا الدوجماتيكية، مبرر لتأكيد أن هذه الحقائق موجودة. غير أنه لا يرفض في الرسالة الميتافيزيقا الدوجماتيكية تماماً، بألفاظ واضحة وجلية. وعندما سُرع فيما بعد أن يفعل ذلك، فإنه طوّر أيضاً نظريته عن مسلمات القانون الأخلاقي، وهو موضوع يجب أن نتركه الآن.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ومع ذلك، فإن تأملات كانط أثناء الشتاء عام ١٧٧٠ قد أدت إلى التخلي عن فكرة توسيع الرسالة، والشروع بدلاً من ذلك في عمل جديد. ولذلك كتب في شهر يونيو عام ١٧٧١ إلى "ماركيوس هيرتز" Marcus Herz^(١)، وهو أحد تلاميذه، أنه انهمك في كتاب سيحمل عنوان "حدود الحساسية والعقل". واقترح في هذا الكتاب أن يعالج علاقات المبادئ والقوانين الأساسية، التي تكون محددة قبل تجربة العالم المحسوس، بالموضوعات التي تتخبط في نظرية الذوق، والميتافيزيقا، والأخلاق. ولقد رأينا أن كانط عرض في الرسالة عام ١٧٧٠ نظرية تقول إن المكان والزمان "قانونان" ذاتيان لتنظيم الإحساسات، كما رأينا أنه يعتقد في الرسالة ذاتها النظرية التي تقول إن العقل الخالص يستمد من نفسه مفاهيم الميتافيزيقا الأساسية عند حاجة التجربة إليها، كما يعتقد النظرية التي تقول إن مبادئ الأخلاق الأساسية لا تستمد إلا من العقل فقط. ثم يأخذ على عاتقه البحث في المفاهيم والقوانين الأساسية التي تنشأ في طبيعة الذات وتطبق على المعطيات التجريبية للإستاطيقا، والميتافيزيقا، والأخلاق. وبمعنى آخر، يقترح أن يتناول في مجلد واحد الموضوعات التي اتضح في النهاية أنها تحتاج إلى ثلاثة مجلدات، وأعني الكتب النقدية الثلاثة. ويتحدث كانط في هذا الخطاب عن المبادئ الذاتية ليس للحساسية "فقط"، وإنما للفهم أيضاً^(٢). وهكذا سار كانط في طريقه على نحو مرض إلى تصور مشروعه العظيم الخاص بفصل العناصر القبلية في المعرفة الإنسانية. إن التمييز بين الصورة والمادة في المعرفة يجب ألا يُبحث بالنسبة للحساسية فحسب، حيث تكون العناصر الذاتية هي العيانات الخالصة للمكان والزمان، وإنما أيضاً بالنسبة للفهم، وبالنسبة للدور الذي يلعبه في تركيب المعطى. ويجب ألا يشمل مدى البحث المعرفة النظرية فحسب، وإنما التجربة الأخلاقية والإستاطيقية أيضاً.

(1) See W., X, p. 123.

(2) See W., X, p. 122.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الموضوعات، وكيف تطابق الموضوعات المفاهيم. ويرى كانط في رسالته أنه أقنع نفسه بتفسير سلبي للمادة. أعنى أنه أقنع نفسه بالقول إن «التمثلات العقلية... ليست تعديلات للنفس عن طريق الموضوع»⁽¹⁾، وتجاهل السؤال كيف تشير هذه التمثلات العقلية، أو المفاهيم الخالصة للفهم إلى الموضوعات عندما لا تتأثر بها.

وإذا سلمنا بافتراض كانط؛ وهو أن المفاهيم الخالصة للفهم، وبديهيات العقل الخالص⁽²⁾ لا تستمد تجريبياً، فإن هذا السؤال يرد بصورة واضحة. والطريقة الوحيدة للإجابة عنه في النهاية، إذا سلمنا بالافتراض، هي أن نتخلى عن تأكيد الرسالة أن التمثلات الحسية تمدنا بموضوعات كما تبدو، بينما تمدنا التمثلات العقلية بموضوعات كما تكون، ونقل بدلاً من ذلك إلى الوظيفة المعرفية للمفاهيم الخالصة للفهم هي تركيب (تأليف) معطيات العيان الحسي. أعنى أنه يجب على كانط أن يؤكد أن المفاهيم الخالصة للفهم هي صور ذاتية نتصور عن طريقها معطيات العيان الحسي بالضرورة (لأن العقل هو ما هو عليه). ومن ثم فإن الموضوعات تطابق مفاهيمنا، وتشير مفاهيمنا إلى الموضوعات؛ لأن هذه المفاهيم شروط قبلية لإمكان موضوعات المعرفة، أي إنها تؤدي وظيفة تشبه وظيفة العيانات الحسية للمكان والزمان، ولكن على مستوى أعلى، هو المستوى العقلي. وبمعنى آخر، سيكون بإمكان كانط أن يؤكد تمييزه الحاد بين الحس والعقل، ولكن يجب عليه أن يتخلى عن فكرة هي أنه بينما تمدنا التمثلات الحسية بالأشياء كما تبدو، فإن التمثلات العقلية تمدنا بالأشياء كما تكون في ذاتها. وبدلاً من ذلك سيكون هناك عملية تصاعدية من التأليف تكون عن طريقها الحقيقة التجريبية. إن الصور الحسية والصور العقلية للذات الإنسانية تظل ثابتة، ولا تعرف الأشياء إلا من حيث إنها تخضع لهذه الصور، وسيكون هناك اتفاق بين الموضوعات ومفاهيمنا باستمرار.

(1) Ibid.

(2) لا تزال مصطلحات كانط غير محددة. فهو يتحدث عن "المفاهيم الخالصة للفهم، والتمثلات العقلية، وبديهيات العقل الخالص" (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

هذا العمل الشهير المعرفة الرياضية، والمعرفة العلمية، ويحاول أن يبرر موضوعية هذه المعرفة في مواجهة المذهب التجريبي عند "ديفيد هيوم". وقام بذلك بافترض "ثورته الكوبرنيقية"؛ أعنى النظرية التي تقول إن الموضوعات تطابق الذهن وليس العكس. ولأن بقاء الحساسية الإنسانية، وبناء العقل الإنساني ثابتان، فإن الموضوعات تبدو لنا باستمرار بطرق معينة. ومن ثم فإننا نستطيع أن نصنع أحكاماً علمية كلية لا تصلح للتجربة الفعلية فحسب، وإنما للتجربة الممكنة أيضاً. وبالتالي فإن علم "تيوتن" له ما يبرره نظرياً على الرغم من ميول المذهب التجريبي المتفرقة. وينجم عن هذا الموقف أن المفاهيم الخالصة للفهم لا تمكننا من معرفة الأشياء في ذاتها، بغض النظر عن الطريقة التي تبدو لنا فيها، أو الحقائق التي تجاوز ما هو محسوس. ويحاول كانط في كتابه "نقد العقل الخالص" أن يفسر كيف نشأت الميتافيزيقا النظرية التقليدية، ولماذا كان مقدراً لها أن تفشل. وسنناقش المشكلات التي تكمن في أساس كتاب "نقد العقل الخالص" في الفصل القادم.

وجد كانط أنه قد أسىء فهم كتابه "نقد العقل الخالص"، وأن ثمة شكاوى من غموضه. ولذلك قام بنشر كتابه "مقدمة لكل ميتافيزيقا..." في عام ١٧٨٣، وهو عمل قصير، خططه لا ليكون تكملة لكتابه "نقد العقل الخالص"، وإنما ليكون نوعاً من المدخل، أو التفسير. ونشر في عام ١٧٨٧ طبعة ثانية لكتابه "نقد العقل الخالص". ويشير إلى المراجع في الطبعة الأولى بالحرف (أ)، ويشير إليها في الطبعة الثانية بالحرف (ب).

ووجه كانط انتباهه في نفس الوقت إلى المبادئ الأساسية للأخلاق. ونشر في عام ١٧٨٥ كتابه "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق". وتبع هذا الكتاب كتاب "نقد العقل العملي" في عام ١٧٨٨، على الرغم من أنه لم ينشر بينهما الطبعة الثانية لكتابه "نقد العقل الخالص" فحسب، وإنما نشر أيضاً "المبادئ الميتافيزيقية الأولى للعلم الطبيعي" في عام ١٧٨٦. وسنعالج نظرية كانط الأخلاقية في فصل لاحق. ويكفى هنا أن نقول إنه كما حاول كانط في كتابه "نقد العقل الخالص" أن يعزل العناصر

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

علميًا، وإنما بوصفها مضامين للقانون الأخلاقي، بمعنى أننا ننظر إلى معرفة واقعة الإلزام الأخلاقي على أنها تتطلب إيمانًا أخلاقيًا بهذه الحقائق، أو أنها تسلم بإيمان أخلاقي بهذه الحقائق. ومن ثم فإن كانط لا يزال يسلم بأن هناك مجالاً يجاوز ما هو محسوس، غير أنه لا يجد مفتاحه في الميتافيزيقا الدوجماتيقية، وإنما في التجربة الأخلاقية.

ويجب أن نتذكر أن كانط لم يقصد في عمله "حدود الحساسية والذهن" أن يعالج الميتافيزيقا والأخلاق فحسب، وإنما كان يقصد أيضًا أن يعالج المبادئ الأساسية لنظرية الذوق. وقد عالج كانط الحكم الإستطائقي، أو حكم الذوق بالتفصيل في كتابه "تقد ملكة الحكم" الذي ظهر في عام ١٧٩٠. ويتكون هذا العمل من جزئين أساسيين؛ يعالج الجزء الأول الحكم الإستطائقي، بينما يعالج الجزء الثانى الحكم الغائى، أو حكم الغائية فى الطبيعة، وهو ذو أهمية ملحوظة؛ لأن كانط يحاول فيه أن يسد الفجوة بين عالم الطبيعة الآلى (الميكانيكى) كما هو ممثل فى العلم الفيزيائى، وعالم الأخلاق، أعنى عالم الحرية والإيمان؛ أى إنه يحاول أن يبين كيف ينتقل العقل من أحدهما إلى الآخر، وبأخذ كانط على عاتقه المهمة الصعبة وهى بيان كيف يكون الانتقال معقولاً دون أن نرجع فى الوقت نفسه عما قاله من قبل عن عدم جدوى الميتافيزيقا الدوجماتيقية، وعن مكانة الإيمان الأخلاقى، أو العملى، من حيث إنه وسيلتنا الوحيدة للاقتراب من العالم المجاوز لما هو محسوس. وسنناقش مضامين هذا العمل لاحقاً. ولكن الأمر الذى له قيمته هو أن نلاحظ كيف اهتم كانط بعمق بالتوفيق بين الرؤية العلمية ورؤية الإنسان الأخلاقية والدينية.

نشر كانط فى عام ١٧٩١ مقالاً عنوانه "فى فشل كل المحاولات الفلسفية فى الثوديسيا"، يؤكد فيه أننا نهتم فى الثوديسيا، أو اللاهوت الفلسفى بمسائل الإيمان بدلاً من حقيقة يمكن البرهنة عليها علميًا. وأتبع هذا المقال فى عام ١٧٩٣ كتاب "الدين فى حدود العقل وحده". وقد ذكرنا فى قسم سابق من هذا الفصل المشكلة

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل الحادى عشر

كانط (٢): مشكلات كتاب "نقد العقل الخالص"

المشكلة العامة للميتافيزيقا - مشكلة المعرفة القبلية
- تقييمات هذه المشكلة - ثورة كانط الكوبرنيقية -
الحساسية، والفهم، والعقل، وبناء كتاب "نقد العقل
الخالص" - دلالة كتاب نقد العقل الخالص فى سياق المشكلة
العامة لفلسفة كانط.

١ - إذا نظرنا إلى افتتاحيتي الطبعة الأولى والثانية لكتاب "نقد العقل
الخالص"، وإلى تصدير كتاب "مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن
تصبح علماً"^(١)، وإلى أقسامه الأولى، فإننا نجد أن كانط يشدد على

(١) يجب أن تفسر الإشارات إلى كتابات كانط فى الفصل العاشر والثالث عشر على النحو التالى. يشير الحرف (أ) إلى الطبعة الأولى من كتاب "نقد العقل الخالص" ويشير الحرف (ب) إلى الطبعة الثانية. وسنجد ذلك فى المجلدين الرابع والثالث من الطبعة النقدية لأعمال كانط التى حررتها الأكاديمية الروسية للعلوم. وتسير الأعداد الموضوعة بعد الحرفين (أ) و(ب) إلى أقسام كما هى موجودة فى هذه الطبعة (تتأخر الأقسام ترقيم الصفحات فى الطبعت الألمانية الأصلية). وأنا مسئول عن ترجمة الفقرات. لكن لما كانت الغالبية العظمى من الفقرات المتنبسة من الترجمة مأخوذة من (ب)، فإن الإشارات صحيحة بوجه عام بالنسبة لترجمة (ب) للبروفيسر "كامب سميث"؛ لأن هذه الترجمة تشتمل على التقسيم إلى الأقسام المشار إليها سابقاً. (كما تتضمن ترجمة كامب سميث مقدمة لـ (أ)، واقتطاع المقولات كما هى معطاة فى (أ)). وتعنى Prol. مقدمة لكل ميتافيزيقا يمكن أن تصبح علماً، المتضمن فى المجلد الرابع من الطبعة النقدية الألمانية. وهذا التقسيم إلى أقسام موجود فى ترجمة J. H. Bernard و P. Mahaffy (انظر قائمة المراجع) (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لقد ساعد عدم قطعية الميتافيزيقا، وعدم قدرتها بالتالى على أن تجد منهجاً يمكن الوثوق به يودى إلى نتائج يقينية، وميلها المستمر إلى أن تعود أراجيحها وتبدأ من جديد، نقول إن هذه المزايأ ساعدت على توليد اللامبالاة واسعة الانتشار نحو الميتافيزيقا ومزاعمها. حقاً، إن اللامبالاة هذه ليس لها ما يبررها؛ لأنه "من العبث أن ندعى اللامبالاة بالنسبة لهذه الأبحاث، التى لا يمكن أن تكون موضوعاتها مسألة لامبالاة بالطبيعة الإنسانية"⁽¹⁾. وفضلاً عن ذلك فإن أولئك الذين يدعون أنهم غير مبالين يميلون إلى أن يصيغوا عبارات ميتافيزيقية خاصة بهم، حتى إذا لم يعوا الواقع. كما أن عدم المبالاة هذه ليست، فى رأى كانط، ثمار الطيش المحض للعقل؛ فهى، بالأحرى، التعبير عن نضج معاصر للحكم الذى يرفض أن يرضى بمعرفة وهمية، أو بعلم زائف. إنها تخدم، بالتالى، كمنبه للقيام ببحث نقدى للميتافيزيقا، مستدعية البحث النقدى للميتافيزيقا بالمثل أمام محكمة العقل.

ما الصورة التى يجب أن يأخذها هذا البحث النقدى؟ لكى نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال لا بد أن نعرف ماذا تعنى الميتافيزيقا عند كانط. لا يتفق كانط، كما رأينا فى الفصل الأخير، مع نظرية لوك التى تقول إن كل تصوراتنا مستمدة من التجربة. ولم يقبل، بالفعل، النظرية المعارضة للأفكار الفطرية. غير أنه فى الوقت نفسه يعتقد أن هناك مفاهيم ومبادئ يستمدّها الذهن من ذاته عند حاجة للتجربة. فالطفل لا يولد وهو مزود بفكرة عن العلّية مثلاً، ولكن عند مروره بالتجربة فإن ذهنه يستمد المفهوم من ذاته. إن مفهوم (العلّية) قَبِلَ بمعنى أنه ليس مستمداً من التجربة، وإنما ينطبق عليها ويحكمها. ومن ثم، فإن هناك مفاهيم ومبادئ قَبِلَية موجودة فى بنية العقل. وهذه المفاهيم "خالصة" بمعنى أنها، فى ذاتها، تخلو من كل مضمون تجريبي، أو تخلو من كل مضمون مادي. وقد افترض الميتافيزيقيون أن العقل يستطيع أن يطبق هذه المفاهيم والمبادئ ليفهم الحقائق التى تجاوز ما هو محسوس والأشياء فى ذاتها، أعنى ليست كما تبدو لنا فحسب. ومن ثم تنشأ مذاهب

(1) A., X.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

علينا أن نبتين أن كانط لا يشير إلى بحث سيكولوجي؛ أعنى منظوراً إليه على أنه موضوع بين الموضوعات. إنه يهتم بالذهن من جهة معرفة قَبَلية يجعلها ممكنة؛ أعنى أنه يهتم بالشروط الخالصة للذات الإنسانية من حيث هي كذلك لمعرفة الموضوعات. ويُسمى هذا البحث "ترنسندنتالي".

ومن المهام الأساسية لكتاب "نقد العقل الخالص" بيان ما هذه الشروط بطريقة نسقية. ومن المهم أن نفهم ما نوع الشروط التي يتحدث عنها كانط. إن هناك شروطاً تجريبية لإدراك الأشياء وتعلم الحقائق. فأننا لا نستطيع أن أرى الأشياء في الظلام الدامس مثلاً؛ لأن الضوء ضروري للرؤية. وهناك حقائق علمية كثيرة لا يمكن اكتشافها بدون مساعدة وسائل وأدوات. وفضلاً عن ذلك، فإن هناك شروطاً تجريبية ذاتية؛ بمعنى أنها شروط من قِبَل الذات التي تعرف نفسها. إننى لا أستطيع أن أرى الأشياء إذا كنت أعانى من أمراض معينة فى العين فى حالة متقدمة. وهناك أناس لا يستطيعون، إذا تحدثنا من الناحية العملية، أن يفهموا موضوعات يفهمها آخرون بسهولة نسبية. بيد أن كانط لا يهتم بالشروط التجريبية. فهو يهتم بالشروط اللا تجريبية، أو الخالصة للمعرفة الإنسانية من حيث إنها كذلك. وبمعنى آخر، إنه يهتم بالعناصر الصورية للوعى الخالص. فلا يدخل "عمر" و"عمر" و"خالد"، أعنى أشخاصاً معينين بتحديداتهم الجزئية، فى هذه المسألة على الإطلاق. أو أنهم لا يدخلون فيها، بالأحرى، إلا من حيث إنهم يمثلون الذات الإنسانية بما هي كذلك. وأعنى بهذا أن شروط المعرفة التي تصلح للذات الإنسانية من حيث هي كذلك تصلح، بوضوح، لـ "عمر" و"عمر" و"خالد". ولكن كانط لا يهتم إلا بالشروط الضرورية لمعرفة الموضوعات، ولا يهتم بالشروط التجريبية المتنوعة. وإذا تحولت الشروط حتى أن الحقائق التي تجاوز التجربة الحسية لا يمكن أن تكون موضوعات للمعرفة، فإن مزارع المينافيزيقا النظرية التأملية ستظهر أنها كاذبة وبدون جدوى.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وفى هذه الحالة تُعد الفلسفة النظرية الجزء الأول من الميتافيزيقا. وإذا أخذنا، أيضا، مصطلح "الميتافيزيقا" ليعنى الإعداد المنظم لقوام المعرفة الفلسفية كله الذى يتم بلوغه عن طريق قوة العقل الخالص، فإننا قد نعنى بـ "المعرفة" المعرفة بمعنى دقيق، أو قد ندرج المعرفة المزعومة أو الوهمية التى يعتقد فلاسفة كثيرون أنه يمكن بلوغها عن طريق العقل الخالص. وإذا فهمنا كلمة "معرفة" بالمعنى الأول من هذين المعنيين، فإن كانط لا يرفض الميتافيزيقا بوضوح. فهو يعتقد، على العكس، أنه يمكن، على الأقل من حيث المبدأ، تطويرها بصورة نسقية وتامة. وكتابه "المبادئ الأولى الميتافيزيقية للعلم الطبيعي" هو مساهمة فى هذا التطوير. لكن إذا استخدمنا مصطلح «الميتافيزيقا» ليعنى معرفة مزعومة أو وهمية بحقائق تجاوز ما هو محسوس، فإن مهمة من مهام الفلسفة النقدية أن تبين كذب المزاعم التى صُنعت لمصلحة هذا العلم الكاذب. وأخيرا، لا بد أن نميز بين الميتافيزيقا بوصفها ميلاً طبيعياً، والميتافيزيقا منظوراً إليها كعلم. إن العقل لديه ميل طبيعى لإثارة مشكلات مثل مشكلة الله، والخلود، وعلى الرغم من أننا يجب أن نفهم لماذا يجب أن تكون هذه هى الحقيقة الواقعية، فإن كانط لا يرغب فى أن يستأصل الأمل، ولا يعتقد أنه يمكن أن نفعل ذلك، حتى إذا كان مرغوباً فيه. إن الميتافيزيقا من حيث إنها ميل طبيعى موجودة بالفعل، ومن ثم فهى ممكنة بصورة واضحة. بيد أن الميتافيزيقا من حيث إنها علم - إذا كنا نعنى بهذا معرفة علمية بموجودات تجاوز ما هو محسوس - ليست حقيقة واقعية على الإطلاق كما يرى كانط؛ لأنه يمكن بيان أن كل البراهين المزعومة المقدمة حتى الآن ليست يقينية؛ أعنى أنها براهين كاذبة. ولذلك فإننا نستطيع أن نتساءل بصورة ملائمة عما إذا كانت الميتافيزيقا، منظوراً إليها كعلم، ممكنة.

وقد يبدو أن كل ذلك معقد وغامض، غير أنه ليس غامضاً من الناحية العملية كما يبدو عندما نلخصه باختصار. فمن جهة، يشير كانط نفسه إلى

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لا تستمد من التجربة، حتى إذا جعلت مظهرها مثل ما نسميه، عادة، "المعرفة" التي لا تكون إلا من أجل التجربة. انظر إلى العبارات الآتية الشهيرة التي نقّس عادة: "ليس هناك شك في أن كل معرفتنا تبدأ بالتجربة... ولكن على الرغم من أن كل معرفتنا تبدأ بالتجربة، فإنه لا يترتب على ذلك أنها تنشأ كلها من التجربة"⁽¹⁾. يتفق كائط مع التجريبيين، مثل لوك، إلى حد أنه يقول إن "كل معرفتنا تبدأ بالتجربة". وهو يعتقد أن معرفتنا لا بد أن تبدأ بالتجربة؛ لأن الحواس تدفع ملكة المعرفة لأن تقوم بعملها. والحواس تتأثر بالموضوعات. ويقوم الذهن بتنظيم الإحساسات المعطاة، أعنى المادة الخام للتجربة. وفي نفس الوقت حتى إذا لم تكن أى معرفة سابقة على التجربة زمنياً، فإنه من الممكن أن تستمد ملكة المعرفة عناصر قَبَلِيَّة من نفسها عند حاجة الانطباعات الحسية. وبهذا المعنى، لا تستمد العناصر القَبَلِيَّة من التجربة.

والآن، لماذا يعتقد كائط أنه يمكن أن تكون هناك معرفة قَبَلِيَّة؟. والرد هو أنه مقتنع بأن هذه المعرفة توجد بوضوح. إنه يتفق مع "ديفيد هيوم" فى أننا لا نستطيع أن نستمد الضرورة والكلية الصارمة⁽²⁾ من التجربة. وينجم عن هذا، بالنالى، أن "الضرورة والكلية الصارمة هما علامتان أكيدتان للمعرفة القَبَلِيَّة وترتبطان بعضهما ببعض بصورة لا تنفصل"⁽³⁾. ومن اليسير أن نبين أن لدينا معرفة تجد تعبيراً فى أحكام ضرورية وكلية. "إذا أراد شخص مثلاً من العلوم، فإنه لا يجب عليه سوى أن ينظر إلى أى قضية فى الرياضيات. وإذا أراد مثلاً من عمليات الفهم الأكثر شيوعاً، فإن القضية التي نقول إن كل تغير لا بد أن تكون له

(1) B., 1.

(2) الكلية التي تقوم على الاستقراء ليست، كما يرى كائط، صارمة، بل "مفترضة"، ونسبية، وتسمح بالاستثناءات. فإذا قلت، على أساس تجربتى الشخصية، إن الموجودات الإنسانية لا تعيش أكثر من مائة عام، فإن كلية هذا الحكم "مفترضة". الكلية الصارمة لا تسمح باستثناء ممكن (المؤلف).

(3) B., 4.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لكن إذا كانت هناك بالتأكيد معرفة قَبْلِيَّة، فلماذا يتساءل كائط لماذا تكون ممكنة؟ لأنها إذا كانت فعلية، فإنها تكون ممكنة بصورة واضحة. والرد هو، بالتأكيد، أنه في حالة تلك المجالات (الرياضيات والفيزياء الخالصة)، حيث تكون هناك معرفة قَبْلِيَّة بصورة واضحة، كما يقتنع كائط، فإن السؤال ليس هو كيف تكون هذه المعرفة ممكنة (وبصورة أفضل عما إذا كانت ممكنة)، وإنما كيف تكون ممكنة. وإذا سلّمنا بإمكانها (لأنها فعلية) فكيف يكون هذا الإمكان ممكنًا؟ كيف يمكن أن تكون لدينا المعرفة القَبْلِيَّة التي تكون لدينا في الرياضيات مثلًا؟

ومع ذلك فإن الزعم بوجود معرفة قَبْلِيَّة في حالة الميتافيزيقا النظرية التأملية هو موضع شك. فهنا نتساءل، بالتالي، عما إذا كانت ممكنة بدلاً من أن نتساءل كيف تكون ممكنة. إذا كانت الميتافيزيقا تزودنا بمعرفة عن الله، أو عن الخلود مثلاً، فإن هذه المعرفة لا بد أن تكون قَبْلِيَّة، بناء على وجهة نظر كائط عن الميتافيزيقا. إنها يجب أن تكون مستقلة عن التجربة، بمعنى أنها لا تعتمد منطقيًا على أحكام تجريبية خالصة. لكن هل الميتافيزيقا النظرية التأملية تمدنا بهذه المعرفة؟ هل هي تستطيع أن تفعل ذلك من حيث المبدأ؟

٣ - ويجب علينا الآن أن نجعل هذه المشكلات أكثر دقة. ولكي نقوم بذلك لا بد أن نرجع إلى تمييز كائط بين أنواع مختلفة من الحكم.

فمن جهة يجب علينا أن نميز بين أحكام تحليلية وأحكام تركيبية. الأحكام التحليلية هي تلك الأحكام التي يكون فيها المحمول متضمنًا في مفهوم الموضوع. وهي "أحكام شارحة"^(١)؛ لأن المحمول لا يضيف شيئًا إلى مفهوم الموضوع لم يكن متضمنًا فيه من قبل، بصورة واضحة أو بصورة ضمنية. ويعتمد صدقها على قانون التناقض. فنحن لا نستطيع أن ننكر القضية دون أن نقع في تناقض منطقي. ويقدم كائط أمثلة منها "كل الأجسام ممتدة"؛ لأن فكرة الامتداد متضمنة في فكرة

(1) B., 11, A., 7.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لكن هناك، كما يرى كانط، فئة أخرى من القضايا التي يكون فيها الارتباط بين المحمول والموضوع ضروريًا وكليًا بصورة صارمة، على الرغم من أننا لا نعرفه بالتحليل المحض لمفهوم الموضوع. وتُسمى هذه القضايا "القضايا التركيبية القبلية". ويقدم كانط مثالاً هو "كل شيء يحدث له علّة"⁽¹⁾. فالقضية تركيبية؛ لأن المحمول له علّة ليست متضمنة في مفهوم ما يحدث، أعني مفهوم حدث ما. إنها حكم زائد، وليست حكمًا شارحًا. لكنها قبلية في نفس الوقت؛ لأنها تتميز بالضرورة والكلية الصارمة، علامتا الأحكام القبلية. إن القضية التي تقول "كل ما يحدث له علّة" لا تعني أن كل الأحداث لها علل، ومن المعقول أن نتوقع، ما لم تبين التجربة خلاف ذلك، أن أحداث المستقبل سيكون لها علل أيضًا. إنها تعني أن كل حدث له علّة، بدون أي استثناء ممكن. وتعتمد القضية، بالتأكيد، على التجربة بمعنى ما، وهو أننا نتعرف أشياء تحدث، أو على أحداث. بيد أن الارتباط بين المحمول والموضوع يُعطى قبلًا. إنه ليس تعميمًا محضًا من التجربة، وصلنا إليه بالاستقراء، ولا يحتاج إلى تأكيد تجريبي. فنحن نعرف قبلًا، أو مقدمًا أن كل حدث لا بد أن تكون له علّة، وملاحظة هذا الارتباط في حالة الأحداث التي تقع بداخل مجال التجربة لا تُضيف شيئًا إلى يقين الحكم.

وأعتقد أنه لا مجال هنا لأن نفسر مجرى المعضلة الموجودة عند كانط بمناقشة المسألة التي تثير جدلاً بالغاً حول القضايا التركيبية القبلية. ولكن من أجل مصلحة أي قارئ قد لا يكون على وعى تام بالحقيقة، فمن المناسب فقط أن نلاحظ أن وجود القضايا التركيبية القبلية قد اعترض عليه مناطق محدثون بشدة، وبصفة خاصة التجريبيين والوضعيين بالتأكيد. إن منظورهم للمسألة يختلف عن منظور كانط إلى حد كبير، ولكنني لا أريد أن أدخل بالتفصيل في هذا الموضوع. فالمسألة الرئيسية هي أنه بينما لا يسبب التمييز العام بين القضايا التحليلية والقضايا التركيبية صعوبة، فإن فلاسفة كثيرين يرفضون التسليم بأن هناك أي قضايا تركيبية

(1) B., I, 3, A., 9.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

يمكن أن نحصل عليه، بالتحليل المحض لفكرة الاتحاد بين العدد ٧ والعدد ٥؛ لأن هذه الفكرة لا تتضمن بذاتها مفهوم العدد ١٢ من حيث إن العدد المعين ينتج من الاتحاد. إننا لا نستطيع أن نصل إلى العدد ١٢ إلا عن طريق الحدس. "إن القضية الرياضية هي، بالتالي، تركيبية باستمرار"^(١)، أعنى أنها قضية تركيبية قَبَلية؛ لأنها كما رأينا، قضية ضرورية، وبالتالي لا يمكن أن تكون تركيبية بعدية.

وعلى نحو مماثل، فإن قضايا الهندسة الخالصة هي أيضاً قضايا تركيبية قَبَلية. فعلى سبيل المثال القضية "الخط المستقيم هو أقصر خط بين نقطتين" هي قضية تركيبية؛ لأن مفهومى عن "مستقيم" لا يحتوى على فكرة عن الكم، وإنما على الكيف فقط. ومن ثم فإن مفهوم "الأقصر" هو إضافة، ولا يمكن أن يُستمد عن طريق أى تحليل من مفهوم الخط المستقيم. وبالتالي فإن الحدس يساعدنا هنا، وعن طريقه فقط يكون هذا التركيب (التأليف) ممكناً^(٢). لكن هذه القضية ضرورية، وقَبَلية بالتالي، إلى جانب كونها تركيبية. إنها ليست تعميماً تجريبيّاً.

ويرى كانط أن علماء الهندسة يستطيعون أن يستخدموا بعض القضايا التحليلية، غير أنه يصر على أن كل قضايا الرياضيات البحتة هي قضايا تركيبية قَبَلية. وقضايا الرياضيات البحتة ليست عنده، كما هي عند ليبنتس، علماً تحليلياً بسيطاً، يعتمد على مبدأ التناقض: فهي بنائية فى طابعها. وهناك الكثير الذى سنقولُه فى الفصل القادم عن تصور كانط للرياضيات، عندما نعالج نظريته عن المكان والزمان. ويكفى فى نفس الوقت أن نلاحظ السؤال الذى ينشأ من نظريته التى تذهب إلى أن القضايا الرياضية هي قضايا تركيبية قَبَلية؛ أعنى كيف يكون العلم الرياضى البحت ممكناً؟ إننا نعرف بالتأكيد حقائق رياضية قَبَلية. ولكن كيف يمكن أن نعرف ذلك؟

(1) B., 16.

(2) Ibid.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بيد أن ادعاء الميتافيزيقا أن تكون علما هو أمر مشكوك فيه، كما رأينا. ومن ثم فإن السؤال لن يكون كيف تكون الميتافيزيقا ممكنة كعلم، بقدر ما يكون عما إذا كانت ممكنة. ومع ذلك، فإنه يجب علينا في هذه المسألة أن نشير إلى تمييز قمتا به من قبل، وهو التمييز بين الميتافيزيقا بوصفها ميلا طبيعيا، والميتافيزيقا بوصفها علما. ولما كان كانط يعتقد أن العقل البشرى مجبر بطبيعته أن يثير مشكلات لا يمكن الإجابة عنها تجريبيًا، فإنه يستطيع أن يتساءل بصورة ملائمة كيف تكون الميتافيزيقا، منظورا إليها على أنها ميل طبيعي، ممكنة. لكن من حيث إنه يشك فيما إذا كان ادعاء الميتافيزيقا لأن تكون علما، لديه القدرة على أن يجيب عن مشكلاته الخاصة، هو ادعاء له ما يبرره، فإن السؤال هنا يكون، بالفعل، عما إذا كانت الميتافيزيقا منظورا إليها كعلم ممكنة.

وبالتالي فإننا نواجه أربعة تساؤلات. أولاً: كيف تكون الرياضيات البحتة (الخالصة) ممكنة؟ وثانياً: كيف يكون العلم الطبيعي الخالص، أو الفيزياء الخالصة ممكنة؟ وثالثاً: كيف تكون الميتافيزيقا، منظورا إليها كميل طبيعي، ممكنة؟ ورابعاً: هل الميتافيزيقا، منظورا إليها كعلم، ممكنة؟. ويعالج كانط هذه التساؤلات في كتابه "نقد العقل الخالص".

٤ - إذا نظرنا إلى السؤال العلم: كيف تكون المعرفة القبلية ممكنة، أو كيف تكون الأحكام التركيبية القبلية ممكنة؟ وإذا وضعنا في اعتبارنا في الوقت نفسه اتفاق كانط مع هيوم فيما يخص عدم إمكان استمداد الضرورة والكلية الصارمة من معطيات تجريبية، فإننا يمكن أن نرى كم يكون صعباً بالنسبة له أن يؤكد أن المعرفة تكمن، ببساطة، في اتفاق الذهن مع موضوعاته. وسبب هذا واضح وجلي. فإذا كان يجب على الذهن أن يتفق مع الموضوعات، لكي يعرفها، وإذا كان لا يستطيع في الوقت ذاته أن يجد في هذه الموضوعات، منظورا إليها على أنها معطاة تجريبيا، علاقات ضرورية، فإنه يستحيل أن نفسر كيف نستطيع أن

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

التي يمكن تفسيرها، على أية حال، بناءً على الفرض الذي يقول إن الشمس هي مركز الكون، بصورة أفضل وبصورة اقتصادية أكثر من تفسيرها بناءً على الفرض الذي يقول إن الأرض هي المركز. وقد يَبْنِي بحث فلّكي فيما بعد أن الأمر هو هكذا بالفعل. ويفترض كانط، على نحو مماثل، أن الواقع التجريبي يبقى على ما هو عليه حتى بناءً على الفرض الذي يقول إنه لكي نعرف الموضوعات (أعني لكي تكون الموضوعات موضوعات، إذا كنا نعني "بالموضوع" موضوعاً للمعرفة)، فإنها لا بد أن تتفق مع الذهن، وليس العكس. وإذا استطعنا أن نفسر المعرفة القبلية بناءً على الفرض الجديد، وليس بناءً على الفرض القديم، فإن هذه ستكون حجة واضحة لصالح الفرض الجديد.

ولا تتضمن "نظرية كانط الكوبرنيقية" وجهة النظر التي تقول إنه يمكن رد الواقع إلى الذهن البشري وأفكاره. فهو لا يفترض أن الذهن البشري يخلق الأشياء، بقدر ما يتعلق الأمر بوجودها، بالتفكير فيها. إن ما يفترضه هو أننا لا نستطيع أن نعرف الأشياء، وأنها لا يمكن أن تكون موضوعات لمعرفة، إلا من حيث إنها تخضع للشروط القبلية للمعرفة من جانب الذات. وإذا افترضنا أن الذهن الإنساني سلبى بصورة خالصة في المعرفة، فإننا لا نستطيع أن نفسر المعرفة القبلية التي نمتلكها بدون شك. ومن ثم دعنا نفترض أن الذهن نشط وإيجابي. إن هذا النشاط لا يعني بالأحرى أن الذهن يفرض، من حيث هو كذلك، صورته الخاصة بالمعرفة، التي يحددها بناءً الحساسية الإنسانية والفهم، على مادة للتجربة، كما يعني أننا لا نعرف الأشياء إلا عن طريق هذه الصور. غير أننا إذا تحدثنا عن الذهن الذي يفرض صورته المعرفية الخاصة على المادة الخام للمعرفة، إن جاز هذا التعبير، فإن هذا يجب ألا يؤخذ على أنه يعني أن الذات الإنسانية تقوم بذلك بوعي ونية ثابتة. إن الموضوع من حيث إنه معطى للتجربة واعية، الموضوع الذي نفكر فيه (شجرة مثلاً) يخضع للصور المعرفية هذه التي تفرضها الذات عن طريق ضرورة طبيعية؛ بسبب بنائها الطبيعي من حيث إنها ذات تعرف. ومن ثم فإن الصور

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

قادراً، بالفعل، على أن يرى الألوان "الحقيقية" للأشياء. إن الظواهر ستكون هي بالنسبة له بعد تغييره للفرض كما كانت من قبل، تماماً كما تكون الحركة الظاهرية للشمس هي بالنسبة للشخص الذي يقبل الفرض الذى يقول إن الشمس هي مركز الكون مثلما تكون بالنسبة للشخص الذى يقبل الفرض الذى يقول إن الأرض هي مركز الكون. بيد أنه يعرف لماذا تبدو الأشياء كما تبدو. إن الشخص الذى يقبل الفرض الذى يقول إن الشمس هي مركز الكون يعرف أن الحركة الظاهرية للشمس حول الأرض ترجع إلى حركة الأرض وإلى حركته هو معها. والشخص الذى يرى كل الأشياء حمراء يكون لديه سبب لأن يفترض أن ظهور الأشياء هذا يرجع إلى شرط بداخله. وعلى نحو مماثل، فإن الشخص الذى يقبل "ثورة كانط الكوبرنيقية" سيكون لديه سبب لأن يعتقد أن الطرق المعينة التى تبدو له فيها الأشياء (بوصفها منظمة فى المكان مثلاً، ومن حيث إنها ترتبط بعضها ببعض بعلاقات عليّة ضرورية)، ترجع إلى شروط قَبْلِيّة ذاتية للمعرفة بداخله. إنه لا يستطيع، بالفعل، أن يعرف الأشياء بمعزل عن خضوعها لهذه الشروط، أو الصور القَبْلِيّة، وإنما يعرف لماذا يكون العالم التجريبي هو ما هو عليه بالنسبة نوعيه.

لقد لاحظنا من قبل إشارة كانط فى تصديره لكتابه "مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصبح علماً" إلى تأثير هيوم على تفكيره. ويلفت الانتباه فى مقدمة الطبعة الثانية لكتابه "نقد العقل الخالص" إلى تأثير الرياضيات والفيزياء فى أنها أوحى إليه بفكرة "ثورته الكوبرنيقية". فقد حدثت الثورة فى الرياضيات فى مرحلة مبكرة جداً. وأما كان اليونان هم أول من برهنوا على خصائص المثلث المتساوى الساقين، فإن ضوءاً جديداً لا بد أن يكون قد خطر بباله؛ لأنه رأى أنه لا يكفى التأمل سواء فى رسم المثلث أو فى فكرته الموجودة فى عقله. لقد كان عليه أن يبرهن على خصائص المثلث عن طريق عملية من عمليات البناء الفعال. ولم تصبح الرياضيات، بوجه عام، علماً إلا عندما أصبحت بنائية طبقاً لمفاهيم قَبْلِيّة. أما بالنسبة للفيزياء فإن الثورة حدثت فيها فى وقت متأخر. فمع تجارب "جاليليو"

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

قَبْلِيَّة أو مقولات الفهم الإنسانى، التى تكون العلّية إحداها؛ لأنه فى هذه الحالة لا يدخل شىء مجال تجربتنا إلا من حيث إنه يمثل العلاقة العلّية، مثلما - لنستخدم مثالنا السابق - لا يمكن أن يدخل شىء مجال رؤية الشخص الذى تكون قوة الرؤية عنده مؤلفة على نحو حتّى إنه يرى كل الأشياء حمراء، ولا يراها إلا بوصفها كذلك. وإذا كانت موضوعات التجربة يحددها بالضرورة فرض مقولات عقلية، أو تكونها من حيث إنها كذلك، وإذا كانت العلّية إحدى هذه المقولات، فإننا نستطيع أن نعرف مقدّمًا أو بصورة قَبْلِيَّة أنه لا شىء يحدث بداخل المجال الكلى للتجربة الإنسانية بدون علّة. ونستطيع عن طريق مدّ هذه الفكرة إلى ما وراء النموذج الوحيد للعلّية أن نفسر إمكان المدى الكلى للمعرفة القَبْلِيَّة.

لقد تحدثت عن "فرض" كانط، وهو فرض من جهة تصوّره الأولى بالتأكيد. "ودعنا نرى عما إذا كنا نستطيع أن نتقدم بصورة أفضل بافتراض أن..." يمثل نوع الطريقة التى يقدم بها كانط فكرته. بيد أنه يرى أنه، على الرغم من أن الفكرة تفترضها الثورة فى الفلسفة الطبيعية أو الفيزياء، فإننا لا نستطيع، فى الفلسفة النقدية، أن نجرى تجارب على موضوعات بطريقة تماثل تلك التى يستطيع بها الفيزيائى أن يقوم بتجارب. فنحن نهتم بالعلاقة بين الموضوعات والوعى بوجه عام، ولا نستطيع أن ننزع الموضوعات من علاقتها بالذات التى تعرف لنرى عما إذا كان هذا يمثل أهمية بالنسبة لها أم لا. وهذا الإجراء مستحيل من حيث المبدأ. ومع ذلك إذا تمكنا فى الوقت ذاته من أن نفسر ما لا يمكن تفسيره بأية طريقة أخرى بناء على الفرض الجديد، وإذا نجحنا فى الوقت نفسه فى البرهنة على القوانين التى تكمن بصورة قَبْلِيَّة فى أساس الطبيعة (منظورًا إليها على أنها مجموع الموضوعات الممكنة للتجربة)، فإننا ننجح فى البرهنة على صحة وجهة النظر المفترضة فى البداية بوصفها فرضًا.

٥ - ومن ثم "إن هناك مصدرين للمعرفة الإنسانية، ربما يتنبقان من جذر عام ومشترك بيد أنه ليس معروفًا، وهما الحساسية والفهم. عن طريق

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

تركيب (تأليف) معطيات العيان الحسى. ولذلك لا يمكن تطبيقها على حقائق ليست معطاة، ولا يمكن أن تُعطى، فى التجربة الحسية. وينجم عن هذا أنه لا يمكن لميتافيزيقا تكمن فى استخدام المفاهيم الخالصة أو مقولات الفهم (مثل مفهومى العلة والجوهر) لكى تتجاوز التجربة، كما يرى كانط، وتصف واقعاً مجاوزاً لما هو حسى أن ترعى بصورة مشروعة أنها علم. ومن مهام الفيلسوف أن يبين، بالفعل، عدم جدوى هذا الزعم.

ومن ثم فإن وظيفة المفاهيم الخالصة أو مقولات الفهم هى تركيب (تأليف) تعدد الحس؛ أى إن استخدامها يكمن فى تطبيقها على معطيات العيان الحسى. لكن هناك أيضاً أفكاراً معينة، مع إنها ليست مجرد تجريدات من التجربة، لا يمكن أن تنطبق فى الوقت ذاته على معطيات العيان الحسى. فهى تتجاوز التجربة بمعنى أنه ليست هناك موضوعات معطاة، أو يمكن أن تُعطى، داخل التجربة تناظرها. ومن هذه الأفكار فكرة النفس من حيث إنها مبدأ روحى. وفكرة الله مثلاً. فكيف تُنتج مثل هذه الأفكار؟ إن العقل الإنسانى لديه ميل طبيعى لأن يبحث عن مبدأ الوحدة اللامشروط^(١) لوحدة كل تفكير فى فكرة النفس من حيث إنها ذات مفكرة، أو من حيث إنها أنا. ويبحث عن المبدأ اللامشروط لوحدة كل موضوعات التجربة فى فكرة الله، الموجود الكامل بصورة أكثر سمواً. وينسب كانط هذه "الأفكار الترنسندنتالية"، كما يسميها كانط إلى العقل. ومن ثم يجب علينا أن نلاحظ أن كانط يستخدم هذه الكلمة بدرجات متنوعة من الدقة. فعندما يسمى كتابه الأول "نقد العقل الخالص" فإن كلمة "عقل"، من حيث إنها تشمل المضامين العامة للعمل، تتضمن الحساسية، والفهم، والعقل بالمعنى الضيق. وبهذا المعنى الضيق يتميز العقل عن الفهم ويتميز أكثر عن الحساسية. فهو يشير إلى العقل الإنسانى من حيث إنه يحاول أن يوحد المتعدد بأن يردّه إلى مبدأ لا مشروط، مثل الله.

(١) "اللامشروط" من حيث إنه يتجاوز الشروط الذاتية للحساسية والفهم (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الترنسندننتالية» و«المنطق الترנסندننتالى». يعالج كانط فى الجزء الأول منهما الصورة القبلية للحساسية ويبين كيف تكون قضايا الرياضيات التركيبية القبلية ممكنة. وينقسم الجزء الثانى "المنطق الترנסندننتالى" إلى "التحليل الترנסندننتالى" و"الديالككتيك الترנסندننتالى". فى الجزء الأول يعالج كانط مفاهيم الفهم الخالصة أو مقولاته، ويبين كيف تكون قضايا العلم الطبيعى التركيبية القبلية ممكنة. أما فى الجزء الثانى فإنه يعالج موضوعين رئيسيين؛ الأول هو الميل الطبيعى إلى الميتافيزيقا، والثانى هو التساؤل عما إذا يمكن للميتافيزيقا (أعلى الميتافيزيقا النظرية التأملية ذات النوع التقليدى) أن تكون علماً. ويؤكد، كما لاحظنا من قبل، قيمة الميتافيزيقا منظوراً إليها كميل طبيعى، غير أنه ينكر زعمها لأن تكون علماً حقيقياً يقدم لنا معرفة نظرية بحقيقة معقولة خالصة.

أما القسم الثانى من كتاب "نقد العقل الخالص" فعنوانه "مذهب المنهج الترנסندننتالى". ويتصور كانط فى مكان الميتافيزيقا النظرية أو "المتعالية"، التى تزعم أن تكون علماً لحقائق تجاوز التجربة، ميتافيزيقا "ترنسندننتالية"، تضم النسق الكامل لمعرفة قبلية، بما فى ذلك الأسس الميتافيزيقية للعلم الطبيعى. وهو لا يدعى أن يقدم هذا النسق الترנסندننتالى فى كتابه "نقد العقل الخالص". فإذا نظرنا إلى النسق الكامل لمعرفة قبلية بوصفها صرخاً، فإننا نستطيع أن نقول إن "مذهب المبادئ الترנסندننتالى"، القسم الأول من كتاب "نقد العقل الخالص"، يفحص المواد ووظائفها، بينما يفحص القسم الثانى "مذهب المنهج الترנסندننتالى" خطة الصرح وهو "تحديد الشروط الصورية لنسق كامل لنقد العقل"⁽¹⁾. ومن ثم يستطيع كانط أن يقول إن كتابه "نقد العقل الخالص" يرسم خطة الصرح بطريقة معمارية، وهذه هى "الفكرة الكاملة لفلسفة ترنسندننتالية، بيد أنها ليست هذا العلم نفسه"⁽²⁾. إن كتاب "نقد العقل الخالص" ليس إلا إعداداً لنسق الفلسفة الترנסندننتالية أو الميتافيزيقا إذا تحدثنا

(1) B., 735-6.

(2) B., 28, A., 13.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

موضوعات للإيمان؛ وليست موضوعات للمعرفة (ويؤخذ هذا المصطلح بمعنى مماثل المعنى الذي يُستخدم به في الرياضيات والعلم الطبيعي).

وإنه لخطأ جسيم أن ننظر إلى هذه النظرية على أنها مجرد تهدئة للمعتدل والتقي والورع، أو على أنها مجرد فعل من أفعال الفطنة من جانب كائنات؛ لأنها جزء من حله للمشكلة العظيمة الخاصة بالتوفيق بين عالم العلم من جهة، وعالم الوعي الأخلاقي والديني من جهة أخرى. فالعلم (وأقصد الفيزياء الكلاسيكية) يتضمن تصورا من قوانين عليّة لا تسلم بالحرية. والإنسان، منظورا إليه على أنه عضو في النسق الكوني يدرسه العالم، يخضع لهذه القوانين العليّة بدون استثناء. بيد أن المعرفة العلمية لها حدودها، وتحدد هذه الحدود الصور القبلية للحساسية الإنسانية والفهم. ولذلك لا يوجد سبب صحيح أيّا كان للقول بأن حدود معرفتنا العلمية أو النظرية تتوحد مع حدود الواقع. وبأخذنا الوعي الأخلاقي، عندما تتطور مضامينه العملية، وراء المجال الحسي. ولا بد أن ننظر إلى الإنسان، من حيث إنه موجود ظاهري، على أنه يخضع لقوانين عليّة، وعلى أنه محدد بواسطتها، غير أن الوعي الأخلاقي، من حيث إنه واقع، يتضمن فكرة الحرية. وبالتالي على الرغم من أننا لا نستطيع أن نبرهن علميا على أن الإنسان حر، فإن الوعي الأخلاقي يقتضي الإيمان بالحرية.

وتكتنف وجهة النظر هذه صعوبات بالتأكيد. فليس لدينا فحسب التمييز بين الواقع الظاهري المحسوس، والواقع العقلي النوميئالي الخالص، بل إننا نواجه - بصفة خاصة - تصورا صعبا للإنسان من حيث إنه محدد من الناحية الظاهرية، ولكنه حر من الناحية النوميئالية، أعني من حيث إنه محدد وحر في نفس الوقت، ولكن بناء على ناحيتين مختلفتين. ولكن لا مجال هنا لمناقشة هذه الصعوبات. فهذه من وراء ذكر وجهة نظر كائنات مزدوج، فأنا أريد، أولاً، أن ألفت الانتباه مرة أخرى إلى مشكلة التوفيق بين عالم فيزياء نيوتن وعالم الحقيقة والدين؛ لأننا إذا وضعنا هذه المشكلة العامة في اعتبارنا، ربما يغيب عن بالنا الغابة بالنسبة

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل الثاني عشر

كانط (٣): المعرفة العلمية

المكان والزمان - الرياضيات - تصورات الفهم
الخالصة أو المقولات - تبرير تطبيق المقولات - إسكيما أو
«تخطيط» المقولات - المبادئ التركيبية القبلية - إمكان علم
الطبيعة الخالص - القنومين «الظواهر» والقنومين «الشيء في
ذاته» - دحض المذهب المثالي - ملاحظات ختامية.

١ - يقول كانط في بداية «الإستاتيكا الترنسندنتالية: إن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن ترتبط بها معرفتنا بالموضوعات مباشرة هي العيان»^(١). والعيان لا يمكن أن يوجد إلا من حيث إن الموضوع يُعطى لنا. ونفترض أن يكون العقل الإلهي يخلق موضوعاته. بيد أن الأمر ليس هكذا بالنسبة للعيان الإنساني، الذي يفترض موضوعاً. وهذا يعني أن الذات الإنسانية لا بد أن تتأثر بالموضوع بطريقة ما. ومن ثم فإن القدرة على استقبال تمثيلات الموضوعات عن طريق التأثير بها تُسمى «الحساسية». «ومن ثم فإن الموضوعات تُعطى لنا عن طريق الحساسية، وهي وحدها التي تمدنا بالعيانات»^(٢).

(١) يمكن أن تشير كلمة Intuition إما إلى فعل المعاينة أو إلى ما يُعانيه. وفي هذا السياق تُستخدم هذه الكلمة بالمعنى الأول. غير أن كانط يستخدمها باستمرار بالمعنى الثاني (المؤلف).

(2) B., 33; A., 19.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - في فصلين، يستعرض في الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

في حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - في سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

والزمان. المكان ليس، بالفعل، شرطاً ضرورياً لكل العيانات التجريبية، بيد أنه يمكن التفاوض عن هذه المسألة الآن. ويكفى أن نلاحظ أن كائناً يختلف عن التجريبيين الخالص بإيجاد عنصر قبلي في كل تجربة حسية.

ويجب علينا أن نذكر في هذه المسألة بعض الملاحظات على مصطلحات كائناً، حتى على حساب التوقف عن عرض نظريته عن المكان والزمان. فأولاً، يُستخدم مصطلح «تمثل» بمعنى واسع ليشمل صنوفاً من الحالات المعرفية. ولذلك فإن مصطلح «ملكة التمثل» يرادف تماماً «الذهن»، الذي يُستخدم أيضاً بمعنى واسع إلى حد كبير. وثانياً، لا يُستخدم مصطلح الموضوع بمعنى واحد باتساق. ومن ثم لا بد أن يشير «الموضوع» في تعريف الإحساس الذي ذكرناه سابقاً إلى ما يسميه كائناً فيما بعد الشيء في ذاته، والذي هو غير معروف. بيد أن «الموضوع» يعني بوجه عام موضوع المعرفة. وثالثاً، يميز كائناً في الطبعة الأولى من كتابه «نقد العقل الخالص» بين «الظاهرة» و«الفنومين». «تسمى الظواهر من حيث إنها تتصور بوصفها موضوعات وفقاً لوحدة المقولات الفنومين»⁽¹⁾. ومن ثم فإن «الظاهرة» تعني مضمون عيان محسوس، عندما ننظر إلى هذا المضمون على أنه «غير محدد»، بينما يعني «الفنومين» موضوعات محددة. ومع ذلك فإن كائناً غالباً ما يُستخدم مصطلح «الظاهرة» بكلا المعنيين.

وثمة ملاحظة أخرى. لقد رأينا أن مادة الظواهر توصف بأنها «ذلك الذي يناظر الإحساس». ومع ذلك فإننا نُخبر، في موضع آخر، بأن الإحساس نفسه يمكن أن يُسمى «مادة المعرفة الحسية»⁽²⁾. وربما يمكن النظر إلى هاتين الطريقتين من الحديث على أنهما تعبيران عن ميلين مختلفين في فكر كائناً. إن الموضوع الخارجي الذي يؤثر على الذات هو نفسه غير معروف؛ لكنه ينتج تمثلاً عن طريق التأثير على الحواس. ومن ثم فإن كائناً يميل إلى الحديث أحياناً كما لو كانت

(1) A., 248.

(2) A., 50; B., 74; Prol., 11.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الترنسندنتيالية» هو عزل العناصر الصورية ودراستها، منظورًا إليها على أنها شرط ضروري للتجربة.

ويمكن أن نعبر عن الموضوع بهذه الطريقة. إن المستوى الأدنى تمامًا الذي يمكن أن نتصوره عن أى شيء يمكن أن نسميه معرفة موضوعات، أو تعرفها، يتضمن على الأقل انتقالاً إلى تمثيلات ينتجها تأثير الأشياء على حواسنا. لكننا لا نستطيع أن تنتقل إلى الإحساسات دون أن نربطها فى مكان وزمان؛ لأن الانتقال إلى إحساسيين مثلاً؛ أعنى الوعى بهما، يتضمن ربط أحدهما بالآخر بداخل زمان، بداخل نظام من التابع الزمنى؛ إذ إن إحساسنا يأتى قبل إحساس آخر أو بعده أو فى نفس الوقت. ويكون المكان والزمان الإطار الذى يُنظم فيه، أو يُرتب فيه، تعدد الإحساس. ومن ثم فإنهما يتوعان ويوحدان فى نفس الوقت (فى العلاقات المكانية - الزمانية) مادة الظاهرة غير المحددة.

ولا يعنى ذلك، بالتأكيد، أننا نعى إحساسات غير منظمة فى البداية، ثم نخضعها بعد ذلك لصورتي المكان والزمان القَبَلِيَّتَيْن؛ لأنه لا تقابلنا إحساسات غير منظمة على الإطلاق. ولا يمكن أن تقابلنا. إن وجهة نظر كانط الأساسية هى، بالفعل، أن المكان والزمان شرطان قَبَلَيَّان للتجربة الحسية. ومن ثم فإن ما يُعطى فى العيان التجريبي، وأعنى ذلك الذى نعيه، يكون منظماً من قبل إن جاز هذا التعبير. إن التنظيم هو شرط للوعى، وليس نتيجة له. ونحن نستطيع أن نُمَيِّز، بالفعل عن طريق عملية التجريد المنطقى أو التحليل، بين المادة والصورة. لكن بمجرد أن نجرّد صورة الظاهرة بالتفكير، فإن الموضوع الذى نعيه يختفى. إن موضوعات العيان الحسى أو التجريبي تخضع من قبل، فى واقع الأمر، من حيث إنها تُعطى للوعى، لصور الحساسية القَبَلِيَّة. ويحدث التنظيم أو الربط داخل العيان الحسى، ولا يحدث بعده.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لقد تحدثنا عن المكان والزمان، بوصفهما صورتين خالصتين للحساسية، وبوصفهما صورتين للعيان. بيد أننا لفتنا الانتباه من قبل⁽¹⁾ إلى الطرق المختلفة التى يستخدم بها كانط مصطلح «العيان». ويشير فيما يسميه «العرض الميتافيزيقي» لفكرتى المكان والزمان إلى هاتين الفكرتين على أنهما عيانان قبلئان. إنهما (المكان والزمان) ليسا تصورين مستمدين تجريبياً. فأننا لا نستطيع أن أسند تمثّل المكان بصورة بعدية، من العلاقات التى أخبرها بين ظواهر خارجية؛ لأننى لا أستطيع أن أتمثّل الظواهر الخارجية من حيث إنها تمتلك علاقات مكانية إلا داخل مكان. ولا أستطيع أن أتمثّل الظواهر من حيث إنها توجد بصورة متتابعة إذا لم يكن تمثّل الزمان موجوداً من قبل؛ لأننى أتمثلها من حيث إنها توجد بصورة متتابعة داخل زمان. إننى أستطيع أن أتجاهل كل الظواهر الخارجية، ويبقى تمثّل المكان من حيث إنه شرط لإمكانها. وعلى نحو مماثل يمكننى أن أتجاهل كل الحالات الداخلية، بينما يبقى تمثّل الزمان مع ذلك. ومن ثم لا يمكن أن يكون المكان والزمان تصورين نستمدهما تجريبياً. وفضلاً عن ذلك لا يمكن أن يكونا مفهومين على الإطلاق، حتى إذا كنا نعى بالمفاهيم الأفكار العامة. إن أفكارنا عن الأمكنة تتكون بإدخال تحديدات داخل مكان واحد، الذى نفترضه مسبقاً من حيث إنه أساسها الضروري، وأفكارنا عن أزمنة مختلفة، أو فترات من الزمان، تتكون على نحو مماثل. بيد أننا لا نستطيع، كما يرى كانط، أن نقسم المفاهيم العامة بهذه الطريقة. والمكان والزمان مفهومان جزئيان، وليس مفهومان عامين. وهما يقومان على المستوى التصوري؛ بمعنى أنهما مفترضان مسبقاً عن طريق تصورات الفهم، وليس العكس. وبالتالي لا بد أن نستنتج أنهما عيانان قبلئان على مستوى الحس، مع أننا يجب ألا نأخذ ذلك على أنه يعنى بالتأكيد أننا نعاين فى تمثّلات المكان الواحد والزمان الواحد حقائق موجودة غير عقلية. إن تمثّلات المكان والزمان هى شروط ضرورية للإدراك، لكنها شروط من جانب الذات.

(1) See p. 235, note1.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لنا. وليس هناك سبب لأن نفترض أنهما ينطبقان على الأشياء في ذاتها، بمعزل عن ظهورها لنا، إنهما لا يمكن أن ينطبقا عليها في واقع الأمر؛ لأنهما شرطان أساسيان لإمكان الظواهر. ومن ثم بينما يصح أن نقول إن كل الظواهر تكون في زمان مثلاً، فإنه لا يصح أن نقول إن كل الأشياء، أو كل الحقائق الواقعية، تكون في زمان. وإذا كانت هناك حقائق واقعية لا تؤثر على حواسنا، ولا يمكن أن تنتمي إلى الواقع التجريبي، فإنها لا يمكن أن تكون في مكان وزمان؛ أعني أنها لا يمكن أن تمتلك علاقات مكانية - زمانية. وهي بتجاوزها للواقع التجريبي تتجاوز النظام المكاني - الزماني كله. وفضلاً عن ذلك، فإن تلك الحقائق الواقعية التي تؤثر على حواسنا، عندما تؤخذ على أنها تكون في ذاتها ولا تكون موضوعات للتجربة، لا تكون في مكان وزمان. وربما يكون هناك أساس ما في الأشياء يمتلك بواسطته شيء ما، بوصفه ظاهرة، علاقات مكانية معينة، ولا يمتلك علاقات أخرى، غير أن هذا الأساس غير معروف ويظل بالضرورة غير معروف. فهو نفسه ليس علاقة مكانية؛ لأن المكان والزمان لا ينطبقان على واقع غير ظاهري.

ومن ثم فإن صياغة كانت هي أن المكان والزمان حقيقتان تجريبيتان، ولكنهما مثاليتان ترنسندنتاليتان. إنهما واقعيتان تجريبيتان بمعنى أن ما هو معطى في التجربة يكون في مكان (إذا كان موضوعاً للحواس الخارجية) وفي زمان. والمكان والزمان ليسا، كما يصير كانت، وهميين. ويمكننا أن نميز بين الواقع والوهم بناء على نظريته وبناءً على النظرية التي تقابلها. لكن المكان والزمان مثاليتان ترنسندنتاليتان بمعنى أن مجال الظواهر هو المجال الوحيد لصحتها، وأنهما لا ينطبقان على الأشياء في ذاتها، إذا نظرنا إليها بمعزل عن ظهورها لنا⁽¹⁾. ومع ذلك فإن هذه المثالية الترنسندنتالية تترك الواقع التجريبي ذا النظام المكاني - الزماني سليماً تماماً. ومن ثم لا يسلم كانت بأن وجهة نظره يمكن أن تشبه مثالية باركلي التي وفقاً لها ما يوجد لا بد أن يُدرك أو أن يكون مدركاً؛ لأنه يؤكد وجود

(1) يجب أن نتذكر أن « ما يبدو » يعني ما يخضع لصور الحسية القَبْية (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

دعنا نأخذ هذه القضية «من الممكن أن نرسم شكلاً ذا ثلاثة أضلاع مستقيمة». إننا لا نستطيع أن نستببط هذه القضية بالتحليل المحض لمفهومي الخط المستقيم والعدد ثلاثة. إنه يجب علينا أن نرسم الموضوع (أعنى المثلث)، أو أن نعطي لأنفسنا موضوعاً في العيان على حد تعبير كانط. ولا يمكن أن يكون هذا عياناً تجريبيّاً؛ لأنه لا يستطيع أن يؤدي إلى قضية ضرورية. وبالتالي لا بد أن يكون عياناً قَبْلِيّاً. وينجم عن هذا أن الموضوع (أعنى المثلث) لا يمكن أن يكون شيئاً في ذاته، أو صورة عقلية لشيء في ذاته. إنه لا يمكن أن يكون شيئاً في ذاته؛ لأن الأشياء في ذاتها - بالتعريف - لا تبدو لنا. وإذا سلّمنا بإمكان معاينة شيء في ذاته، فإن هذا العيان لا يمكن أن يكون قَبْلِيّاً. إن الشيء لابد أن يتمثل لى في عيان بَعْدَى عقلى، إذا كان ممكناً لنا. ولا نستطيع أن نفترض أن الموضوع (أعنى المثلث) صورة عقلية، أو تمثّل لشيء في ذاته؛ لأن القضية الضرورية التى نستطيع أن نكونها برسم المثلث هي قضية نكوّنها عن المثلث نفسه. إننا نستطيع أن نبرهن على خصائص المثلث المتساوى الساقين مثلاً إن جاز هذا التعبير. وليس لدينا ما يضمن افتراض أن ما يصدق على التمثّل بالضرورة يصدق على الشيء في ذاته. فكيف نستطيع، إذًا، أن نكون موضوعات في العيان تساعدنا فى أن نصرّح بقضايا تركيبية قَبْلِيّة؟ إننا لا نستطيع أن نقوم بذلك إلا بشرط أن تكون فينا ملكة عيان قَبْلِيّة، تكون الشرط الضروري والكلّى لإمكان موضوعات العيان الخارجى. إن الرياضيات ليست علماً تحليليّاً خالصاً لا يقدم لنا سوى معلومات عن مضامين مفاهيم الألفاظ أو معانيها. إنها تقدم لنا معلومات قَبْلِيّة عن موضوعات العيان الخارجى. بيد أن هذا ليس ممكناً إذا لم تكن العيانات الضرورية لبناء الرياضيات مؤسسة كلها فى عيانات قَبْلِيّة التى هى الشروط الضرورية للإمكان الخالص لموضوعات العيان الخارجى. ومن ثم فإن الهندسة علم يحدد خصائص المكان بصورة تأليفية ومع ذلك قَبْلِيّة⁽¹⁾. لكننا لا نستطيع أن نحدد خصائص المكان

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وربما تساعدنا بعض الإشارات إلى ليبنتس في أن نلقى ضوءاً أبعد على وجهة نظر كانط عن الرياضيات. إنه يمكن البرهنة على كل القضايا الرياضية كما يرى ليبنتس بما في ذلك البديهيات، عن طريق التعريفات ومبدأ التناقض. أما كانط فإنه يرى أنه لا يمكن البرهنة على البديهيات الأساسية عن طريق الاستعانة بمبدأ التناقض. ومن ثم فإن الهندسة بديهية في طابعها. غير أن كانط يسلّم بأن بسديهيات الهندسة الأساسية تعبر عن نظرات في الطبيعة الجوهرية للمكان الذي تتمثله في عيان ذاتي قَبْلِي. ويتضح أنه يمكن التمسك بأنه لا يمكن البرهنة على البديهيات وأنها لا تعبر عن نظرات في الطبيعة الجوهرية للمكان؛ لأنه يمكن التمسك بأنها مسلمات حرة، كما يرى عالم الرياضيات «هلبرت»^(١) مثلاً.

كما يرى ليبنتس أن العقل يتقدم تحليليًا في تطوير العلم الرياضي. فنحن لا نحصل إلا على تعريفات ومبدأ التناقض، ثم نستطيع أن نتقدم بواسطة التحليل. أما بالنسبة لكانط فإن الرياضيات ليست، كما رأينا، علمًا تحليليًا؛ لأنها علم تركيبى يتطلب عيانًا ويتقدم بصورة بنائية. ويصدق هذا على الحساب كما يصدق على الهندسة. والآن إذا قبلنا وجهة النظر، التي يمثلها برتراند رسل، وهي أنه يمكن رد الرياضيات في مأل الأمر إلى المنطق، بمعنى أنه يمكن استنباط الرياضيات البحتة من حيث المبدأ من مفاهيم منطقية أولية، وقضايا لا يمكن البرهنة عليها، فإننا سنرفض نظرية كانط بصورة طبيعية. إننا سننظر إلى هذه النظرية على أنها تكحض عن طريق كتابي «مبادئ الرياضيات» و«برنكيا ماثماتيكا». بيد أن وجهة نظر رسل عن الرياضيات من حيث إنها تحليلية بصورة خالصة ليست مقبولة بصورة كلية بالتأكيد. وإذا اعتقدنا، مع «براوور»^(٢) مثلاً، أن الرياضيات لا

(١) هلبرت، ديفيد (١٨٦٢ - ١٩٤٣): عالم رياضيات ألماني، عمل أستاذًا في «كوتنجن» منذ عام ١٨٠٥.

كتب عن نظريتي المتغيرات، والأعداد، ورد الهندسة إلى نسق من البديهيات... (المترجم).

(٢) براوور، لوتزن إيجيرتوس يان (١٨٨١ - ١٩٦٦): عالم رياضيات هولندي، وضع ما يعرف بـ

«الحدسية الرياضية» التي أنكرت الأسس المنطقية للرياضيات، واعتبرت الرياضيات مجرد بناءات

عقلية تحكمها قوانين بديهية. من أهم أعماله «في أسس الرياضيات» (عام ١٩٠٧) (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

شروط المكان وتحديداته لهما حقيقة موضوعية؛ أعنى أنهما يتطبقان على أشياء ممكنة؛ لأنهما يحتويان في ذاتهما قبلياً على صورة التجربة بوجه عام^(١). لكننا حتى إذا أخذنا هذه الفقرة على أنها تقول ضمناً إن الهندسة اللا إقليدية إمكان منطقي مجرد، فإن كانط يقرر بوضوح أن هذه الهندسة لا يمكن أن تؤلف في العيان. وهذا هو، بالنسبة لكانط، نفس الشيء مثلما نقول إنه لا يمكن أن يكون هناك نسق هندسي لا إقليدي. ربما لا يمكن تصور هندسة لا إقليدية بمعنى أن إبطالها يكون، ببساطة، بتطبيق مبدأ التناقض. لكن الرياضيات عند كانط لا تقوم ببساطة، كما رأينا، على مبدأ التناقض؛ فهي ليست علماً تحليلياً، وإنما هسى علم تركيبى. ومن ثم فإن إمكان البناء أساسى للنسق الهندسى. والقول بأنه يمكن بناء هندسة إقليدية وحدها يعنى، بالفعل، القول بأنه لا يمكن أن تكون هناك أنساق لا إقليدية.

وإذا افترضنا، بالتالى، الطابع البنائى للهندسة، وإذا كان يمكن بناء هندسات لا إقليدية، فإنه ينجم عن ذلك، على أية حال، أنه لا يمكن قبول نظرية كانط عن الهندسة في حالتها الراهنة. وإذا كان يمكن تطبيق أنساق لا إقليدية، فإن ذلك يؤكد أنه فى مقابل نظرية كانط يكون عيان مكان إقليدس شرطاً كلياً وضرورياً لإمكان الموضوعات. لكن عما إذا كان يمكن، أو لا يمكن، مراجعة نظرية كانط عن ذاتية المكان بطريقة تقبل التطورات الرياضية اللاحقة، فإن هذه ليست مسألة أشعر بأننى أميل إلى تقديم رأى فيها؛ إذ إنها ليست مسألة ذات أهمية من وجهة النظر الرياضية الخالصة. إنها ذات أهمية من وجهة النظر الفلسفية بالفعل، لكن قد تكون هناك أسباب أخرى لإنكار نظرية كانط عن مثالية المكان والزمان الترنسندنتالية^(٢).

(1) B., 266; A., 220-1.

(٢) سلم لينتس أيضاً بمعنى ما بمثالية المكان والزمان الترنسندنتالية، لكن بالإشارة إلى تفكير الله، وليس إلى تفكيرنا كما هى الحال عند كانط. والاختلاف مهم للغاية عند كانط (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الملكيتين أمر ضرورى لمعرفة الموضوعات. «فبدون الحساسية لا يُعطى لنا أى موضوع، وبدون الفهم لا نتعلل أى موضوع. إن الأفكار بدون مضمون تكون خاوية، والعيانات بدون مفاهيم تكون عمياء... ولا يمكن أن نستبدل وظيفتى هاتين القوتين أو الملكيتين. فالفهم لا يمكنه أن يعاين شيئاً، والحواس لا يمكن أن تفكر فى شيء. وإنما تنتج المعرفة من تعاونهما معاً»^(١).

لكن على الرغم من أن التعاون بين القوتين أمر ضرورى للمعرفة، فإنه يجب علينا ألا نغفل الاختلاف بينهما. ويمكننا أن نميز بين الحساسية وقوانينها من جهة، والفهم وقوانينه من جهة أخرى. ولقد تناولنا علم قوانين الحساسية من قبل. ويجب علينا الآن، بالتالى، أن نوجه اهتمامنا إلى علم قوانين الفهم، وأعنى بذلك المنطق.

والمنطق الذى نهتم به هنا ليس هو المنطق الصورى، الذى لا ينظر إلا إلى صور التفكير ويستخلص من مضمونها ومن الاختلافات فى أنواع الموضوعات التى نستطيع أن نفكر فيها^(٢). إننا نهتم بما يسميه كانط «المنطق الترنسندنتالى». وهو لا يقدم كبديل للمنطق الصورى التقليدى، الذى يقبله كانط ببساطة. إنه يقدم كعلم إضافى وجديد. وهو يهتم، مثل المنطق الصورى الخالص، بمبادئ التفكير القبلى، لكنه يستخلص، خلافاً للمنطق الصورى الخالص، من كل مضمون المعرفة؛ أعنى من علاقة المعرفة بموضوعها؛ لأنه يهتم بمبادئ الفهم ومفاهيمه القبلىة، وبتطبيقها على الموضوعات، ولا يهتم، فى واقع الأمر، بتطبيقها على هذا النوع المعين من الموضوعات أو ذلك، وإنما بتطبيقها على الموضوعات بوجه عام. وبمعنى آخر يهتم المنطق الترنسندنتالى بمعرفة الموضوعات القبلىة من حيث إن

(1) B., 75; A., 51.

(٢) عندما نرسم أو نخطط، إن جاز هذا التعبير، صور التفكير الاستدلالي بصورة نسقية، فإننا نهتم ببساطة بهذه الصور نفسها. ويمكن التعبير عن المسألة كلها بصورة رمزية، بدون الرجوع إلى الموضوعات (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

للتأكد من مفاهيم الفهم القبلية بطريقة مباشرة ونسقية. إننا بحاجة إلى مبدأ، أو «مفتاح ترنسندنتالي»، على حد تعبير كانط، لاكتشاف هذه المفاهيم.

ويجد كانط هذا المفتاح في ملكة الحكم، التي تكون عنده هي نفسها قوة التفكير. «فتحن نستطيع أن نرد كل عمليات الفهم إلى الحكم، حتى إن الفهم يمكن أن يتمثل بوصفه قوة الحكم؛ لأنه، بناء على ما قلناه سابقاً، هو قوة التفكير»^(١). والآن: ما الحكم؟ الحكم، الذي هو نفسه التفكير، هو توحيد ثمرات مختلفة لتكوين معرفة واحدة عن طريق مفاهيم»^(٢). ومن ثم فإنه في الحكم تُؤلف (تُركب) التمثلات عن طريق مفاهيم. ولا يمكننا بالتالي أن نضع، بصورة واضحة، هذا لعدد الأحكام الممكنة، إذا تحدثنا عن أحكام معينة. بيد أننا نستطيع أن نحدد عدد الطرق الممكنة للحكم، وأعني بذلك عدد أنواع الحكم المنطقية، إذا نظرنا إليها بناءً على صورتها. وقد فعل المناطقة ذلك من قبل كما يرى كانط. غير أنهم لم يمشوا بالمسألة أبعد ويبحثوا في سبب كون صور الحكم هذه، وهذه الصور فقط، ممكنة. ومع ذلك فإننا نستطيع أن نجد هنا وبصورة دقيقة «مفتاحنا الترنسندنتالي»؛ لأن كل صورة من صور الحكم يحددها مفهوم قبلي. وبالتالي لكي نكتشف قائمة لمفاهيم الفهم القبلية الخالصة، لا يجب علينا سوى أن نفحص لوحة أنواع الحكم المنطقية الممكنة.

ويمكننا أن نضع المسألة هكذا. الفهم لا يعاين، بل يحكم. والحكم هو التأليف (التركيب). ومن ثم فإن هناك طرقاً أساسية معينة للتأليف (أعني وظائف الوحدة في الحكم، على حد تعبير كانط)، معروضة في أنواع الحكم المنطقية الممكنة، أو صوره المنطقية الممكنة. وهذه الأنواع تبين البناء المنطقي للفهم، إذا نظرنا إليه

(1) B., 44; A., 69.

(2) الحكم، كما يرى كانط، هو معرفة مباشرة بموضوع ما؛ أعني يتمثل موضوع ما. وليس هناك تمثيل، ما عدا العيان، يرتبط بموضوع بصورة مباشرة. فالفهم لا يرتبط مباشرة إلا يتمثل آخر، إما يعاين أو بمفهوم آخر (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

المقولات	الأحكام
(ب) الكيف: ٤ - الإيجاب. ٥ - السلب. ٦ - الحد.	(ب) الكيف: ٤ - موجب. ٥ - سالب. ٦ - لا متناه (معدول).
(ج) العلاقة: ٧ - ملازمة وقوام. (الجوهر والعرض) ٨ - العلية والتبعية. (العلة والمعلول) ٩ - التفاعل. (التبادل بين الفاعل والمنفعل)	(ج) العلاقة: ٧ - حملية. ٨ - شرطية متصلة. ٩ - شرطية منفصلة.
(د) الجهة: ١٠ - الإمكان وعدم الإمكان. ١١ - الوجود واللا وجود. ١٢ - الضرورة والإمكان.	(د) الجهة: ١٠ - احتمالية. ١١ - تقريرية. ١٢ - ضرورية (يقينية).

ومن ملاحظات كانط على قائمة هذه المقولات أنها لن تُعد بطريقة عشوائية، مثل قائمة مقولات أرسطو، وإنما أعدت بالتطبيق المنظم لمبدأ. ولذلك فإنها تحتوى على كل تصورات الفهم الأصلية الخالصة، أو مقولاته. وهناك، فى واقع الأمر، تصورات خالصة أخرى للفهم، ولكنها مستمدة (قَبْلًا) وإضافية. ويقترح كانط أن يسميها «الكليات الخمس» أو «المحمولات» Predicables ليميزها عن المقولات، غير أنه لم يتعهد بأن يقدم قائمة لها؛ أعنى أن يضع النسق الكامل لتصورات الفهم الأصلية، والتصورات المستمدة الخالصة. ويكفى لغرضه أن نقم قائمة التصورات الأصلية، أو المقولات.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

جاز هذا التعبير. ألا يمكن أن تكون هذه الموضوعات؛ أعني الظواهر، هي هكذا حتى إن تطبيق مقولات الفهم عليها يشوهها أو يسيء تمثيلها؟ لا بد أن نبين أن التطبيق له ما يبرره.

ويسمى كانط تقديم هذا التبرير «الاستنباط الترنسندنتالي» للمقولات. ويمكن أن يُساء فهم كلمة «استنباط» بسهولة؛ لأنها تُفترض اكتشافاً نسقياً لما عساه أن تكون المقولات. وقد تم ذلك من قبل. ولذلك فإن كلمة «استنباط» تعني في هذا السياق التبرير، كما يفسره كانط. أما كلمة «ترنسندنتالي» فإن معناها يفهم جيداً بمقابلتها بكلمة «تجريبي». ولا يهتم كانط بتبرير تطبيق المقولات ببيان أن استخدامها مفيد تجريبياً في هذا العلم أو ذاك مثلاً. إنه يهتم بتبرير تطبيقها ببيان أنها شروط قَبْلِيَّة لكل تجربة. ومن ثم يستطيع أن يقول إن هدف التبرير الترنسندنتالي كله هو بيان أن تصورات الفهم القَبْلِيَّة أو مقولاته هي شروط قَبْلِيَّة لإمكان التجربة.

ويمكن أن نحدد المشكلة بصورة أكثر دقة. إن المكان والزمان هما شرطان قَبْلَيَّان للتجربة أيضاً. بيد أنهما شرطان ضروريان لكي تُعطى الموضوعات لنا. ومن ثم فإن مهمة التبرير الترنسندنتالي هي بيان أن المقولات شروط ضرورية لكي تتعقل الموضوعات. وبمعنى آخر لا بد أن يأخذ تبرير تطبيق المقولات على الموضوعات صورة بيان أنه لا يمكن تعقل الموضوعات إلا عن طريق مقولات الفهم التي تقوم بالتأليف (التركيب). ولما كان تعقل الموضوعات ضرورياً لمعرفة، فإن بيان أن الموضوعات لا يمكن أن تتعقل إلا عن طريق المقولات هو بيان أنها لا يمكن أن تُعرف إلا عن طريق المقولات. وبيان ذلك هو بيان أن تطبيق المقولات له ما يبرره؛ أعني أن لها صحة موضوعية.

وهذا الخط من التفكير متضمن في ثورة كانط الكوبرنيقية بصورة جلية وواضحة. إن استخدام المقولات لا يمكن تبريره بناء على الفرض الذي يقول إن الذهن لا بد أن يتفق مع الموضوعات. لكن إذا كان يجب أن تتفق الموضوعات مع

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ولا يشير كانط هنا إلى مفهوم الوحدة القبلى، أو إلى مقولة الوحدة التى تظهر فى قائمة المقولات. ولا يقول إن كل ربط يتضمن تطبيق هذه المقولة؛ لأن تطبيق أى مقولة، سواء أكانت مقولة الوحدة أم أى مقولة أخرى، يفترض الوحدة التى يتحدث عنها. فعن أى شىء يتحدث كانط؟ إنه يتحدث عن الوحدة التى تكمن فى العلاقة بذات واحدة تدرك وتفكر. فنحن نتعلل الموضوعات أو نفكر فيها عن طريق المقولات، لكننا لا نتعللها بدون هذه الوحدة. وبمعنى آخر، عمل الفهم الخاص بالتأليف لا يكون ممكناً إلا بداخل وحدة الوعي.

وهذا معناه أنه لا يمكن تعقل تعدد العيان، أو الإدراك، ويصبح، من ثم، موضوعاً للمعرفة إذا لم يرتبط الإدراك والتعقل (التفكير) فى ذات واحدة حتى إن الوعي بالذات يمكن أن يلازم كل التمثلات. ويعبر كانط عن هذا بقوله إن الأنا أفكر لا بد أن تكون لديها القدرة على أن تلازم كل تمثلاتنا. وليس ضرورياً أن أفكر فى إدراكى وتفكيرى على أنه إدراكى أنا وتفكيرى أنا. غير أنه بدون إمكان هذا الوعي لا يمكن أن تُعطى وحدة لتعدد العيان؛ أعنى لن يكون هناك ربط ممكن. «لا بد أن تكون الأنا أفكر قادرة على أن تلازم كل تمثلاتى. إذ بدون ذلك سيكون ثمة شىء مُتمثل فى لا يمكن أن أفكر فيه على الإطلاق. على الأقل لا يكون شيئاً بالنسبة لى... ومن ثم فإن تعدد العيان على صلة ضرورية بالأنا أفكر فى الذات عينها التى يوجد فيها هذا التعدد»⁽¹⁾. ومن الخلف والاستحالة أن أتحدث عن امتلاكى أى فكرة إذا لم يستطع الوعي بالذات أن يلازمها. ومن الخلف والاستحالة أن نتحدث عن تعدد الإدراك الذى نفكر فيه، إذا لم يستطع الوعي نفسه أن يلازم الإدراك والتفكير.

ويُسمى كانط هذه العلاقة بين الذات وتعدد العيان (أعنى العلاقة التى يعبر عنها بقوله إن الأنا أفكر يجب أن تكون لديها القدرة على أن تلازم التمثلات كلها) «الوعي الخالص»، ليميزها عن الوعي التجريبي؛ أعنى الوعي التجريبي بحالة

(1) B., 132.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

سيكولوجية، أو في وصفها بأنها بناء منطقي بسيط؛ أعنى أنها مجموعة هذه الأحداث. وإذا وضعنا في اعتبارنا هؤلاء الظاهريين، فإنه يبدو أن كانط يافت الانتباه إلى مسألة ذات أهمية عظيمة.

ومع ذلك فإن هناك سؤالاً يثار وهو: ما علاقة كل ذلك بتبرير تطبيق المقولات؟ والرد هو، باختصار، كالآتي. ليست هناك تجربة موضوعية، وليست هناك معرفة بالموضوعات ممكنة إذا لم يرتبط تعدد العيان في وعى ذاتي واحد. غير أن كل تأليف يحدثه الفهم، وعن طريق الفهم يُحال تعدد التمثلات إلى وحدة الوعى. ومن ثم فإن الفهم يؤلف (يركب) عن طريق مقولاته القبلية. وبالتالي لا تكون هناك تجربة موضوعية، ولا معرفة بالموضوعات، ممكنة إلا عن طريق تطبيق المقولات. إن عالم التجربة يتكون بتعاون الإدراك والتفكير في تطبيق صور الحساسية القبلية وتطبيق مقولات الفهم. وهكذا تشير المقولات إلى موضوعات؛ أعنى أنه يكون لها إشارة موضوعية؛ لأن كل الموضوعات، لتكون موضوعات، لا بد أن تتفق معها.

وتستحق كلمات كانط أن نقبّسها ونستشهد بها «بندرج التعدد الذى يأتينا عن طريق المعطى فى عيان حسى يصل إلينا بالضرورة فى صورة وحدة الوعى التأليفية للإدراك المباطن؛ لأن وحدة العيان لا تكون ممكنة إلا بواسطتها فحسب. بيد أن عمل الفهم الذى عن طريقه يوضع تعدد التمثلات المعطاة (سواء أكانت عيانات أم تصورات) تحت وعى واحد، هو الوظيفة المنطقية للأحكام. وبالتالي فإن كل التعدد، من حيث إنه معطى فى عيان تجريبي واحد، يتحدد بالنظر إلى إحدى وظائف الحكم المنطقية، التى بها يوضع تحت وعى واحد. إن المقولات ليست، بالتالى، شيئاً سوى وظائف الحكم هذه، من حيث إن التعدد فى عيان معطى يتحدد بالنظر إليها. ومن ثم فإن التعدد فى عيان معطى يخضع بالضرورة للمقولات»⁽¹⁾. وأيضاً «إننى أتمثل التعدد المتضمن فى عيان خاص بى عن طريق تأليف الفهم من حيث إنه ينتمى إلى وحدة الوعى الذاتى الضرورية. ويحدث هذا عن طريق المقولة»⁽²⁾.

(1) B., 143.

(2) B., 144.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الوسطى. فالصورة في المذهب الأرسطى في العصور الوسطى هي نتيجة عمليات على مستوى الحس وتقوم، بدورها، كأساس للتجريد العقلى. أما عند كانط فإنها نتاج تلقائى لقوة الخيال التى تعمل وفقاً لتخطيط ينتجه الخيال نفسه. ويجب ألا ننسى أن الموضوع عند كانط لا بد أن يتفق مع الذهن، وليس العكس.

ولكى يبين كانط ما يقصده، فإنه يقدم مثلاً أو مثالين من الرياضيات. فأننا أستطيع أن أنتج صورة للعدد خمسة، مثلاً، بأن أضع خمس نقاط واحدة إثر الأخرى بهذه الطريقة «.....». لكن تخطيط العدد خمسة ليس هو نفسه هذه الصورة، أو أى صورة أخرى؛ فهو يمثل الطريقة التى يمكن أن تتمثل بها كثرة ما فى صورة وفقاً لمفهوم معين. إن التخطيط يقوم بتوحيد مفهوم الظاهرة وتعددتها؛ أعنى أنه يقوم بتطبيق المفهوم على الظاهرة. كما يستشهد كانط بمثال غير رياضى وهو مفهوم الكلب. فتخطيط هذا المفهوم هو قاعدة لإنتاج تمثل ضرورى لتطبيق المفهوم على حيوان معين.

ويمكن أن تكون هذه الأمثلة والتوضيحات مضللة إلى حد كبير؛ لأننا لا نهتم هنا، أساساً، بمفاهيم رياضية، ولا بأفكار تجريبية بعيدة مثل مفهوم الكلب، وإنما نهتم بمقولات الفهم الخالصة. ولا نهتم بالتخطيط أو القواعد لإنتاج صور يمكن أن نختارها أو نغيرها، وإنما نهتم بالتخطيط الترنسندنتالى الذى يحدد قَبْلَها الشروط التى بموجبها يمكن أن تتطبق مقولة على أى تعدد. ومع ذلك فإن أمثلة كانط، التى يأخذها من تطبيق مفاهيم رياضية ومن أفكار قَبْلَية على معطيات الإدراك، لا يُقصد منها سوى أن تخدم بوصفها مدخلاً لفكرة التخطيط العامة.

يحدد تخطيط المقولات الترنسندنتالية الشروط التى وفقاً لها يمكن تطبيق المقولات على الظواهر. ويعنى هذا بالنسبة لكانط تحديد الشروط الزمنية التى وفقاً لها يمكن تطبيق مقولة على الظواهر؛ لأن الوضع فى الزمان هو الخاصية الوحيدة المشتركة بالنسبة لكل الظواهر أيًا كانت، بما فى ذلك حالات النفس التجريبية. ومن ثم يستطيع كانط أن يقول إن «التخطيط ليس سوى التحديدات الزمنية قَبْلَها وفقاً لقواعد»⁽¹⁾. إن الزمان هو الشرط الضرورى لربط، أو ارتباط، كل التمثيلات.

(1) B., 184; A., 145.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وتخطيط المقولة الثالثة للعلاقة، وهى مقولة التبادل بين الفاعل والمنفعل هو «وجود تعيينات (أى أعراض) الواحدة والأخرى معاً وفقاً لقاعدة عامة»⁽¹⁾. ولا يعنى كائناً هنا أيضاً أن وجود الجواهر مع أعراضها هو كل ما يوجد فى مفهوم التبادل. بيد أن هذا المفهوم لا يمكن أن ينطبق على الظواهر إذا لم يُعط صورة تتضمن هذا التمثيل للوجود معاً فى الزمان.

ولنأخذ، أخيراً، المقولتين الأخيرتين من مقولات الجهة، إن تخطيط مقولة الوجود هو الوجود فى زمان معين، بينما تخطيط مقولة الضرورة هو وجود موضوع فى الزمان كله. والضرورة، من حيث إنها مقولة، لا تعنى ببساطة الوجود فى الزمان كله. إنها تعنى، كما رأينا من قبل، الوجود المعطى عن طريق الإمكان الخالص للوجود. بيد أنه لا يمكن تطبيق المقولة، كما يرى كائناً، إذا لم يحددها الخيال من جهة الزمان لتتضمن تمثلاً للوجود فى الزمان كله. وهذا شرط ضرورى لإمكانها. إننا لا نستطيع أن نتمثل لأنفسنا شيئاً بوصفه ضرورياً إلا بتمثله بوصفه موجوداً فى الزمان كله. وتنتمى هذه الفكرة إلى المقولة التى لها تخطيط أو رسوم تخطيطية. والمقولة التى لها تخطيط أو رسوم تخطيطية هى وحدها المقولة التى تُطبق باستمرار.

وتنشأ مشكلة يمكن أن نشير إليها هنا باختصار. يستخدم كائناً، كما رأينا، لفظ مقولة ومفهوم خالص أو قبلى ليشير إلى نفس الشيء. ومن ثم توصف المقولات بأنها وظائف منطقية. إنها صور خالصة للفهم الذى يجعل التأليف ممكناً، لكنها لا تمثل أى موضوع، إذا أخذناها فى ذاتها بصرف النظر عن تطبيقها على الظواهر. ويمكن أن نسأل فى هذه الحالة عما إذا كانت كلمة «مفهوم» ليست تسمية خاطئة. ونجد «كامب سميث» يؤكد، فى تعليقه على كتاب «نقد العقل الخالص»⁽²⁾، أن كائناً عندما يتحدث عن المقولات، فإنه يعنى باستمرار التخطيط

(1) B., 183-4; A., 144.

(2) P. 340; See Biography.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

٦ - الفهم ينتج، بالتالى، مبادئ معينة قَبَلِيَّة تحدد شروط إمكان التجربة الموضوعية؛ أعنى شروط إمكان تجربة الموضوعات. أو نقول بعبارة أخرى إن الفهم ينتج مبادئ معينة قَبَلِيَّة تكون قواعد للاستخدام الموضوعى للمقولات. ولكى نتأكد، بالتالى، ما عساها أن تكون هذه المبادئ، فإنه لا يجب علينا سوى أن ننظر إلى لوحة المقولات المتعينة أو المملوءة. «تقدم لنا لوحة المقولات المرشد الطبيعى للوحة المبادئ؛ لأن لوحة المبادئ ليست سوى قواعد للاستخدام الموضوعى للوحة المقولات»^(١).

ويسمى كانط المبادئ التى تناظر مقولات الكم «بديهيات العيان». وهو لا يذكر بديهيات معينة، غير أنه يخبرنا أن مبدأها العام هو «كل العيانات هى مقادير ممتدة»^(٢). وهذا مبدأ من مبادئ الفهم الخالص، ولذلك فإنه لا يمكن أن يكون مبدأ رياضياً (أى إن المرء لا يميل إلى الاعتقاد بأنه كذلك)؛ لأن المبادئ الرياضية مستمدة من عيانات خالصة عن طريق توسط الفهم، وليست مستمدة من الفهم الخالص نفسه. وفى الوقت نفسه يفسر مبدأ بديهيات العيان هذا، كما يرى كانط، لماذا يمكن تطبيق قضايا الرياضيات التأليفية القَبَلِيَّة على التجربة. فما يؤكد الهندسة عن العيان الخالص للمكان مثلاً، لا بد أن يكون صحيحاً بالنسبة لعيانات تجريبية إذا كانت كل العيانات مقادير ممتدة. ولما كان المبدأ هو نفسه شرطاً للتجربة الموضوعية فى حقيقة الأمر، فإن إمكان تطبيق الرياضيات هو أيضاً شرطاً للتجربة الموضوعية. وقد نضيف أنه إذا فسر مبدأ بديهيات العيان لماذا يمكن تطبيق قضايا الرياضيات التأليفية القَبَلِيَّة على الواقع الظاهرى، فإنه يفسر أيضاً إمكان الفيزياء الرياضية.

ويسمى كانط المبدأ الذى يناظر مقولات الكم التى لها تخطيط أو رسوم تخطيطية «استباقات التجربة». والمبدأ العام لهذه الاستباقات هو «فى كل الظواهر،

(1) B., 200; A., 161.

(2) B., 202; A., 162.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

موضوعات الحس ليست ممكنة بدون تأليف للإدراكات، متضمنًا وجود الوعي بوحدة التعدد التأليفية. غير أن هذه الوحدة التأليفية، التي تعي صنوف الارتباط، تشارك بها الذات، أعني أنها قبلية. وصنوف الارتباط القبلية ضرورية. ومن ثم فإن التجربة ليست ممكنة إلا بتمثل صنوف الارتباط بين موضوعات الإدراك.

وينظر كانط إلى النظائر الثلاث على أنها قواعد، أو توجيهات للاستخدام التجريبي للفهم في اكتشاف صنوف عينية من الارتباط. وهي تناظر ما يسميه كانط أحوال الزمان الثلاثة، وهي الدوام، والتتابع، والمعية. ويمكن فهم ما يعنيه هذا بصورة جيدة بالنظر في النظائر نفسها. إنها تصاغ كالاتي. أولاً «الجوهر يدوم ويبقى في كل تغير للظواهر، وكميته في الطبيعة لا تزيد ولا تنقص»⁽¹⁾. ثانياً «تحدث كل التغيرات وفقاً لقانون ارتباط العلة والمعلول»⁽²⁾. ثالثاً «كل الجواهر من حيث إنها تُدرك معاً في المكان، في تفاعل شامل»⁽³⁾.

وتناظر هذه المبادئ بوضوح مقولات العلاقة التي لها تخطيط أو رسوم تخطيطية، وهي الجوهر والعرض، والعلة والمعلول، والتبادل بين الفاعل والمنفعل. وهي مبادئ قبلية، ولذلك فإنها تسبق التجربة. لكن على الرغم من أنها تخبرنا عن علاقات، أو قضايا، فإنها لا تنتبأ، أو لا تمكّننا من أن نتنبأ بعلاقة مجهولة. ولذلك فإنها تختلف عن النظائر الرياضية كما يرى كانط. فالنظيرة الأولى، مثلاً، لا تخبرنا عما عساه أن يكون الجوهر الدائم في الطبيعة؛ إذ إنها تخبرنا بدلاً من ذلك بأن التغير يحتوى على الجوهر، وأنه حيثما يوجد جوهر، فإنه يحتفظ بكميته الإجمالية. وهذا صحيح سواء قررنا بناء على أسس تجريبية أن الجوهر، أو الحامل، في الطبيعة لا بد أن يسمى مادة (كما يعتقد كانط)، أو طاقة، أو شيء آخر. وإذا وضعنا المسألة بدقة، فإننا نقول إن النظيرة تخبرنا بأن الكمية الإجمالية للجوهر في الطبيعة تبقى ثابتة، بيد أنها لا تخبرنا ما عساه أن تكون. ولا نستطيع

(1) B., 224; A., 182.

(2) B., 232; A., 189.

(3) B., 256; A., 211.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إن المسلمات هي، كما قررنا من قبل، مسلمات للتفكير التجريبي. ومن ثم فإن المسلمة الثانية تقدم لنا تعريفاً أو تفسيراً للواقع عند الاستخدام التجريبي للمصطلح. فهي تعادل القول إنه لا يمكن قبول شيء في العلوم بوصفه واقعياً لا يرتبط بإدراك تجريبي، وبالإحساس أيضاً، وفق تحليل التجربة. وبالنسبة للمسلمة الثالثة، فإنها تخص الاستدلال على ما لا يدرك مما هو مدرك وفق نظائر التجربة والقوانين التجريبية. فإذا أخذنا نظيرة التجربة الثانية بذاتها مثلاً، فإننا لا نستطيع أن نقول سوى أن تغييراً معيناً معطى، أو أن حدثاً لا بد أن يكون له علة. ولا نستطيع أن نحدد بصورة قبلية ما عساها أن تكون العلة. لكننا إذا وضعنا في الاعتبار قوانين الطبيعة التجريبية، فإننا نستطيع أن نقول إن علاقة علية معينة ومحددة ضرورية، وإن علة معينة لا بد أن توجد، ليس بضرورة مطلقة بالتأكيد، وإنما بضرورة افتراضية، بناء على فرض هو أن تغييراً معيناً، أو حدثاً معيناً يحدث.

٧ - ومن ثم فالرياضيات لا تنطبق على الطبيعة فحسب، وإنما هناك أيضاً عدد من المبادئ مستمدة من مقولات الفهم، وتكون قبلية بالتالي. ومن ثم يكون علم خالص للطبيعة ممكناً. إن الفيزياء هي بالمعنى الضيق علم تجريبي. ولم يتصور كانط مطلقاً أننا نستطيع أن نستنبط الفيزياء كلها بصورة قبلية. غير أن هناك علماً كلياً للطبيعة، مدخلاً للفيزياء كما يسميه كانط في كتابه «مقدمة لكل ميتافيزيقا...»^(١)، على الرغم من أنه يتحدث عنه أيضاً بوصفه فيزياء كلية أو عامة^(٢). صحيح أنه ليست كل المفاهيم التي توجد في هذا الجزء الفلسفي من الفيزياء، أو المدخل إلى الفيزياء، خالصة بالمعنى الكانطي؛ لأن بعضها يعتمد على التجربة. ويقدم كانط أمثلة منها مفهوم الحركة، وعدم قابلية النفاذ، والقصور الذاتي^(٣). وليست كل مبادئ علم الطبيعة الكلي هذا كلية بالمعنى الدقيق؛

(1) 15.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

التأليف القبلي قوانين للطبيعة. وهذه القوانين الضرورية تفرضها الذات الإنسانية، بيد أنها قوانين ضرورية في الوقت نفسه؛ لأنها صحيحة، وصحيحة بصورة ضرورية، بالنسبة لمجال التجربة الممكنة كله، أعني أنها صحيحة بالنسبة للطبيعة من حيث إنها مركب موضوعات التجربة الممكنة.

لقد حسم كانط، بالتالي، المشكلات التي أثارها هيوم. إن فيزياء نيوتن تسلم باطراد الطبيعة، غير أن التجربة لا تستطيع أن تبرهن على اطراد الطبيعة؛ إذ إنها لا تستطيع أن تبين أن المستقبل يشبه الماضي، بمعنى أن تبين أن هناك قوانين للطبيعة كلية وضرورية. لكن بينما أقنع هيوم نفسه بملاحظة أن لدينا إيماناً طبيعياً باطراد الطبيعة وبمحاولة تقديم تفسير سيكولوجي لهذا الإيمان، فإن كانط حاول أن يبرهن على هذا الاطراد. ولأنه اتفق مع هيوم في أنه لا يمكن البرهنة على الاطراد باستقراء تجريبي، فإنه أثبت أنه ينجم عن الواقعة التي تقول إن الطبيعة، بوصفها مركباً من موضوعات التجربة الممكنة، لا بد أن تطابق الشروط القبليّة للتجربة الموضوعية. إنها هذه الواقعة التي تمكنا من أن نعرف حقائق معينة بصورة قبليّة، تلك التي تكمن في أساس فيزياء نيوتن⁽¹⁾.

ويمكن أن نقول، إذا شئنا، إن كانط قد تعهد بأن يبرر فيزياء نيوتن. بيد أن لفظ « يبرر » يمكن أن يكون مضللاً بالتأكيد؛ لأن التبرير الوحيد الذي يحتاجه نسق علمي هو، بمعنى ما، فائدته ومنفعته، أعني أنه يمكن التسليم بأن التبرير البعدي هو النوع الوحيد المناسب بالفعل. غير أن كانط يعتقد أن فيزياء نيوتن تتضمن فروضاً مسبقة لا يمكن تبريرها بعدياً من الناحية النظرية. وينشأ التساؤل، بالتالي، عما إذا كان التبرير النظري القبلي ممكناً. واقتنع كانط بأنه ممكن بشرط

(1) تعني الفيزياء بالنسبة لكانط فيزياء نيوتن: فإذا سلّمنا بالسباق التاريخي، فإنه يصعب أن تعني شيئاً آخر. ويتضح أن هناك علاقة بين مبادئ كانط، كما يدرجها في « تحليل المبادئ »، وتصور نيوتن للعالم الفيزيائي. فالمبدأ الذي يؤكد أن كل التغيرات تحدث وفق العلاقات العلوية الضرورية مثلاً، لا يناسب الفيزياء التي تسلم بمفهوم اللا تحديد (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لموضوعات الحس. إنها لا يمكن أن تقدم لنا معرفة نظرية أو علمية بحقائق تتجاوز مجال الحس.

والشيء نفسه لا بد أن يقال، بالتأكيد، على مبادئ الفهم القبلية. فهي لا تنطبق إلا على موضوعات التجربة الممكنة، أعنى على الظواهر، أو على الموضوعات من حيث إنها معطاة في العيان التجريبي أو الحسي. «ومن ثم فإن النتيجة النهائية لهذا القسم كله هي أن كل مبادئ الفهم الخالص لا تعدو أن تكون سوى مبادئ قبلية لإمكان التجربة، وجميع القضايا التأليفية قبلية لا ترتبط إلا بهذا فقط؛ إذ إن إمكانها نفسه يقوم على هذه العلاقة في واقع الأمر»⁽¹⁾. ولذلك فإن المبادئ التي تشير إلى الجوهر وإلى العلوية المحددة مثلاً لا تنطبق إلا على الظواهر فقط.

إن معرفتنا بالموضوعات مقيدة بالواقع الظاهري. لكن على الرغم من أننا لا نستطيع أن نتجاوز حدود الواقع الظاهري أو التجريبي، ونعرف ما يتجاوز هذه الحدود، فإنه ليس لدينا الحق أن نقرر أنه لا وجود إلا للظواهر فحسب. ويُدخل كانط فكرة «النومين»، وهي فكرة يجب علينا أن نشرحها الآن.

تعنى كلمة «نومين» حرفياً موضوع التفكير. ويتحدث كانط أحياناً عن النومين على أنه يعنى موضوعات الفهم⁽²⁾. ولكن القول بأن النومين يعنى موضوع التفكير لا يقللنا خطوة كبيرة في سبيل فهم مذهب كانط؛ إذ إنه يمكن أن يكون مضللاً إلى حد كبير بالفعل؛ لأنه قد يفترض أن كانط يقسم الواقع إلى محسوسات أو موضوعات الحس ومعقولات أو «نومين» منظوراً إليها على أنها موضوعات نفهمها بالتفكير الخالص. إن كلمة «نومين» يمكن أن تُستخدم بهذه الطريقة بالتأكيد. إن الظواهر، من حيث أننا نفكر فيها على أنها موضوعات وفق وحدة المقولات تُسمى ظواهر. لكن إذا افترضت (وجود) أشياء هي ببساطة موضوعات للفهم

(1) B., 204.

(2) Cf. Prol., 32; B., 309.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وبعد أن يقوم كانط بهذا التمييز، فإنه يستمر في القول إنه ليس لدينا ملكة خاصة بالعيان العقلي، ولا نستطيع أن نتصور حتى إمكانه، أعني بمفهوم إيجابى. فضلاً عن ذلك، على الرغم من أن فكرة النومين بوصفها شيئاً فى ذاته لا تحتوى على تناقض منطقي، فإننا لا نستطيع أن نرى الإمكان الإيجابى للنومين منظوراً إليه على أنه موضوعات ممكنة للعيان. ولذلك فإن تقسيم الموضوعات إلى ظواهر ونومين يجب ألا نقر به. وفى الوقت نفسه لا يمكن الاستغناء عن مفهوم النومين من حيث إنه مفهوم مُحدد، ويمكن أن نسمى الأشياء فى ذاتها، أعنى الأشياء منظوراً إليها من حيث إنها لا تبدو نومين. بيد أن مفهومنا هو، بالتالى، مفهوم يحتوى على مشكلة. فنحن لا نسلّم بأن هناك نومين، يمكن أن نعاينه إذا كانت لدينا ملكة عيان عقلي. وليس لدينا فى الوقت نفسه حق فى أن نسلّم بأن الظواهر تستنفد الواقع، وأن فكرة حدود الحساسية تحمل معها من حيث إنها مفهوم متضاد مفهوم النومين السلبي وغير المحدد.

إن المشكلة فى هذا التفسير هى أن كانط يقول فى البداية إن كلمة نومين تعنى شيئاً غير ما نعنيه بالموضوع الترنسندنتالى، ثم يستبعد بعد ذلك هذا الشيء ويقدم تفسيراً للنومين يبدو أنه لا يختلف تماماً عن تفسيره للموضوع الترنسندنتالى. ومع ذلك فإنه يوضح فى الطبعة الثانية هذا الخلط الظاهري على الأقل بالتمييز بدقة بين معنيين لكلمة نومين، مع إن نظريته الخاصة بمدى معرفتنا تظل ثابتة ولا تتغير.

فى البداية هناك المعنى السلبي لكلمة نومين. «إذا كنا نعنى بالنومين شيئاً من حيث إنه ليس موضوع العيان الحسى، وبالتالي استخلاصه من حالة معاينتنا له، فإن هذا نومين بالمعنى السلبي للفظ»⁽¹⁾. ويجب ألا تؤخذ الملاحظة الخاصة باستخلاص من حالة معاينتنا للنومين على أنها تتضمن أننا نعاينه أو يمكن أن نعاينه بطريقة محسوسة. فكانط يعنى أننا إذا كنا نعنى بالنومين شيئاً من حيث إنه ليس موضوع العيان الحسى، وإذا كنا فى الوقت نفسه لا نفترض فروضاً عن إمكان أى نوع آخر من العيان، فإنه يكون لدينا فكرة عن النومين بالمعنى السلبي للفظ.

(1) B., 307.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ظواهر. بيد أنه يضع فى الوقت عينه حدودًا لنفسه، أعنى أنه يضع حدودًا ليست لمعرفتها عن طريق أى مقولات، وحدودًا للتفكير فيها ببساطة على أنها شىء غير معروف»^(١).

والآن، لقد رأينا فى القسم الأول من هذا الفصل كيف يتحدث كانط عن تأثيرنا بالموضوعات. وبمعنى آخر، يبدأ كانط من موقف الحس المشترك وهو أن الأشياء تؤثر على الذات وتسبب الإحساس؛ الإحساس الذى يُعرّف بأنه «تأثير موضوع على ملكة التمثيل، من حيث إننا نتأثر بالموضوع»^(٢). بيد أن وجهة نظر الحس المشترك تبدو أنها تتضمن التأكيد أن هناك أشياء فى ذاتها. إذ يبدو أنها تتضمن استدلالاً من الإحساس من حيث إنه معلول على الشىء فى ذاته من حيث إنه علة. ومن ثم فإننا نقرأ فى كتاب «مقدمة لكل ميتافيزيقا...» أن الأشياء فى ذاتها لا يمكن معرفتها من حيث إنها أشياء فى ذاتها، ولكننا «نعرفها عن طريق التمثيلات التى تحدثها فينا وتؤثر بها على حواسنا»^(٣). لكن حديث كانط بهذه الطريقة يعرضه بوضوح لتهمة تطبيق مبدأ العلية وراء الحدود التى وضعها بنفسه. إنه، من ثم، اعترض عام على نظرية النومين منظوراً إليها على أنها أشياء فى ذاتها هو أننا نسلم بوجودها كنتيجة لاستدلال على بينما مقولة العلية لا يمكن أن تنطبق، بناء على مبادئ كانط، إلا على الظواهر. إنه يقال إن كانط يناقض نفسه بالتالى بالتسليم بوجود النومين بوصفه علة للإحساس؛ أعنى أنه لا يتسق مع مبادئه الخاصة. ومن المعقول، بالفعل، أن يتحدث كانط بهذه الطريقة؛ لأنه لا يعتقد على الإطلاق أنه يمكن رد الأشياء ببساطة إلى تمثيلاتنا. ومن ثم من الطبيعى، بالنسبة له، أن يسلم بعلة خارجية، أو بعلة خارجية لتمثيلاتنا. غير أن هذا لا يغير الواقعة التى تقول إنه متهم بعدم اتساق سافر. وإذا أردنا أن ندافع عن وجهة نظر كانط عن مقولة العلة، فإنه يجب علينا أن نستبعد فكرة النومين من حيث إنها شىء فى ذاته.

(1) B., 312.

(2) A., 19; B., 34.

(3) Prol, 13, remark 2.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

نتصوره على أنه ببساطة مضاييف لظواهر مكانية - زمانية. فمفهوم الله ليس مفهوم شيء يبدو ويظهر، منظوراً إليه على أنه لا يبدو؛ لأنه لا يمكن أن يقال إن الله يبدو ويظهر. ومن ثم فإن لفظ «نومين» ولفظ «شيء في ذاته» من حيث إنهما ينطبقان على الله، لا يحملان بدقة نفس المعنى الذى يحملانه عندما يُطبقان بالطريقة التى وصفناها آنفاً. ولذلك فمن الأفضل ألا نخوض فى مناقشة أخرى لفكرة الله حتى نصل، فى الفصل القادم، إلى مناقشة «للجدل الترنسندنطالى»؛ لأن كانط يناقش فى هذا الجزء من كتابه «نقد العقل الخالص» فكرة الله، عندما يعالج أفكار العقل الخالص المتعالية.

٩ - يختلف استخدام كانط لكلمة «مثالية» فى المراحل المختلفة لتطور تفكيره. فليس هناك استخدام واحد ثابت ومتسق للفظ. ومع ذلك تضاعلت كراهيته للوصف بوضوح، ونجده يسمى فلسفته المثالية الترنسندنطالية أو النقدية. لكنه عندما يتحدث بهذه الطريقة، فإنه يفكر فى مذهب الأشياء فى ذاتها التى لا يمكن معرفتها. إنه لا يقصد أن يقرر أنه لا وجود فى رأيه إلا للأنا الإنسانية وأفكارها. فهذا بالفعل مذهب يهاجمه كما سنرى باختصار. وإذا استطعنا أن نتحدث عن فلسفة كانط بأنها مثالية نقدية، فإننا نستطيع أيضاً أن نتحدث عنها بوصفها مثالية نقدية؛ لأنه يرفض استبعاد فكرة الأشياء فى ذاتها بحزم. ومع ذلك، فإننى لا أرى أن أخوض فى مناقشة عقيمة للمصطلحات الملائمة لفلسفة كانط. وأعود بدلاً من ذلك إلى دحضه للمثالية، وأعنى دحضه لما يسميه المثالية التجريبية أو المادية فى مقابل المثالية الصورية أو الترنسندنطالية. وهو يرى أن قبول المثالية الترنسندنطالية يتضمن إنكار المثالية التجريبية.

تحتوى كلا الطبعتين لكتاب « نقد العقل الخالص » على دحض المثالية، لكننى سأحصر ملاحظاتي فى التنقيح المقدم فى الطبعة الثانية. ففيها يميز كانط بين

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

تتطبق إلا على الظواهر ولا تنطبق على الأشياء في ذاتها. فالأشياء في ذاتها قد تركت دون أن تُمس إن جاز هذا التعبير، في حين أنه قد تمَّ بيان أن المكان يمتلك حقيقةً تجريبيةً.

إن معالجة المثالية الإشكالية، التي تُعزى إلى ديكارت، هي أكثر أهمية إلى حد ما. والمسألة الأساسية هي أن منظور ديكارت خاطئ تمامًا؛ لأنه يفترض أن لدينا وعيًا بذواتنا باستقلال عن تجربة الأشياء الخارجية وقبلها، ثم يتساءل كيف نستطيع الآن، المتيقنة من وجودها الخاص، أن نعرف أن هناك أشياء خارجية. وفي مقابل هذا الموقف يبرهن كانط على أن التجربة الداخلية لا تكون ممكنة إلا عن طريق التجربة الخارجية.

إن حجة كانط معقدة إلى حد ما بالفعل. إنني أعى وجودي الخاص من حيث إنه محدد في الزمان^(١). بيد أن كل تحديد في الزمان، أعنى فيما يختص بالتتابع، يفترض وجود شيء دائم في الإدراك. لكن هذا الشيء الدائم لا يمكن أن يكون شيئًا داخليًا؛ لأنه شرط وجودي في الزمان. وينجم عن هذا، بالتالي، أن إدراك وجودي الخاص في الزمان لا يكون ممكنًا إلا عن طريق وجود شيء حقيقي يوجد في الخارج. ومن ثم فإن الوعي في الزمان يرتبط بوجود الأشياء الخارجية بالضرورة، أعنى أنه لا يرتبط فحسب بتمثيلات الأشياء التي توجد في الخارج.

وبالتالي فإن المسألة التي يثيرها كانط هي أنني لا أعى نفسي إلا بصورة مباشرة؛ أعنى عن طريق الوعي المباشر بالأشياء الخارجية. «إن الوعي بوجودي الخاص هو في الوقت ذاته وعى مباشر بوجود أشياء أخرى توجد في الخارج»^(٢). وبمعنى آخر الوعي الذاتي ليس معطىً سابقًا؛ لأنني أعى ذاتي في إدراك الأشياء الخارجية. ومن ثم لا يثار التساؤل عن الاستدلال على وجود الأشياء الخارجية.

(١) يتحدث كانط، بالتأكيد، عن الأنا التجريبية، التي لا أدركها إلا في حالات متتابعة. والأنا الترنسندنتالية ليست محددة في الزمان، بيد أنها ليست معطاة بوصفها موضوعًا للوعي بالذات. إننا نتصورها بوصفها شرطًا لوحدة الوعي الترنسندنتالي (المؤلف).

(2) B., 276.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

كانطيين جدد. فقد نشعر مثلاً بعدم رضا عن فكرة كانط التي تقول إنسه قدّم لوحة كاملة من مقولات، تقوم على لوحة الأحكام التي أخذها من المنطق الصورى الذى كان يألفه مع بعض التعديلات. بيد أن عدم الرضا هذا لا يتطلب بذاته التخلّى عن وجهة النظر العامة التي تمثلها نظرية المقولات. كما أنه يمكن نقد الغموض المتضمن فيما اعتاد عليه كانط وهو الإشارة إلى « المقولات » أحياناً، وإلى تصورات قَبَلِيّة أحياناً أخرى. بيد أنه يمكن إزالة الغموض بدون أن نضطر في الوقت نفسه إلى التخلّى عن النظرية كلها، ومع ذلك فإن الانتقادات المسببة التي يمكن أن توجه من داخل الإطار العام للمذهب لا تهتمنا هنا. وسنقول شيئاً عن الكانطيين الجدد في مجلد آخر.

إذا نظرنا إلى نظرية كانط عن التجربة من حيث إنها محاولة لتفسير إمكان المعرفة التركيبية القَبَلِيّة، فإن حكمنا عليها سيعتمد، بوضوح وبصورة كبيرة، على عما إذا كنا نسلّم بوجود قضايا تركيبية قَبَلِيّة أم نرفضها. فإذا اعتقدنا أنه لا وجود لمثل هذه القضايا، فإننا نصل بوضوح إلى نتيجة هي أن مشكلة تفسير معرفة تركيبية قَبَلِيّة لا تنشأ. إننا سنقول، مثلاً، إن كانط كان مخطئاً في الاعتقاد أن عالم الهندسة يعرف خصائص المكان من عيان قَبَلِيّ. إن كل القضايا إما أن تكون تحليلية أو تركيبية بعدية بمصطلحات كانط. ومع ذلك إذا اعتقدنا أن هناك قضايا تركيبية قَبَلِيّة، فإننا نعرف على الأقل أن مشكلة كانط حقيقية؛ لأن للتجربة الحسية المحض لا تقدم لنا شروطاً ضرورية وكلية حقيقية.

ومع ذلك لا ينجم عن هذا أنه إذا قبلنا وجود المعرفة التركيبية القَبَلِيّة، فإننا نكون ملزمين أيضاً بقبول ثورة كانط الكوبرنيقية؛ لأنه من الممكن أن نسلّم بأن هناك قضايا تركيبية قَبَلِيّة، ونسلّم في الوقت نفسه بأن هناك عياناً عقلياً يقيم هذه القضايا. ولا أَرغب بالتأكيد في أن ألتزم بوجهة النظر التي تقول إن عالم الهندسة يتمتع بعيان عن المكان وأنه يعرف خصائصه من حيث إنه كذلك. إننى لا أصرف انتباهي عن مشكلة الرياضيات تماماً؛ أعنى أننى عندما أتحدث عن القضايا

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل الثالث عشر

كانط (٤): الهجوم على الميتافيزيقا

ملاحظات تمهيدية - أفكار العقل الخالص
الترنسندنتالية - مغالطات علم النفس العقلي - نقائص علم
الكون النظري - عدم إمكان البرهنة على وجود الله -
الاستخدام المنظم لأفكار العقل الترנסندنتالية - الميتافيزيقا
والمعنى.

١ - إذا سلّمنا بتحليل التجربة الموضوعية^(١) التى وصفناها فى الفصل
السابق، فإنه قد يبدو أنه لا يوجد أى شىء آخر نقوله عن الميتافيزيقا
بالفعل؛ لأن نتائج معينة عامة عن الموضوع تتج مباشرة من
"الإستاطيقا الترנסندنتالية" و"التحليل الترנסندنتالى" معاً. فأولاً، إلى الحد
الذى يمكن أن يُسمى النقد الترנסندنتالى نفسه ميتافيزيقا، فإن ميتافيزيقا
التجربة الموضوعية، إن جاز هذا التعبير ستكون ممكنة. وثانياً، إذا
اكتشفنا مذهب القضايا التركيبية القبلية كله الذى يرتبط بعلم طبيعى
خالص، فإنه سيكون لدينا ميتافيزيقا متطورة عن الطبيعية أو علم
طبيعى. وثالثاً، من حيث إنه يمكن استخدام المقولات التى ليس لها
رسوم تخطيطية عن طريق العقل للتفكير فى الأشياء فى ذاتها، وتكوين

(١) التجربة الموضوعية بمعنى تجربة، أو معرفة الموضوعات. ولم نعالج التجربة الأخلاقية بعد، والتجربة
الأخلاقية ليست تجربة موضوعات بالمعنى الذى نستخدم به اللفظ (الموافق).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

تقوم بها^(١). ومن ثم فإنه يبقى بالنسبة له أن نبحث أصل هذه الأفكار ونظامها، ونحدد وظيفتها الدقيقة.

وعلاوة على ذلك، فإن كانط لا يقتنع ببساطة بأن يقول إن المعرفة التي نزع الميتافيزيقا النظرية التقليدية أن تقدمها وهمية. فهو يريد أن يوضح حقيقة اقتناعه ويؤكد عن طريق نقد تفصيلي لعلم النفس النظري، وعلم الكون العقلي، وعلم اللاهوت الطبيعي أو الفلسفي. وهذا ما يقوم به في الكتاب الثاني من "الجدل الترنسندنتالي".

ماذا يعني كانط بالجدل الترنسندنتالي؟ إنه يعتقد أن اليونانيين كانوا يعنون بالجدل فن الجدل السوفسطائي. وفكرة الاستخدام التاريخي هذا للكلمة لا تكفي تمامًا. بيد أن هذه مسألة لا تهمنا. فالمسألة هي أن كانط يَصور الجدل بأنه "منطق الظاهر" أو الوهم^(٢). لكنه لا يريد أن يقدم أو هامًا سوفسطائية بوضوح. ومن ثم فإن الجدل يعني عنده معالجة نقدية لاستدلال زائف أو سوفسطائي. ويعني الجدل الترنسندنتالي نقدًا للفهم والعقل من جهة زعمهما بأن يقدمنا لنا معرفة بأشياء في ذاتها وحقائق تجاوز ما هو محسوس. "وبالتالي فإن الجزء الثاني من المنطق الترنسندنتالي لا بد أن يكون نقدًا لهذا الظاهر الجدلي (أو الوهم)، ويُسمى جدلاً ترنسندنتاليًا، لا من حيث هو فن توليد مثل هذا الوهم دوجماتيقيًا (وهو فن يختلف عن الشعورات الميتافيزيقية، الواسع الانتشار لسوء الطالع)، بل بوصفه نقدًا للفهم والعقل من جهة استعمالهما الميتافيزيقي. إن هدفه هو بيان الوهم الزائف المتضمن

(١) يميز كانط بين نوعين من المبادئ: المبادئ المكونة Constitutive والمبادئ المنظمة Regulative. المبادئ المكونة هي التي يكون لها وجود سابق على التجربة، لكنها تنطبق عليها؛ لأنها شرط لإمكانها، مثل المكان والزمان والعلة. أما المبادئ المنظمة فهي مجرد فكرة ليس لها وجود واقعي، وتكمن وظيفتها في التوجيه والإرشاد مثل فكرة النفس، والله، والعالم. وفي هذه الحالة نفعل كما لو كانت الفكرة المنظمة - أو المبدأ المنظم - لها وجود واقعي (انظر في ذلك كتابنا: مفهوم الغائية عند كانط، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٨ (المترجم)).

(2) B., 349; A., 293.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

القياسي^(١). إن الاستنباط يبدو لى مصطنعاً إلى حد كبير وليس مقنعاً. بيد أنه يمكن نقل الفكرة العامة بالخطوات الآتية:

يرتبط الفهم بالظواهر بصورة مباشرة، الذى يوحدها فى أحكامه. ولا يهتم العقل بالظواهر بهذه الطريقة بصورة مباشرة، وإنما بصورة غير مباشرة؛ أعنى أنه يقبل تصورات الفهم وأحكامه، ويحاول أن يوحدها على ضوء مبدأ أعلى. ودعنا نأخذ القياس الذى يفترضه كانط نفسه كمثال: كل الناس فانون، وكل الباحثين ناس، إذن كل الباحثين فانون. إن النتيجة تنتج من المقدمة الكبرى عن طريق، أو على أساس، المقدمة الصغرى. بيد أننا نستطيع أن نستمر بوضوح لنبحث عن شرط صدق المقدمة الكبرى؛ أعنى أننا نستطيع أن نحاول أن نظهر المقدمة الكبرى، وهى "كل الناس فانون"، من حيث إنها هى نفسها نتيجة قياس. ويتحقق هذا، مثلاً، فى الاستدلال الآتى: "كل الحيوانات فانية، وكل الناس حيوانات، إذن كل الناس فانون". إننا نستطيع بالتالى أن نرى مقدمتنا الكبرى الجديدة من حيث إنها توحد سلسلة من الأحكام بأكملها مثل: "كل الناس فانون"، و"كل القطط فانية"، و"كل الفيلة فانية". ثم نستطيع بالتالى أن نستمر لنخضع المقدمة الكبرى "كل الحيوانات فانية" لعملية مشابهة، نظهرها بوصفها نتيجة قياس سابق، ومن ثم توحد مجاًلاً أكثر اتساعاً من أحكام مختلفة.

ويتضح فى الأمثلة المقدمة، بالتالى، أن العقل لا ينتج التصورات والأحكام من نفسه. فهو يهتم بالعلاقة الاستنباطية بين أحكام يساهم بها الفهم فى استخدامه التجريبي. بيد أنها خاصية معينة للعقل وهى أنه لا يرضى بأن يجعل عملية التوحيد هذه متوقفة على أن مقدمة معينة تكون هى نفسها مشروطة؛ أعنى يمكن إظهار أنها هى نفسها نتيجة قياس، فهو يبحث عن اللا مشروط. واللا مشروط ليس معطى فى التجربة.

(١) استدلال مباشر؛ لأن النتيجة فى القياس لا تستمد إلا من المقدمة الكبرى عن طريق المقدمة الصغرى؛ التى هى شرط للاستنباط (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الاستدلالات الشرطية المنفصلة، فإن العقل يتطلب وحدة لا مشروطة في صورة تجمع أعضاء التقسيم المتفصل من نوع هكذا حتى إنه يجعل التقسيم كاملاً.

وأعتقد أن سبب محاولة كانط أن يستمد الأنواع الثلاثة من الوحدة اللا مشروطة من الأنواع الثلاثة للقياس الاستدلالي واضح وجلي. وعندما استنبط مقولات الفهم أراد أن يتجنب النوع العشوائي من الاستنباط الذي اتهم به أرسطو، وأن يحل محله استنباط كامل ونسقي. وبمعنى آخر لقد أراد أن يبين في الوقت نفسه ما المقولات ولماذا هذه المقولات بالتحديد دون غيرها. ولذلك حاول أن يستنبطها من أنواع الحكم المنطقية، وافترض أن تصنيفه لهذه الأنواع كامل. وأراد على نحو مماثل عند استنباط أفكار العقل الخالص أن يبين في الوقت نفسه ما هذه الأفكار، ولماذا هذه الأفكار بالتحديد دون غيرها (أو لماذا أنواع هذه الأفكار على حد تعبيره). ولذلك حاول أن يستمدّها من الأنواع الثلاثة للاستدلال المباشر التي لا تكون سوى الأنواع الممكنة، وفقاً للمنطق الصوري الذي يقبله. ونلاحظ في العملية كلها شغف كانط بترتيب نسقي ومعماري في العمل.

ومع ذلك فإن كانط يدخل أثناء استنباط أفكار العقل الخالص خطأ مكملاً من التفكير يجعل فهم المسألة كلها سهلاً إلى حد ما. أعني أنه يدخل فكرة العلاقات الأكثر عمومية التي يمكن أن توضع فيها تمثلاتنا، وهذه العلاقات ثلاث، وهي: هناك علاقة بالذات، وهناك علاقة تمثلاتنا بالموضوعات من حيث إنها ظواهر، وهناك علاقة تمثلاتنا بالموضوعات من حيث إنها موضوعات للتفكير بوجه عام، سواء أكانت ظواهر أم لا. ويمكننا أن نتناول هذه العلاقات كلاً على حدة.

فمن الناحية الأولى، يقتضي إمكان تجربتنا، كما لاحظنا في الفصل الأخير، أن ترتبط كل تمثلاتنا بوحدة الوعي، بمعنى أن "أنا أفكر" لا بد أن يكون لديها القدرة على أن تلازمها كلها. ومن ثم فإن العقل يميل إلى أن يكمل هذا التأليف بافتراض لا مشروط، أعني أنا دائمة، أو ذاتاً مفكرة، نتصورها من حيث إنها جوهر؛ أعني أن العقل يميل إلى أن يكمل تأليف الحياة الداخلية بتجاوز الأنا

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفهم بعيداً وننظر إليه على أنه يكون الموضوعات بفرض شروط التجربة القبلية التي تُعرف بالمقولات. إن أفكار العقل الخالص ليست "مكونة". بيد أن لدى العقل ميلاً طبيعياً إلى توحيد شروط التجربة، وهو يقوم بذلك بالانتقال إلى اللا مشروط، في الصور الثلاث التي ذكرناها من قبل. وعندما يقوم بذلك فإنه يجاوز التجربة بصورة واضحة. ولذلك يسمى كانط أفكار العقل الخالص "الأفكار الترنسندنتالية"، على الرغم من أنه يستمر فيما بعد في الحديث عن الفكرة الثالثة، وهي فكرة الله، من حيث إنها "المثال الترنسندنتالي"؛ لأننا نتصور الله بوصفه الكمال الأسمى والمطلق.

وتكون هذه الأفكار الثلاث الموضوعات الرئيسية الموحدة لفروع الميتافيزيقا النظرية الثلاثة وفقاً لتصنيف فولف. "قالذات المفكرة هي موضوع علم النفس، ومجموع الظواهر (أى العالم) هو موضوع الكسمولوجيا، والكيان الذى يحتوى على الشرط الأسمى لإمكان الكل الذى يمكن التفكير فيه (وجود كل الموجودات) هو موضوع اللاهوت. ومن ثم فإن العقل الخالص يقدم فكرته عن مذهب ترنسندنتالى للنفس (أعنى علم النفس العقلى)، وعن علم ترنسندنتالى للعالم (أعنى علم الكون العقلى)، وأخيراً عن مذهب ترنسندنتالى عن الله (أعنى علم اللاهوت العقلى)"⁽¹⁾.

وبالتالى، لما لم يكن لدينا أى ملكة للعيان العقلى، كما يرى كانط، فإن الموضوعات التى تتناظر هذه الأفكار لا يمكن أن تُعطى لنا بهذه الطريقة. ولا تُعطى عن طريق التجربة بالمعنى الذى وصفناه فى الفصل الأخير. إن النفس الجوهرية، والعالم من حيث إنه مجموع كل الظواهر، والموجود الأسمى، أعنى الله، كلها لا يمكن أن تُعطى فى التجربة. فهى ليست ظواهر، ولا يمكن أن تكون كذلك. ولا تنشأ أفكارها عن طريق إخضاع مادة التجربة لشروط التجربة القبلية، بل تنشأ عن طريق توحيد شروط التجربة من حيث إنها لا مشروط. ومن ثم

(1) B., 391-2; A., 334-5.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

أن نبرهن على وجود الأنا الترنسندنتالية من حيث إنها جوهر؛ لأن هذا يتضمن سوء استخدام للمقولات مثل مقولة الوجود، والجوهر، والوحدة. إن المعرفة العلمية مقيدة بعالم لظواهر، أما الأنا الترنسندنتالية فإنها لا تنتمي إلى العالم، فهي مفهوم مُحدد. ولذلك ربما يقول كانط مع فتجنشتين إن "الذات لا تنتمي إلى العالم، بل هي حد للعالم"^(١).

إن علم النفس العقلي يحتوى، كما يرى كانط، على مغالطات أساسية، أعنى أنه يحتوى على استدلال به مغالطة من الناحية المنطقية. ويمكن التعبير عن هذا الاستدلال على النحو التالي:

"ما لا يمكن أن نتصوره إلا بوصفه ذاتاً، لا يوجد إلا بوصفه ذاتاً،
وبالتالى فإنه يكون جوهرًا"^(٢).

والقول بأن هذا الاستدلال مغالطة ينتج من الواقعة التى تقول إنه يحتوى على أربعة حدود. أعنى أن الحد الأوسط "ما لا يمكن أن نتصوره إلا بوصفه ذاتاً" يُفهم بمعنى ما فى المقدمة الكبرى، وبمعنى آخر فى المقدمة الصغرى. ففى المقدمة الكبرى لا بد أن تكون الإشارة إلى موضوعات التفكير بوجه عام، بما فى ذلك موضوعات العيان. ويصح أن تطبق مقولة الجوهر على موضوع مُعطى، أو يمكن أن يُعطى، فى العيان، ولا يمكن التفكير فيه إلا من حيث إنه موضوع، بمعنى ذلك الذى لا يمكن التفكير فيه من حيث إنه محمول. أما فى المقدمة الصغرى فإن ما لا يمكن التفكير فيه إلا من حيث إنه ذات يُفهم بالنسبة للوعى الذاتى من حيث إنه صورة التفكير، وبالنسبة لموضوع من موضوعات العيان. ولا ينتج عن هذا على الإطلاق أنه يمكن تطبيق مقولة الجوهر على ذات بهذا المعنى؛ لأن أنا الوعى الذاتى الخالص ليست معطاة فى العيان، ولذلك فإنها ليست مرشحة لتطبيق المقولة إن جاز هذا التعبير.

(1) Tractatus Logico-Philosophicus, S. 632 - فتجنشتين "رسالة منطقية فلسفية" ترجمها الدكتور عزى إسلام مع مراجعة وتقديم د. زكى نجيب محمود - مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٦٨ (المراجع).

(2) B., 410-11; cf, A., 348.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وجود النفس بهذا المعنى مستحيلًا. إننا نستطيع أن نؤكد وجود الأنا التجريبية بالتأكيد؛ لأن هذا مُعطى فى عيان داخلى. بيد أن الأنا التجريبية هى النفس من حيث إنها تُكرس فى علم النفس. إنها موضوع فى الزمان ويمكن ردها إلى حالات متتابعة. والأنا التى لا يمكن ردها إلى حالات متتابعة ولا يمكن التفكير فيها إلا من حيث إنها ذات ليست معطاة فى عيان، ليست موضوعًا ولا يمكن التأكيد دوجماتيقيًا بالتالى أنها توجد بوصفها جوهرًا بسيطًا.

٤ - لقد رأينا أن الكسملوجيا النظرية تدور، كما يرى كانط، حول فكرة العالم من حيث إنه مجموع التتابع العلى للظواهر. إن عالم الكون النظرى يحاول أن يمد معرفتنا بالعالم، من حيث إنه مجموع الظواهر، عن طريق قضايا تأليفية قَبَلية. بيد أن هذا الإجراء يودى، كما يرى كانط، إلى نقائص. وتتشأ المغالطة عندما يمكن البرهنة على كل من قضيتين متناقضتين. وإذا أدى علم الكون إلى نقائص بهذا المعنى لا محالة، فإنه يجب أن نستنتج نتيجة هى أن هدفه كله خاطئ؛ أعنى هدف بناء علم عن العالم منظورًا إليه على أنه مجموع الظواهر. وهذا الفرع من الميتافيزيقا النظرية ليس علمًا، ولا يمكن أن يكون علمًا. وبمعنى آخر تبين الواقعة التى تقول إن علم الكون النظرى ينتج نقائص أننا لا نستطيع أن نجعل استخدام فكرة العالم الترنسندنتالية علمية من حيث إن العالم مجموع الظواهر.

يناقش كانط أربع نقائص. ويُفترض أن كل نقیضة تناظر إحدى المقولات الأربع. بيد أنه ليست هناك ضرورة لأن نتناول هذه القسمة النمطية من التضافى النسقى بإسهاب. واقتراح أن أمر عليها مرور الكرام وأصل فى الحال إلى مناقشة مختصرة لكل نقیضة من النقائص الأربع.

(أ) القضيتان المتقابلتان من النقیضة الأولى هما: "الموضوع: العالم له بداية فى الزمان وهو محدود أيضًا من جهة المكان. نقیض الموضوع: العالم

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ويبدو من الوهلة الأولى أن كانط يقبل موقفاً يعارض موقف القديس توما الإكويني تماماً^(١)؛ لأنه بينما يسلم القديس توما الإكويني^(٢) بأنه لا يمكن البرهنة من الناحية الفلسفية على أن للعالم بداية في الزمان، أو ليس له بداية في المكان، فإنه يبدو أن كانط يقول إنه يمكن البرهنة على كلا الموضوعين. وقد نلاحظ أن برهانه على الموضوع الذى يقول إن العالم له بداية في الزمان هو نفس البرهان الذى قدّمه القديس بونافنتير^(٣) فى تدعيم هذا الموضوع، وهو برهان قد أنكر القديس توما الإكويني صحته. غير أن البرهانيين يقومان على فرضين زائعين كما يرى كانط. فالبرهان على الموضوع يقوم على افتراض هو أننا نستطيع أن نطبق على الظواهر مبدأ العقل الخالص الذى يقول إذا أعطى الشروط، فإن مجموع الشروط، ومن ثم اللا مشروط، يُعطى أيضاً. أما البرهان على نقيض الموضوع فيقوم على افتراض هو أن عالم الظواهر هو عالم الأشياء فى ذاتها. إنه يُفترض، على سبيل المثال، أن المكان هو حقيقة موضوعية. وإذا سلّمنا بالفرضين الأساسيين، فإن البرهانيين يكونان صحيحين^(٤). غير أن الواقعة التى تقول إنه يمكن البرهنة على كل من القضيتين المتناقضتين تبين أن الفرضين طائشان. ولا يمكن أن نتجنب النقيضة إلا بقبول موقف الفلسفة النقدية، والتخلي عن موقف كل من المذهب العقلي الدوجماتيقي، والحس المشترك اللا نقدي. وهذه هى المسألة التى يريد كانط أن

(١) إشارتى هنا إلى فلسفة العصور الوسطى يجب ألا تفهم على أنها تتضمن افتراض أن كانط كان يضع فلاسفة العصور الوسطى فى اعتباره. فكما أعرف ليس هناك دليل على أنه عرف ما يكفى عنهم حتى إذا كان ذلك ممكناً. لكن الإشارات هى، كما أعتقد، ذات اهتمامات عامة (المؤلف).

(٢) بالنسبة لموقف القديس توما الإكويني، انظر المجلد الثانى من "تاريخ الفلسفة" ص ٣٦٦ - ١٦٧ (المؤلف).

(3) See Vol. II of this History, pp. 262-4.

(٤) لا ينبج من هذا بالتأكيد أنه يجب علينا أن نتبع كانط فى القول إنهما صحيحان. وربما نرغب فى القول إنهما ليسا صحيحين، أو إنه بينما يكون أحدهما غير صحيح، فإن الآخر صحيح. ويمكن للقارئ أن يرجع إلى كتاب: سميث، نورمان. كيب "نقد العقل الخالص لكانط" ص ٤٨٣ - ٥٠٦ من أجل مناقشة براهين كانط على الموضوعات ونقيضها (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ويمثل الموضوع، كما هي الحال بالنسبة للنقيضة الأولى، موقف المذهب العقلي الدوجماتيقي. فكل الجواهر المركبة تتكون من جواهر بسيطة مثل موندات ليبنتس. ويمثل نقيض الموضوع هجوم التجريبيين على المذهب العقلي الدوجماتيقي كما هي الحال أيضاً في النقيضة الأولى. بيد أن الموضوع يعالج "النومين" كما لو كان "فنومين"؛ أعني أنه يعالجه كما لو كان موضوعات معطاة في التجربة، ويعالج نقيض الموضوع "الفنومين" أعني الأجسام الممتدة كما لو كان "نومين". والسبيل الوحيد لحل النقيضة هو قبول موقف الفلسفة النقدية، وإدراك أن ما يصدق على "الفنومين" لا يمكن أن يصدق على "النومين"؛ لأنه ليس لدينا معرفة موضوعية بـ "النومين"^(١).

(ج) ترتبط النقيضة الثالثة بالعلية الحرة. موضوعها يقول "العلية المطابقة لقوانين الطبيعة ليست الوحيدة التي يمكن أن تستمد منها كل ظواهر العالم. ولا بد من التسليم بعلية أخرى من أجل تفسيرها، هي الحرية. ويقول نقيض الموضوع: لا حرية، وكل ما يحدث في العالم يحدث وفقاً لقوانين الطبيعة"^(٢).

والبرهان على الموضوع كالاتي: دعنا نفترض أنه لا وجود إلا لنوع واحد من العلية، هو العلية وفقاً لقوانين الطبيعة. في هذه الحالة يتحدد حدث معين عن طريق حدث سابق، وهكذا إلى ما لا نهاية. ولا يمكن أن يكون هناك بالتالي بداية أولى، ولا يمكن أن تكتمل بالتالي سلسلة العلل. بيد أن قوانين الطبيعة تقول إنه لا شيء يحدث بدون علة محددة قبلاً بصورة كافية، ولا يتحقق هذا القانون إذا كانت علية كل علة هي نفسها معلولاً لعلّة سابقة. وبالتالي لا بد أن تكون هناك علية تلقائية مطلقة تولد سلسلة من ظواهر تسير وفقاً لعلل طبيعية.

(١) يمكن التذليل على أنه ليس هناك في واقع الأمر نقيضة على أساس أنه لا بد أن نفسر الموضوع بأنه يشير إلى موندات ليبنتس، بينما يشير نقيض الموضوع إلى الأجسام في المكان (المؤلف).

(1) B., 472-3.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

للسلسلة الكلية لصنوف التتابع العلى الظاهرى، بينما يؤكد نقيض الموضوع أنه يمكن البرهنة على أنه لا وجود لمثل هذه العلة، فلن تكون لدينا نقيضة. وإذا أكد الموضوع أنه يمكن البرهنة على أن هناك علية حرة داخل العالم، بينما قرر نقيض الموضوع أنه يمكن البرهنة على أنه لا وجود لعلية حرة داخل العالم، فإنه تكون لدينا نقيضة. لكن إذا قرر الموضوع أنه يمكن البرهنة على أن هناك علة حرة للسلسلة الكلية لصنوف التتابع العلى الظاهرى، فإن هذه العلة الحرة تكون خارج السلسلة، بينما إذا قرر نقيض الموضوع أنه لا وجود لعلية حرة داخل سلسلة الظواهر، فلن يكون هناك وجود لنقيضة على الإطلاق إذا تحدثنا بدقة.

وليس هدفى هنا أن أنكر أن النقيضة الثالثة تتدرج إلى حد كبير فى النموذج العام لنقائض كانت. إن البرهان على الموضوع، إذا فهمنا الموضوع على أنه يشير إلى علة أولى للسلسلة الكلية لصنوف التتابع العلى الظاهرى، لا يكون صحيحاً إلا على افتراض أننا نستطيع أن نكمل السلسلة، واستخدامنا الفكرة الترنسندنالية عن العالم من حيث إنها كل (مجموع) لنمد معرفتنا النظرية. ومن ثم فإن الموضوع يمثل موقف المذهب العقلى الدوجماطيقى. ويمثل نقيض الموضوع، سواء أخذناه على أنه يقرر أنه ليس هناك برهان على وجود علة أولى للسلسلة كلها ممكناً، أو على أنه يقرر أنه لا يمكن أن تكون هناك علل حرة داخل السلسلة، نقول إنه يمثل موقف التجريبيين. لكن إذا كان لا يمكن حل النقيضة إلا بقبول موقف الفلسفة النقدية، فإن وجهة النظر الأخيرة لا تدخل فى البرهان إما على الموضوع أو نقيض الموضوع. ومع ذلك فإنه على الأقل يمكن البرهنة على أن ذلك هو ما يقوم به كانت بدقة فى البرهنة على نقيض الموضوع؛ لأنه يؤكد أن التسليم بعلية حرة تحطم إمكان وحدة التجربة. وعلى الرغم من أنه قد لا يكون ضرورياً أن نفهم هذا التقرير عن طريق وجهة نظره الخاصة، فإنه من الصعب أن نتجنب انطباعاً هو كيف يمكن أن نفهم هذا التقرير بالفعل.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

على أنه لا يمكن تصور هذا الموجود الضروري على أنه يجاوز عالم الحس، ولا بد أن يتحد بالتالى مع السلسلة الكونية كلها، أو جزءاً منها.

وتتم البرهنة على نقيض الموضوع ببيان أنه لا يمكن أن يكون هناك موجود ضرورى بصورة مطلقة، لا فى العالم ولا خارجه. لا يمكن أن يكون هناك عضو أول لسلسلة التغيرات، التى تكون ضرورية، وليس لها سبب؛ لأن كل الظواهر محددة فى الزمان. ولا يمكن أن تكون السلسلة الكونية كلها ضرورية إذا لم يكن عضو واحد ضرورياً. ومن ثم لا يمكن أن يكون هناك موجود ضرورى فى العالم، إما بوصفه يتحد مع العالم أو جزءاً منه. لكن لا يمكن أن يكون هناك موجود ضرورى يوجد خارج العالم، بوصفه علته؛ لأنه إذا كان علة للتغيرات الكونية، فإنه لا بد أن يفعل، وإذا فعل، فإنه يكون فى الزمان، وإذا كان فى الزمان، فإنه يكون داخل العالم، لا خارجه.

وثمة تداخل ملحوظ بصورة واضحة بين النقيضة الثالثة والرابعة؛ لأنه على الرغم من أن كانط يدخل مصطلحاً جديداً فى النقيضة الرابعة وهو "الموجود الضرورى بصورة مطلقة"، فإنه يستخدم نفس الخط من الحجة للبرهنة على الموضوع الذى استخدمه من قبل فى النقيضة الثالثة للبرهنة على أنه لا بد أن تكون هناك علة تلقائية خالصة لسلسلة الظواهر. لا بد أن يكون هناك بالتالى شئ يجب أن يقال لصالح وجهة النظر التى تقول إن كانط قدّم النقيضة الرابعة حتى يكمل العدد أربعة؛ إذ يفترض أن كل نقيضة تناظر نوعاً من أنواع المقولات الأربع. صحيح أن مقولتى الضرورة والإمكان تنتميان إلى النوع الرابع من المقولات، وأعنى مقولة الجهة، بينما تنتمى العلّة إلى النوع الثالث؛ وهى مقولة العلاقة. بيد أن كانط يستخدم حجة علّة بدقة عندما يبرهن على موضوع النقيضة الرابعة.

إنها لواقعة تسترعى الانتباه، تمثيلاً مع كانط فى ملاحظاته على نقيض موضوع النقيضة الرابعة، أن نفس الأسس التى تخدم فى البرهنة على الموضوع

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

فى الفلسفة النقدية، كما يؤكد كانط، مغالطات الميتافيزيقيا والمذهب المادى الدوجماتيقى، وآلية المذهب التجريبي المحض. إننا نتجاوز التناقض بأن نجعل المعرفة محددة بمجالها الملائم، بينما نفسح فى الوقت ذاته مجالاً لإيمان عملى يقوم على تجربة أخلاقية. فلا يمكن أن نسلّم بالحرية الإنسانية مثلاً داخل مجال الظواهر، بيد أنها قد تكون واقعا، وتتحول إلى أن تكون مُسلّمة ضرورية للوعى الأخلاقى فيما بعد.

هـ - يسمى كانط فكرة العقل الخالص الثالثة الترנסدنتالية المثل الأعلى الترנסدنتالى. وهى فى الأصل، إن جاز هذا التعبير، فكرة المجموع الكلى لجميع المحمولات الجزئية (الصفات) الممكنة، بما فى ذلك المعطيات القبلية لجميع الإمكانيات الممكنة؛ أعنى أن العقل، الذى يسير نحو سلسلة الاستدلالات الشرطية المنفصلة، يجد الشرط اللا مشروط لكل المحمولات الجزئية، يستبعد كل منها محمولات متناقضة أو متعارضة، فى فكرة مجمل كل المحمولات. وهذه هى فكرة مجمل المجموع الكلى لكل الكمالات الممكنة. لكن من حيث إننا نتصور هذا المجموع الكلى بأنه شرط اللامشروط لكل الكمالات الجزئية، فإننا نتصوره بأنه الصورة الأصل لكل الكمالات الجزئية، نتصوره بأنه ذلك الذى تستمد منه هذه الكمالات، وتقترب منه، ولا نتصوره بوصفه مجرد مفهوم مجرد يندرج تحته كل الكمالات الجزئية التجريبية إن جاز هذا التعبير. ومن ثم فإننا نتصوره بأنه موجود واقعى، يتصور بأنه الواقع الأسمى بالفعل. كما أن فكرة الموجود الأكثر كمالاً هى فكرة الموجود الأكثر واقعية. ولا يمكن أن نتصور هذا الموجود بأنه إدراج، أو وضع كمالات تجريبية محدودة وخاصة تحته إن جاز هذا التعبير. إننا لا بد أن نتصوره بأنه وحدة الكمالات اللا محدودة والخالصة فى موجود واحد بسيط. وفضلاً عن ذلك فإننا نتصور شرط اللا مشروط لكل

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

حيث إنه يجسد الغائية من الناحية الظاهرية، ومنتقل إلى الله من حيث إنه علّة هذه الغائية. ثم لدينا الدليل "الفيزيقي اللاهوتي". أو أن العقل يستطيع أن يبدأ من الوجود التجريبي وينتقل إلى الله من حيث إنه العلّة القصوى لهذا الوجود. ثم يكون لدينا الدليل "الكسملوجي". أو أن العقل قد ينتقل من فكرة الله إلى الوجود الإلهي. ثم يكون لدينا الدليل "الأنطولوجي".

وعندما يعالج كانط هذه الخطوط الثلاثة من البرهان، فإنه يبدأ بالخط الثالث؛ لأن حركة العقل نحو الله في الميتافيزيقا يوجهها مثال العقل الخالص الترنسندنتالي باستمرار، الذى هو هدف نضاله. ومن ثم فإنه ليس من المناسب سوى أن تبدأ بالدليل القبلّي من فكرة الله إلى الوجود الإلهي. فضلاً عن ذلك فإنه اقتناع كانط أنه لكي نصل إلى الله بالخططين الآخرين من الدليل، فإن العقل يضطر في النهاية إلى استخدام الدليل الأنطولوجي. ومن ثم فإن الدليل الأنطولوجي هو الدليل الأساسى، والدليل الوحيد الذى يجب أن نعالجه أولاً.

(هـ) يمكن صياغة الصورة العامة للدليل الأنطولوجي التى يضعها كانط فى اعتباره على النحو التالى^(١): الوجود متضمن فى مفهوم موجود أكثر كمالاً؛ لأنه إذا لم يكن كذلك، فإن المفهوم لن يكون مفهوم موجود أكثر كمالاً. وبالتالي إذا كان هذا الموجود ممكناً، فإنه يوجد بالضرورة؛ لأن الوجود متضمن فى التكملة الكاملة لإمكانه. بيد أن مفهوم الموجود الأكثر كمالاً هو موجود ممكن. ومن ثم فإن هذا الموجود يوجد بالضرورة.

أو يمكن التعبير عن الدليل بهذه الطريقة. فكرة الموجود الأكثر واقعية هى فكرة موجود ضرورى بصورة مطلقة. وإذا كان هذا الموجود ممكناً، فإنه يوجد؛

(١) بالنسبة للدليل الأنطولوجي الذى قدمه القديس أنسلم، انظر المجلد الثانى من "تاريخ الفلسفة" ص ١٦١ -

١٦٤. وبالنسبة للتعديلات التى أدخلها ديكارت وليبنس، انظر المجلد الرابع ص ١١٠ - ١١٥، وص

٣٢٠ - ٣٢٣ (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ومن ثم فكانت زعم أن كل قضية وجودية هي قضية تركيبية، وليست قضية تحليلية. وهكذا فإنه يمكن إنكار أى قضية وجودية دون الوقوع فى تناقض. وقد يرد أنصار الدليل الأنطولوجى بأن كانت لم يفهم لب الدليل. ففى جميع الحالات تكون القضايا الوجودية تركيبية، لكن حالة الوجود الأكثر كمالاً هي حالة فريدة؛ لأنه فى هذه الحالة، وفيها فقط، يكون الوجود متضمناً فى فكرة الموضوع. ولذلك فإنه يمكن أن يخرج منها، إن جاز هذا التعبير، بالتحليل. وقد يقول كانت إن هذا لا يكون ممكناً إلا لأننا وضعناه فيها من قبل، ومن ثم فإننا نصادر على المطلوب، بيد أن المسألة هي أن الوجود محمول ينتمى إلى هذا الموضوع بالضرورة.

ومع ذلك فإن الوجود عند كانت ليس محمولا على الإطلاق؛ لأنه لو كان كذلك، فإنه سينجم عن ذلك أنه عندماؤكد وجود أى شيء، فإننى أضيفه إلى فكرة هذا الشيء. وفى هذه الحالة لاؤكد بدقة نفس الشيء المتمثل فى فكرنى. حقيقة الأمر هي أنه عندما أقول إن شيئاً يوجد فإننىؤكد، ببساطة، أو أفترض الموضوع بكل محمولاته. ومن ثم إذا أنكرت وجود الله، فإننى لا أنكر محمولاً من محمولات الموضوع؛ إننى ببساطة أبيد الموضوع كله فى الفكر، بكل محمولاته، ولا ينشأ أى تناقض منطقى.

ويمكننا أن نستنتج بالتالى أنه "بهذا الدليل الأنطولوجى، أو الديكارتى الشهير جداً، الذى يزعم البرهنة على موجود أسمى من مفاهيم لا نفعل إذن سوى أن نضيع كل جهدنا وعملنا. وليس بوسع أى إنسان أن يصبح أكثر غنى فى المعرفة عن طريق أفكار محض، مثلاً ليس بوسع تاجر أن يصبح أكثر غنى بإضافة بعض الأصفار إلى دفتر حسابه، ليزيد ثروته"⁽¹⁾.

(و) وتعتمد صياغة كانت للدليل الكونى على وجود الله على لينتس. "إذا وجد شيء، فإن موجوداً ضرورياً بصورة مطلقة لا بد أن يوجد أيضاً،

(1) B., 630.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ويبدو أن فلاسفة كثيرين ممتازين ومؤرخين كثيرين ممتازين للفلسفة افترضوا من غير مزيد من الضجة أن محاولة كانط لبيان أن الدليل الكوني يرتد بالضرورة إلى الدليل الأنطولوجي ناجحة. أما بالنسبة لى فيبدو أنها محاولة غير مقنعة. أو أنها، بالأحرى، ليست مقنعة إلا بناء على افتراض واحد هو أن الدليل الذى يقوم على التجربة لا يودى بنا إلى تأكيد وجود موجود ضرورى، وإنما إلى فكرة الموجود الضرورى الغامضة؛ لأننا فى هذه الحالة لا بد أن نبحث عن مفهوم محدد يتضمن الوجود فى مضمونه، كما يرى كانط، حتى إنه يمكن استنباط الوجود من فكرة موجود ضرورى المحددة. ومن ثم فإننا نرتد إلى الدليل الأنطولوجي. ومع ذلك إذا أدى بنا الدليل الذى يقوم على التجربة إلى تأكيد وجود موجود ضرورى، فإن المحاولة لتحديد صفات هذا الموجود القبلية الضرورية لا ترتبط بالدليل الأنطولوجي، الذى يهتم أساساً باستنباط الوجود من فكرة موجود من حيث إنه ممكن، ولا يهتم باستنباط صفات من فكرة موجود تأكد وجوده من قبل بناء على أسس أخرى غير الإمكان. وقد يقال إنه بدقة افتراض كانط أن الدليل الذى يقوم على التجربة لا يودى بنا إلا إلى الفكرة الغامضة عن موجود ضرورى. بيد أن ذلك سبب لا يكفى لأن نقول إن الدليل الكوني يرتد بالضرورة إلى الدليل الأنطولوجي. والسؤال عما إذا كان الدليل يقوم على التجربة صحيحاً أو غير صحيح لا يتصل بالمسألة الدقيقة التى نناقشها هنا؛ لأنه إذا اقتنع شخص ما، حتى بصورة ليس لها ما يبررها، أنه برهن من قبل على وجود موجود ضرورى بناء على أسس غير الإمكان القبلية لهذا الموجود، فإن محاولته التالية لتحديد صفات هذا الموجود ليست هى نفس الإجراء الذى قبله فى الدليل الأنطولوجي.

(ز) يفتتح كانط مناقشته للدليل الفيزيائى - اللاهوتى بإعادة وجهات نظر عامة تستبعد منذ البداية أى برهان بَعْدَى على وجود الله. فعلى سبيل المثال "إن كل القوانين التى تخص الانتقال من المعلومات إلى العلل، وكل امتداد تأليفى لمعرفتنا، لا ترتبط إلا بالتجربة الممكنة، وترتبط

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

والمساعدة من الدليل الكونى. وهذا الدليل يترد، كما يرى كانط، إلى الدليل الأنطولوجى. وبالتالي فإنه حتى الدليل الفيزيائى - اللاهوتى يعتمد، بصورة غير مباشرة، على الدليل القبلى، أو الأنطولوجى. وبمعنى آخر، لا يمكن البرهنة على وجود الله، بغض النظر عن أى اعتبارات أخرى، بدون استخدام الدليل الأنطولوجى، وهذه مغالطة. ومن ثم فإن كل البراهين تحتوى على مغالطة بوجه عام، كما أن لكل دليل منها مغالطاته الخاصة.

إن اللاهوت الطبيعى، أو "اللاهوت الترנסدنتالى"، كما يسميه كانط أحياناً، ليس له قيمة عندما ننظر إليه من وجهة نظر واحدة، أعنى من حيث إنه محاولة للبرهنة على وجود الله بأفكار ترנסدنتالية، أو بمبادئ نظرية لا تنطبق خارج مجال التجربة. بيد أن القول ببساطة إن كانط يرفض اللاهوت الطبيعى هو ميل لإعطاء انطباع مضلل لموقفه. وهذا قول صحيح بالفعل؛ لأنه يصف اللاهوت الطبيعى بأنه يستدل على "صفات خالق العالم ووجوده من بناء العالم، والنظام، والوحدة اللذين نشاهدهما فيه"⁽¹⁾. ومحاولة القيام بذلك هى "أمر ليس له جدوى على الإطلاق"⁽²⁾. كما أن القول السلبي الخالص إن كانط يرفض اللاهوت الطبيعى قد يعطى انطباعاً مضللاً هو أنه يرفض اللاهوت الفلسفى تماماً. لقد سلّم كانط، فى واقع الأمر، بما يسميه أحياناً "اللاهوت الأخلاقى"⁽³⁾. وسنبين لاحقاً أن قوانين الأخلاق لا تقتضى وجود موجود أسمى فحسب، وإنما تسلّم به بالفعل (من وجهة النظر العملية فقط) لأن هذه القوانين هى نفسها ضرورية بصورة مطلقة من منظور آخر⁽⁴⁾. وعندما نصل إلى الإيمان العملى (الأخلاق) بالله، فإننا نستطيع أن

(1) B., 660.

(2) B., 664.

(3) لا يشير المصطلح بالتأكيد إلى اللاهوت الأخلاقى بمعنى دراسة التطبيق العملى للمبادئ الأخلاقية المسيحية. وإنما يشير إلى لاهوت فلسفى يقوم على مسمّات القانون الأخلاقى (المؤلف).

(4) B., 662.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

٦ - لقد لاحظنا من قبل أنه ليس لأفكار العقل الخالص الترنسندننتالية استخدام "مُكوّن"؛ أعنى أنها لا تقدم لنا معرفة بموضوعات مناظرة. إن مقولات الفهم التى لها رسوم تخطيطية (إسكيما)، والتى تنطبق على العيان الحسى، "تكوّن" موضوعات وتمكننا بالتالى من معرفتها، لكن أفكار العقل الخالص الترنسندننتالية لا يمكن أن تنطبق على معطيات العيان الحسى. وليست هناك موضوعات مناظرة يقدمها عيان عقلى خالص؛ لأننا لا نتمتع بقوة العيان العقلى هذه. ولذلك فإنه ليس هناك استخدام مُكوّن للأفكار الترنسندننتالية، ولا تزيد معرفتنا. وإذا استخدمناها لتجاوز مجال التجربة، ولتأكيد وجود حقائق فعلية لا تعطى فى التجربة، فإننا نقع لا محالة فى تلك المغالطات التى يهدف "الديالكتيك الترنسندننتالى" إلى بيانها.

والعقل فى الوقت ذاته لديه، كما بخبرنا كائط، ميل طبيعى لأن يتخطى حدود التجربة، بل ويتحدث عن الأفكار الترنسندننتالية من حيث إنها مصادر "وهم لا يقاوم"^(١). وهو لا يعنى بالتأكيد أنه من المستحيل تصحيح هذه الأوهام. لكن الدافع الذى يولدها هو دافع طبيعى، ويتبع التصحيح الخضوع لها. وإذا تحدثنا من الناحية التاريخية، فإن الميتافيزيقا النظرية تسبق الديالكتيك. وعلى الرغم من أن الديالكتيك يمكننا من حيث المبدأ من أن نتجنب أوهاماً ميتافيزيقية، فإنه لا يستطيع أن يحطم دافع توليدها والخضوع لها. وسبب ذلك هو أن "الأفكار الترنسندننتالية طبيعية (للعقل) مثلما تكون المقولات طبيعية للفهم"^(٢).

وبالتالى إذا كانت الأفكار الترنسندننتالية طبيعية للعقل، فإن ذلك يفترض أن لها استخداماً ملائماً. "ومن ثم فإن للأفكار الترنسندننتالية، على الأرجح، استخدامها الملائم، وبالتالي استخدامها المحايد"^(٣)؛ أعنى أن لها استخدامها بالنسبة للتجربة، على الرغم من أن هذا الاستخدام لا يكمن فى مساعدتنا أن نعرف موضوعات

(1) B., 670; cf. A., 297-8.

(2) B., 670.

(3) B., 671.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندراسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إذا كان الدليل التجريبي يجيز ذلك. إن الفكرة الكونية لا تخبرنا بما نجده أو بما لا نجده بالبحث العلمي. إنها دافع، مبدأ مشجع، يجعلنا غير قانعين بإدراكات راهنة، وتحثنا على توحيد علمي أبعد لظواهر طبيعية وفقاً لقوانين عليّة.

وأخيراً نقودنا فكرة الله الترندنتالية من حيث إنه عقل أسمى وعلة الكون إلى التفكير في الطبيعة بوصفها وحدة غائية منظمّة. ويساعد هذا الفرض العقل في بحثه للطبيعة. ولا يعنى كانط، بالطبع، أن بحث العين مثلاً يصل بنا إلى القول بأن الله أعطى العيون لمخلوقات معينة لغرض معين. إن تأكيد ذلك على أية حال يتضمن تأكيد شيء لا نعرفه ولا يمكن أن نعرفه. غير أننا لو تصورنا الطبيعة كما لو كانت عمل خالق عاقل، فإننا نحث، في رأى كانط، على أن نواصل البحث العلمي بإدراجه تحت قوانين عليّة. وربما نقسر قصد كانط بهذه الطريقة. تتضمن فكرة الطبيعة من حيث إنها عمل خالق عاقل فكرة الطبيعة من حيث إنها نسق عاقل. وهذا الفرض هو مهمّاز البحث العلمي. وبهذه الطريقة يمكن أن يكون لفكرة الموجود الأسمى الترندنتالية استخدام منظم ومحيّث.

وبالتالى فإن الأفكار الترندنتالية تكون الأساس لفلسفة "كان"، إذا استعزنا عنوان عمل "فاينجر" الشهير^(١). إنه من المفيد عملياً في علم النفس أن نفعل كما لو كانت الظواهر النفسية ترتبط بذات دائمة. ومن المفيد علمياً بوجه عام أن نفعل كما لو كان العالم كلاً يمتد في سلسلة عليّة بلا حدود، وكما لو كانت الطبيعة عمل خالق عاقل. ولا تبين هذه الفائدة أن الأفكار صحيحة بمعنى أن هناك موضوعات تناظرها. ولا يقول كانط إن صدق القول بأن هناك إلهاً يكمن في استخدام "محيّث" لفكرة الله. إنه لا يقدم تفسيراً برجماتياً للصدق. ومن اليسير في الوقت نفسه أن نرى كيف استطاع البرجماتيون أن ينظروا إلى كانط على أنه رائد لفلسفتهم.

(١) فاينجر، هانز (١٨٥٢ - ١٩٣٣) فيلسوف ألماني، أكد الوجهة البيولوجية للوظائف العقلية، اشتهر بكتابه "فلسفة كان" (١٩١١) (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندراسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

"الموضوعات"، ببساطة، حقائق واقعية، بما في ذلك حقائق غير معروفة ولا يمكن معرفتها بالفعل، فإنه لا يكون لدينا الحق لأن نقول إنه لا توجد "موضوعات" تتناظر فكرتي الأنا الدائمة والبسيطة، والله⁽¹⁾. غير أنه يجب استخدام كلمة "موضوع" كمصطلح متضاد لمعرفتنا. إن تلك الأشياء التي تكون موضوعات ممكنة هي التي يمكن أن تُعطى لنا في التجربة. لكن الحقائق، إن كانت هناك أي حقائق، التي تتناظر أفكارًا لا يمكن أن تُعطى في التجربة في غياب أي ملكة من ملكات العيان العقلي. ومن الصواب تمامًا بالتالي أن نقول إنه ليست هناك موضوعات تتناظر الأفكار. وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون هناك أي علم عنها بصورة واضحة.

وبالتالي على الرغم من عدم وجود موضوعات تتناظر الأفكار الترنسندنتالية إذا تحدثنا بدقة، فإننا نستطيع أن نفكر في حقائق تشير إليها فكرتنا للنفس والله. وحتى إذا لم نسقط الأفكار، إن جاز هذا التعبير، على حقائق مناظرة، فإنه يكون لها مضمون. ومن ثم فإن الميتافيزيقا ليست بدون معنى. إننا لا نستطيع أن نعرف عن طريق العقل النظري أن هناك نفسًا دائمة وبسيطة، أو أن هناك إلهًا، بيد أن فكرتي النفس والله تخلقوان من التناقض المنطقي. إنهما ليستا مصطلحين بدون معنى. إن المعرفة الميتافيزيقية المزعومة معرفة زائفة، إنها وهم، وليست معرفة على الإطلاق، وجميع المحاولات التي تبين أنها معرفة هي محاولات تحتوي على مغالطة، لكن القضايا الميتافيزيقية لا تخلق من المعنى؛ لأنها، ببساطة، قضايا ميتافيزيقية.

ويبدو لي أن هذا هو موقف كانط النموذجي إذا جاز هذا التعبير، وهو موقف يميزه عن الوضعيين المحدثين الذين أعلنوا أن الميتافيزيقا ليس لها معنى.

(1) يعتقد كانط بالتأكيد أن هناك حقائق نوميائية نسميها النفس والله، على الرغم من أنه يقول إنه لا يعرف، ولا يمكن أن يعرف، أن هذه هي الحقيقة الواقعية. فالبراهين التي تبين أن هناك إلهًا ونفسًا تحتوي على مغالطة، غير أن الفكرتين، بذاتهما، لا تولدان نقاوض. والفكرة الكونية لا تولد نقاوض. وهي إلى هذا الحد تكون فريدة من نوعها (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

طبقنا المقولات على الله، فإنها لا تمكننا من تقديم معرفة عن الله فحسب، وإنما تكون ذات مضمون غير محدد وغامض حتى إنها تكون، ببساطة، رموزاً لما لا يمكن معرفته. إننا نستطيع أن نفكر في الله بالفعل، بيد أننا نفكر فيه ببساطة عن طريق رموز. إننا نقدم تصوراً رمزياً لما لا يمكن معرفته. إن التفكير في الله عن طريق المقولات التي لها رسوم تخطيطية يساوى وضعه في العالم المحسوس. ومن ثم نحاول أن نستبعد عملية الرسم التخطيطي، ونطبق مصطلح الجوهر، مثلاً، بمعنى تمثيلي. غير أن محاولة استبعاد إشارة المفهوم إلى عالم الحس يتركنا مع رمز يخلو من مضمون محدد. ومن ثم فإن فكرتنا عن الله لا تكون سوى فكرة رمزية.

وبقدر اهتمامنا بالاستخدام المنظم والمحايث للمثال الترنسندنتالي، فإن غموض فكرتنا لا them كانه؛ لأننا عند الاستخدام المنظم لفكرة الله، لا نؤكد أن موجوداً مناظرًا لهذه الفكرة يوجد. وما يكون عليه الله نفسه، إذا كان موجوداً، يمكن أن يبقى غير محدد. إننا نستخدم الفكرة من حيث إنها "وجهة نظر" تمكن العقل من أن يقوم بوظيفته الخاصة بالتوحيد. "وباختصار هذا الشيء الترنسندنتالي هو ببساطة الرسم التخطيطي (الإسكيا) لذلك المبدأ المنظم الذي يمد عن طريقه العقل، بقدر المستطاع، الوحدة النسقية إلى كل التجربة"⁽¹⁾.

وفي الختام يمكن أن نضيف القول إن فلسفة الدين عند كوانت تقوم على التأمل في العقل العملي؛ أعني أنها تقوم على العقل في استخدامه الأخلاقي. ويجب علينا أن نلقى الضوء على الطريقة التي يفكر بها في الله بناء على فلسفته الأخلاقية بوجه خاص. لقد اهتم في كتابه "نقد العقل الخالص" بتحديد مجال معرفتنا النظرية، ويجب ألا تؤخذ ملاحظاته على الاستخدام المنظم لفكرة الله على أنها تفسير لمعنى الفكرة بالنسبة للوعي الأخلاقي.

(1) B., 710.

الفصل الرابع عشر

كانط (٥): الأخلاق والدين^(١)

- هدف كانط - الإرادة الحرة - الواجب والميل -
- الواجب والقانون - الأمر المطلق - الوجود العاقل بوصفه
- غاية في ذاته - الاستقلال الذاتي للإرادة - مملكة الغايات -
- الحرية بوصفها شرطاً لإمكان الأمر المطلق - مسلّمات العقل
- العملي؛ الحرية، فكرة الخير الكامل عند كانط، خلود
- النفس، الله، نظرية المسلمات العامة - الدين عند كانط -
- ملاحظات ختامية.

١ - لقد رأينا أن كانط يسلم بمعرفتنا العادية بالموضوعات وبمعرفتنا العلمية. ويعنى العلم الفيزيائي عنده فيزياء نيوتن - ويتضح أنه لم ينظر إلى أن مهمة الفيلسوف تكمن في أن يحل محل الفيزياء الكلاسيكية مذهباً آخر، أو أن يخبرنا بأن معرفتنا العادية كلها بالأشياء ليست

(١) في الإشارات في هذا الفصل تعني G تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، وتعني Pr. R "نقد العقل العملي"، وتعني Rel. "الدين في حدود العقل وحده". وهذه الأعمال الثلاثة متضمنة في المجلد الرابع والخامس والسادس من الطبعة النقدية. وتشير الأعداد الموجودة بعد العناوين المختصرة إلى أقسام، أو صفحات (إذا كانت مسبوقة بالصفحة) في هذه الطبعة. وفي حالة كتاب تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق وكتاب "نقد العقل العملي" ستمضي الإشارات المناظرة (بالصفحة) للترجمات المتضمنة في كتاب T.K. Abbot. وفي حالة كتاب "نقد العقل العملي" ستمضي الإشارات المناظرة لترجمة T.M. Abb. وفي حالة كتاب "نقد العقل العملي" ستمضي الإشارات المناظرة لترجمة T.M. Green & H.H. Hudson، مختصرة هكذا: G.H. (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

تؤسس المبادئ التأليفية القبلية لمعرفتنا النظرية أصلها في بنية الفهم. لقد أراد أن يربطها بالعقل الخالص (وكلمة "العقل" تُستخدم هنا بمعناها الواسع). ومن ثم فإنه أراد أن يكتشف في العقل العملي أصل المبادئ الأساسية التي تحكم كلنا بمقتضاها عندما نحكم من الناحية الأخلاقية.

ولا يعنى كانط أنه يشير بالتأكيد إلى أننا جميعاً نعي مبادئ الأخلاق القبلية بوضوح. فإذا كنا نعيها جميعاً، فإن مهمة عزلها ستكون أمراً ليس ضرورياً. إن معرفتنا الأخلاقية، من حيث هي كذلك، إذا أخذناها بوصفها كلاً تتضمن صنوفاً من العناصر، ومن المهام الأساسية لفيلسوف الأخلاق أن يكشف عن العناصر القبلية، ويخلصها من كل عناصر مستمدة من التجربة، ويبين أصلها في العقل العملي، مع أن هذه ليست هي مهمته الوحيدة الممكنة.

فما العقل العملي؟ إنه العقل^(١) في استخدامه (العملي) أو في وظيفته (العملية). وبمعنى آخر ليس هناك في مآل الأمر سوى عقل واحد ونفس العقل الذي يجب تمييزه ببساطة في تطبيقه^(٢). وعلى الرغم من أن العقل واحد في مآل الأمر، فإنه يمكن أن يهتم بموضوعاته بطريقتين. فهو يستطيع أن يحدد الموضوع، ويُعطى الموضوع أساساً من مصدر آخر غير العقل نفسه. أو أنه يمكن أن يجعل الموضوع حقيقياً. "الأول هو معرفة نظرية عقلية، والثاني هو معرفة عملية عقلية"^(٣). يقوم العقل في وظيفته النظرية بتحديد الموضوع المعطى في العيان، بالمعنى الذي شرحناه في الفصل الأخير. إنه يطبق نفسه، إذا جاز هذا التعبير، على معطى يُقدّمه مصدر آخر غير العقل نفسه. ومع ذلك فإن العقل في استخدامه العملي هو مصدر موضوعاته؛ فهو يهتم باختيار أخلاقي، ولا يهتم بتطبيق مقولات

(١) يجب أن نفهم كلمة «عقل» هنا بالمعنى الواسع الذي يشير إليه عنواننا "تقد العقل الخالص" و"تقد العقل العملي"، ولا نفهم بالمعنى الضيق التي تعنى قوة الاستدلال المباشر (المؤلف).

G, p. 391; Abb., p. 7. (٢)

Critique of Pure Reason, B., X. (٣)

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الْقَبْلَى فِي الْحُكْمِ الْأَخْلَاقِي فِي الْعَقْلِ الْعَمَلِي؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ يَتَضَمَّنُ أَنَّ هُنَاكَ عِنَصْرًا بَعْدِيًّا، يُعْطَى تَجْرِبِيًّا. وَيَتَضَحُّ هَذَا تَمَامًا بِالتَّأَكُّدِ فِي حَالَةِ حُكْمِ أَخْلَاقِي وَاحِدٍ مِثْلِ الْحُكْمِ الَّذِي يَقُولُ إِنِّي مُلْزَمٌ هُنَا وَالْآنَ أَخْلَاقِيًّا أَنْ أَرُدَّ عَلَى خُطَابِ مُعَيَّنٍ مِنْ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ. إِنَّمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُمِيزَ بَيْنَ مَفْهُومِ الْإِلْزَامِ الْأَخْلَاقِي مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَذَلِكَ وَشُرُوطِ هَذَا الْوَاجِبِ الْجَزْئِيِّ (الْمُعَيَّنِ) الْمَعْطَاةَ تَجْرِبِيًّا. وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ كَانِطٌ عَنِ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ، أَوْ الْإِرَادَةِ الْعَاقِلَةِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُصَدِّرُ الْقَانُونِ الْأَخْلَاقِيِّ، فَإِنَّهُ يَتَصَوَّرُ الْعَقْلَ الْعَمَلِيَّ مِنْ حَيْثُ هُوَ كَذَلِكَ، لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ الْعَقْلَ الْعَمَلِيَّ كَمَا يَوْجِدُ فِي فَنَةِ مُعَيَّنَةٍ وَمُحَدَّدَةٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ؛ أَعْنَى فِي الْمَوْجُودَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ. حَقًّا، إِنْ كَانِطٌ لَا يَرِيدُ أَنْ يُوَكِّدَ أَنَّ هُنَاكَ مَوْجُودَاتٍ عَاقِلَةً مُتَنَاهِيَةً غَيْرَ النَّاسِ، بَيِّدَ أَنَّهُ يَهْتَمُّ بِالْأَمْرِ الْأَخْلَاقِيِّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُوَجِّهُ كُلَّ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْضَعُ لِلْإِلْزَامِ، سِوَاءِ أَكَانَتْ أَنْسَاءً أَمْ لَا. وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّهُ يَهْتَمُّ بِالْأَمْرِ الْأَخْلَاقِيِّ مَنْظُورًا إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ يَسْبِقُ النَّظَرَ إِلَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَشُرُوطِهَا التَّجْرِبِيَّةِ. وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمَجْرَدَةِ لِلْغَايَةِ، فَإِنَّهُ يَنْجُمُ عَنْ هَذَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ اسْتِنْبَاطُ الْقَوَائِنِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَكُونُ لَهَا مَعْنَى إِلَّا بِنَاءً عَلَى افْتِرَاضٍ هُوَ أَنَّ هُنَاكَ مَوْجُودَاتٍ إِنْسَانِيَّةٍ، مِنْ مَفْهُومِ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ. فَمَنْ الْخَلْفُ وَالِاسْتِحَالَةُ أَنَّ نَتَصَوَّرَ الْوَصِيَّةَ الَّتِي تَقُولُ "يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَلَّا تَرْتَكِبَ الزَّنا" مِثْلًا مُطَبَقَةً عَلَى أَرْوَاحٍ خَالِصَةٍ؛ لِأَنَّهَا تَفْتَرِضُ أَجْسَامًا وَالنِّسْبَةَ الْمَتَّبِعَةَ فِي الزَّوْجِ. إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُمِيزَ بَيْنَ الْأَخْلَاقِ الْخَالِصَةِ، أَوْ مِثَاقِيزِيقَا الْأَخْلَاقِ، الَّتِي تَعَالَجُ مَبْدَأًا، أَوْ مَبَادِئِ، الْأَخْلَاقِ الْأَسْمَى، وَطَّبِيعَةِ الْإِلْزَامِ الْأَخْلَاقِيِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ كَذَلِكَ، وَالْأَخْلَاقِ التَّطْبِيقِيَّةِ، الَّتِي تَطْبِقُ الْمَبْدَأَ الْأَسْمَى أَوْ الْمَبَادِئِ الْأَسْمَى عَلَى حَالَاتِ الطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَنَسْتَعِينُ بِمَا يَسْمِيهِ كَانِطٌ "أَنْثُرُوبُولُوجِيَا" أَوْ مَعْرِفَةَ الطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

إِنَّ الْفِكْرَةَ الْعَامَّةَ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ مِثَاقِيزِيقَا الْأَخْلَاقِ وَالْأَخْلَاقِ التَّطْبِيقِيَّةِ وَاضِحَةٌ عَلَى نَحْوِ مَعْقُولٍ. وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ الْفِيزِيَاءِ، كَمَا رَأَيْنَا، إِلَى فِيزِيَاءٍ خَالِصَةٍ (بَحْثَةٍ)، أَوْ مِثَاقِيزِيقَا الطَّبِيعَةِ، وَفِيزِيَاءٍ تَجْرِبِيَّةٍ. وَعَلَى نَحْوِ مِمَّاثِلٍ يُمْكِنُ تَقْسِيمُ الْأَخْلَاقِ

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الملائم^(١). لكن على الرغم من أن هذه القاعدة قَبَلية بمعنى أنها تصلح باستقلال عن الطريقة التي تسلك بها الموجودات الإنسانية بالفعل، فإنه من المشكوك فيه عما إذا كانت قَبَلية بمعنى أنها لا تعتمد على "الأنثربولوجيا"^(٢) على الإطلاق.

وعلى أية حال فإن المسألة الأساسية التي يريد كانط أن يؤكد أنها هي أنه "لا ينبغي أن نلتزم قاعدة الإلزام في طبيعة الإنسان، ولا في ظروف العالم الذي وضع فيه، بل إنه لا بد أن نبحث عنها بطريقة قَبَلية في تصورات العقل الخالص وحدها"^(٣). إنه يجب علينا أن نفحص عن أخلاق خالصة "عندما تُطبق على الإنسان، لا تستعير أقل نصيب من المعرفة به، بل تعطيه، بوصفه كائنًا عاقلًا، قوانين قَبَلية"^(٤). إننا نهتم بالفعل بإيجاد أساس العنصر القَبَلي في الحكم الأخلاقي في العقل نفسه؛ العنصر الذي يجعل قضايا الأخلاق التأليفية القَبَلية ممكنة. ونحن لا نهتم بالطبع باستنباط كل القوانين الأخلاقية والقواعد الأخلاقية بالتحليل المحض من تصور العقل العملي الخالص. ولا يعتقد كانط أننا يمكن أن نقوم بذلك.

لكن على الرغم من أننا لا نستطيع أن نستنبط كل القوانين والقواعد الأخلاقية من تصور العقل العملي الخالص وحده، فإن القانون الأخلاقي ينبغي أن يؤسس في هذا العقل في نهاية الأمر. ولأن هذا يعني إيجاد المصدر البعيد لمبادئ القانون الأخلاقي في العقل منظورًا إليه في ذاته، دون إشارة إلى الظروف الإنسانية بوجه خاص، فإن كانط يتفق بوضوح مع كل فلاسفة الأخلاق الذين يحاولون أن يجدوا الأساس البعيد للقانون الأخلاقي في الطبيعة البشرية من حيث هي كذلك، أو في أي خاصية من خصائص الطبيعة الإنسانية، أو في أي عوامل في الحياة الإنسانية أو المجتمع. ويشير كانط في كتابه "نقد العقل العملي" إلى

(1) G., Preface, p. 389; Abb., p. 3-4.

(٢) يمكن أن نتصور أن كانط كان يضع في اعتباره صورة الشيطان الذي يخدع الإنسان. كما أن القاعدة تنطبق على « مبتدع الأكاذيب » (المؤلف).

(3) G., Preface, p. 389; Abb., p. 4.

(4) G., Preface, p. 389; Abb., p. 4.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

"مصدر المبادئ العملية التي لا بد أن توجد بطريقة قَبْلِيَّة في عقولنا"⁽¹⁾. يُقال إن كتاب "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق"، "لا يزيد عن كونه محاولة للبحث عن المبدأ الأعلى للأخلاق وتثبيت دعائمه"⁽²⁾، وبشكل، بالتالي، مبحثاً كاملاً في ذاته. كما أنه لا يدعى أن يكون نقداً تاماً للعقل العملي. ولذا فإنه يؤدي إلى "نقد العقل العملي". وتبين هذه الواقعة عناوين التقسيمات الرئيسية لكتاب "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق"؛ لأن الجزء الأول يعالج الانتقال من المعرفة العقلية المشتركة بالأخلاق إلى المعرفة الفلسفية، ويعالج الجزء الثاني الانتقال من الفلسفة الأخلاقية الشعبية إلى ميتافيزيقا الأخلاق، ويعالج الجزء الثالث الخطوة الأخيرة من ميتافيزيقا الأخلاق إلى نقد العقل العملي الخالص.

تذكرنا بنية كتاب "نقد العقل العملي" ببنية كتاب "نقد العقل الخالص". ليس هناك، بالتأكيد، شيء يناظر "الإستطيقا الترنسندنتالية". بيد أن العمل ينقسم إلى "التحليل الترنسندنتالي" (الذي ينتقل من مبادئ إلى تصورات، وليس من تصورات إلى مبادئ كما هي الحال في "نقد العقل الخالص")، و"الجدل الترنسندنتالي"، الذي يعالج أوهام العقل في استخدامه العملي، ولكنه يقدم أيضاً؛ وجهة نظر إيجابية. ويضيف كانط "منهج العقل العملي الخالص"، الذي يعالج منهج جعل العقل عملياً من الناحية الموضوعية عملياً من الناحية الذاتية أيضاً. أعنى أنه ينظر إلى الطريقة التي تستطيع بها قوانين العقل العملي أن تصل إلى العقل الإنساني وتؤثر فيه. بيد أن هذا القسم مختصر، وربما يكون قد أضيف ليقدم شيئاً يناظر "نظرية المنهج الترنسندنتالية" في كتاب "نقد العقل الخالص" أكثر من أي سبب آخر مقنع.

٢ - إن الواقعة التي تقول إن الكلمات الافتتاحية في كتاب "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" قد أقتبست مرات عديدة ليست سبباً لعدم اقتباسها مرة أخرى. تقول هذه الكلمات الافتتاحية "من بين الأمور التي يمكن تصورها فسي

(1) G., Preface, pp. 389-40; Abb., p. 4.

(2) G., Preface, pp. 389-40; Abb., p. 4.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

قِيمَتِهَا الدَّاخِلِيَّة (الذَّاتِيَّة). إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ افْتِرَاضُ أَنَّ الْإِرَادَةَ خَيْرَةٌ فِي ذَاتِهَا؛ لِأَنَّهَا بِبَسَاطَةِ سَبَبِ أَفْعَالٍ خَيْرَةٍ مِثْلًا؛ لِأَنَّنِي قَدْ أَرُغِبُ فَعَلًا خَيْرًا تَمْنَعُنِي الظُّرُوفُ الْفِيزِيَاءِيَّةُ مِنْ تَأْدِيَتِهِ مِثْلًا. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنْ إِرَادَتِي يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ خَيْرَةً. فَمَا الَّذِي يَجْعَلُهَا خَيْرَةً؟ إِذَا تَخَلَّصْنَا مِنْ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ الْمُحْضِ، فَلَا بَدَّ أَنْ نَقْدِمَ مَضْمُونًا لِكَلِمَةِ "خَيْرٍ" عِنْدَمَا نَطْبِقُهَا عَلَى الْإِرَادَةِ، وَلَا نَقْنَعُ أَنْفُسَنَا بِالْقَوْلِ إِنَّ الْإِرَادَةَ الْخَيْرَةَ هِيَ إِرَادَةُ خَيْرَةٍ، أَوْ إِنَّ الْإِرَادَةَ تَكُونُ خَيْرَةً عِنْدَمَا تَكُونُ خَيْرَةً.

لَكِي يَوْضِحُ كَانِطُ مَعْنَى كَلِمَةِ "خَيْرٍ" عِنْدَمَا نَطْبِقُهَا عَلَى الْإِرَادَةِ، فَإِنَّهُ يُوْجِهُ اِهْتِمَامَهُ إِلَى مَفْهُومِ الْوَاجِبِ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُ الْخَاصِيَّةُ الْبَارِزَةُ لِلْمَوْعَى الْأَخْلَاقِي. فَالْإِرَادَةُ الَّتِي تَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الْوَاجِبِ هِيَ إِرَادَةُ خَيْرَةٍ. وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَصُوْغَ الْمَسْأَلَةَ بَدَقَّةً، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ صِيَاغَتِهَا بِهَذِهِ الصُّورَةِ. إِنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ إِرَادَةُ خَيْرَةٍ، لَكِنِ مِنْ الْخُلْفِ وَالِاسْتِحَالَةِ أَنْ تَتَحَدَّثَ عَنِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَسْؤَدِي وَاجِبُهُ؛ لِأَنَّ مَفْهُومَ الْوَاجِبِ أَوْ الْإِلْزَامِ يَتَضَمَّنُ مَفْهُومَ إِمْكَانِ قَهْرِ الذَّاتِ عَلَى الْأَقْلِ؛ أَعْنَى مَفْهُومَ التَّغْلِبِ عَلَى الْمَصَاعِبِ وَالْعَقَبَاتِ. وَلَا تُتَصَوَّرُ الْإِرَادَةُ الْإِلَهِيَّةُ عَلَى أَنَّهَا تَخْضَعُ لِأَيِّ عَائِقٍ مُمَكِّنٍ فِي إِرَادَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ. وَلِذَلِكَ لَكِي نَتَوَخَّى الدَّقَّةَ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ الْإِرَادَةَ الْخَيْرَةَ هِيَ إِرَادَةُ تَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الْوَاجِبِ، وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ إِنَّ الْإِرَادَةَ الَّتِي تَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الْوَاجِبِ هِيَ إِرَادَةُ خَيْرَةٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنْ كَانِطُ يَسْمِي إِرَادَةَ كِهْذِهِ مِثْلُ الْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ، الَّتِي تُتَصَوَّرُ بِأَنَّهَا خَيْرَةٌ دَائِمًا وَبِالضَّرُورَةِ، "إِرَادَةُ مُقَدَّسَةٍ"، وَيَمْنَحُهَا بِالْتَّالِيِ اسْمًا خَاصًّا. وَإِذَا صَرَفْنَا الْإِنْتِبَاهَ عَنِ مَفْهُومِ الْإِرَادَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَحَصَرْنَا اِنتِبَاهَنَا فِي إِرَادَةِ مُتَنَاهِيَةٍ تَخْضَعُ لِلْإِلْزَامِ، فَإِنَّمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ الْإِرَادَةَ الْخَيْرَةَ هِيَ إِرَادَةُ تَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الْوَاجِبِ. بَيِّدُ أَنْ فِكْرَةَ الْفِعْلِ مِنْ أَجْلِ الْوَاجِبِ تَحْتَاجُ إِلَى تَوْضِيْحٍ أَكْثَرَ بِالتَّأَكِيدِ.

٣ - يَمِيزُ كَانِطُ بَيْنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَطَابِقُ الْوَاجِبَ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي تَسْؤَدِي مِنْ أَجْلِ الْوَاجِبِ. وَيَسَاعِدُنَا الْمَثَالُ الَّذِي يَقْدِمُهُ فِي تَوْضِيْحِ طَبِيعَةِ هَذَا التَّمْيِيزِ. هَذَا الْمَثَالُ هُوَ: دَعْنَا نَفْتَرِضُ أَنَّ تَاجِرًا يَحْرُصُ دَائِمًا عَلَى أَلَا

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

علينا أن نؤديه بالفعل، وتؤدي وجهة النظر هذه إلى نتيجة غريبة هي أنه كلما كرهنا أداء واجبنا، كنا فضلاء، شريطة أننا نؤديه. أو بتعبير آخر، كلما تغلبنا على أنفسنا لكي نؤدي الواجب، كنا أكثر أخلاقية. وإذا سلمنا بذلك فإنه يبدو أنه كلما كانت ميول الإنسان أكثر وضاعة وانحطاطاً، فإن قيمته الأخلاقية تكون أكثر سموً، شريطة أنه يتغلب على ميوله الشريرة. غير أن وجهة النظر هذه تعارض الافتناع العام والمشارك وهو أن الشخصية المتكاملة، التي يتفق فيها الميل والواجب، تحقق مستوى من التطور الأخلاقي أسمى من الشخص الذي يتصارع فيه الميل والرغبة مع إحساس بالواجب.

ومع ذلك على الرغم من أن كانط يتحدث بطريقة تبدو للوهلة الأولى على الأقل أنها تدعم هذا التفسير، فإن هدفه الأساسي هو ببساطة أنه عندما يؤدي شخص ما واجبه معارضةً لميله، فإن الواقعة التي تقول إنه يفعل من أجل الواجب، وليس ببساطة من الميل، تكون أكثر وضوحاً من قولنا إذا كان لديه ميل طبيعي إلى الفعل. وهذا القول لا يعنى بالضرورة القول إن عدم وجود ميل لدى المرء لأن يؤدي واجبه أفضل من أن يكون لديه ميل هكذا. ويؤكد كانط عندما يتحدث عن الإنسان المحب للخير أن يفعل الخير للآخرين لا يكون له قيمة أخلاقية إذا كان ببساطة نتيجة ميل طبيعي، ينشأ من سجية تعاطفية طبيعية. بيد أنه لا يقول إنه لا شيء خطأ أو غير مرغوب فيه في امتلاك هذه السجية. فعلى العكس الأفعال التي تنشأ من ارتياح طبيعي في زيادة سعادة الآخرين هي "أفعال جديرة بالحب والاحترام"⁽¹⁾. وربما يكون كانط فيلسوفاً شديد الصرامة في الأخلاق. بيد أنه يجب علينا ألا نأخذ اهتمامه ببيان الاختلاف بين الفعل من أجل الواجب والفعل لإشباع رغبات المرء الطبيعية وميوله، على أنه يتضمن أنه لا يستريح لتمثال الإنسان الفاضل تماماً الذي يتغلب على كل الرغبات التي تعارض الواجب. ويجب ألا نأخذ أيضاً على أنه يعنى أن الإنسان الفاضل بحق لا يمتلك ميولاً على الإطلاق.

(1) G., p. 398; Abb., p. 14.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ومن ثم فإن أفعال الإنسان، إذا كان يجب أن تكون لها قيمة أخلاقية، لا بد أن تؤدي من احترام القانون؛ إذ إن قيمتها الأخلاقية ليست مستمدة، كما يرى كانط، من نتائجها، سواء أكانت فعلية أم مقصودة، وإنما من قاعدة الفاعل. وهذه القاعدة لا بد أن تكون قاعدة الالتزام بالقانون وطاعته، حتى تضيف قيمة أخلاقية على الأفعال التي تؤدي من احترام للقانون.

لقد عرفنا بالتالي أن الإرادة الخيرة؛ التي هي الخير الوحيد بلا تحفظ، تتجلى في الفعل من أجل الواجب، وأن الواجب يعنى القيام بفعل عن احترام للقانون، وأن القانون كلى وعام. بيد أن ذلك يتركنا مع تصور مجرد تمامًا، ولا أقول تصورًا فارغًا، للفعل من أجل الواجب. ويثار التساؤل وهو كيف يمكن نقله إلى مصطلحات الحياة الأخلاقية العينية؟

وقبل أن نجيب عن هذا التساؤل، لا بد أن نميز بين المسلّمات والمبادئ. المبدأ، بمصطلحات كانط الفنية، هو قانون أخلاقي موضوعي أساسي، مؤسس في العقل العملي الخالص. إنه مبدأ يفعل بمقتضاه كل الناس إذا كانوا موجودات أخلاقية عاقلة تمامًا. أما المسلّمة فهي مبدأ ذاتي للمشئ؛ أعني أنها مبدأ يفعل بمقتضاه فاعل في حقيقة الأمر، ويحدد قراراته. وهذه المسلّمات يمكن أن تكون من أنواع متعددة بالتأكيد، وقد تطابق، أو لا تطابق، المبدأ الموضوعي، أو مبادئ القانون الأخلاقي.

وقد يبدو هذا التفسير لطبيعة المسلّمات على أنه يعارض ما قلناه آنفًا عن وجهة نظر كانط وهي أن قيمة الأفعال الأخلاقية تحددها مسلّمة الفاعل؛ لأنه إذا لم يمكن للمسلّمة أن تطابق القانون الأخلاقي، فكيف يمكن أن تضيف قيمة أخلاقية على الأفعال التي تحدث عليها؟ ولمواجهة هذه الصعوبة لا بد أن نقوم بتمييز أبعد بين المسلّمات التجريبية أو المادية والمسلّمات القبلية أو الصورية. إن المسلّمات التجريبية تشير إلى غايات نرغبها أو إلى نتائج، في حين أن المسلّمات القبلية لا تشير إلى غايات أو إلى نتائج نرغبها. ولا بد أن تكون المسلّمة التي تضيف قيمة

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إن المسلمة، عندما تصبح كلية وعامة، ستقرر أن كل امرئ قد يعد وعدًا مع عدم النية بالوفاء به (أعني أن كل امرئ يكذب) عندما يجد نفسه في مأزق لا يستطيع أن يخرج منه بأية وسيلة أخرى. إننا لا يمكن أن نريد هذا التعميم ونرغب فيه كما يرى كانط؛ لأنه يعني الرغبة في أن يصبح الكذب قانونًا عامًا كليًا. ومن ثم لا نصدق أى وعود. بيد أن مسلمة الإنسان تسلم بالإيمان بالوعود. ومن ثم لا يمكن أن يقبل هذه المسلمة، ولا يرغب في الوقت نفسه أن تصبح قانونًا كليًا عامًا. وبالتالي لا يمكن أن نفترض المسلمة صورة الكلية والعمومية. وإذا لم يمكن إدخال المسلمة كمبدأ في تخطيط ممكن لقانون كلى عام، فإنه يجب رفضها.

وحاشاى أن أفترض أن هذا النموذج محصن ضد النقد. غير أنى لا أريد، بمناقشة بعض الاعتراضات الممكنة، أن أصرف الانتباه عن الهدف الأساسى الذى يحاول كانط أن يبينه، ويبدو أنه على النحو التالى: إننا جميعًا نسلك من الناحية العملية وفقًا لما يسميه بالمسلمات؛ أعني أن لدينا جميعًا مبادئ ذاتية للمشينة (الإرادة). ومن ثم لا يمكن أن تكون الإرادة المتناهية خيرة إذا لم يدفعها احترام القانون الكلى. وبالتالي لكى تكون إرادتنا خيرة أخلاقيًا، لا بد أن نسأل أنفسنا عما إذا كنا نستطيع أن نريد أن تصبح مسلماتنا، أو مبادئ إرادتنا (مشينتنا) الذاتية، قوانين كلية وعامة. وإذا لم نستطع أن نفعل ذلك، فلا بد أن نرفض هذه المسلمات. وإذا استطعنا أن نفعل ذلك؛ أعني أنه إذا استطاعت مسلماتنا أن تدخل بوصفها مبادئ إلى تخطيط ممكن لتشريع أخلاقى كلى، فإن العقل يتطلب أن نسلّم بها ونحترمها بمقتضى احترامنا للقانون من حيث إنه كذلك^(١).

لا بد أن نلاحظ أن كانط اهتم بتوضيح فكرة الفعل من أجل الواجب إلى حد ما. وفضلاً عن ذلك فإننا نتحرك، من وجهة نظره، في مجال ما يسميه المعرفة

(١) ليس هناك شك في استتباط قواعد عينية للسلوك من مفهوم القانون الكلى من حيث هو كذلك. إن المفهوم يستخدم بوصفه المعيار لإمكان التسليم أو عدم التسليم بالقواعد، ولا يستخدم بوصفه مقدمة يمكن أن تستتبط منه (الموافق).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وعندما يعرف كائنا الأمر، فإنه يميز بين الأمر المألوف والأمر المطلق^(١).
 "إن تصور مبدأ موضوعي، من حيث إنه ملزم للإرادة، يُسمى أمراً (للعقل)،
 والصورة التي يُصاغ فيها هذا الأمر يُطلق عليها الأمر المطلق. وكل الأوامر
 المطلقة يُعتبر عنها بفعل "يجب" وتدل بذلك على علاقة قانون موضوعي للعقل
 بإرادة ما، هي بحسب تكوينها الذاتي لا تعين بالضرورة بواسطة هذا القانون"^(٢).
 ولا يعني كائنا بالحديث عن المبدأ الموضوعي من حيث إنه ملزم للإرادة أن
 الإرادة الإنسانية لا تستطيع أن تخالف القانون ولا تطيعه. إن المسألة هي بالأحرى
 أن الإرادة لا تتبع تعاليم العقل بالضرورة؛ لأن القانون يظهر للفاعل بوصفه شيئاً
 خارجياً يمارس ضغطاً على الإرادة. وبهذا المعنى يقال إن القانون "ملزماً" للإرادة.
 بيد أن الإرادة "لا يحددها" القانون "بالضرورة". وربما تكون مصطلحات كائنا
 غامضة، لكنه لا يقع في تناقض ذاتي.

ومن ثم فإن هناك ثلاثة أنواع من الأوامر، تنظر الأنواع المختلفة، أو
 معاني الفعل الخيرة. وطالما أن واحداً منها فقط هو الأمر الأخلاقي، فإنه من المهم
 أن نفهم تمييز كائنا بين الأنواع المختلفة.

دعنا في البداية نتأمل هذه العبارة "إذا أردت أن تتعلم اللغة الفرنسية، ينبغي
 عليك أن تتخذ هذه الوسائل". إن لدينا هنا أمراً. غير أن هناك شيئين لا بد من
 ملاحظتهما. أولاً، تُتصور الأفعال التي يؤمر بها بأنها خيرة بقصد بلوغ غاية
 معينة. فهي لا يؤمر بها بوصفها أفعالاً لا بد من أدائها من أجل ذاتها، وإنما
 بوصفها وسيلة فقط. وبذلك فإن الأمر يكون شرطياً. ثانياً، الغاية المشار إليها ليست
 غاية يبحث عنها كل إنسان بطبيعته. فالمرء قد يرغب، أو لا يرغب، أن يتعلم اللغة
 الفرنسية. إن الأمر يقرر ببساطة أنه إذا أردت أن تتعلم اللغة الفرنسية، ينبغي عليك
 أن تتخذ وسائل معينة؛ أعني أن تؤدي أفعالاً معينة. ويسمى كائنا هذا النوع من
 الأوامر الأمر الشرطي الاحتمالي، أو أمر المهارة.

(١) مع ذلك لم يستخدم كائنا هذا التمييز كثيراً. ولذلك لسنا بحاجة إلى أن نشغل أنفسنا به (المؤلف).

(2) G., p. 413; Abb., p. 30.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

السعادة، إذا اتبعنا الطريقة العادية لترجمتها عند أرسطو eudemonia مثلاً^(١)، قد يُنظر إليها على أنها تحقق فعلي موضوعي لإمكانات الإنسان من حيث إنه إنسان (أعنى من حيث إنه نشاط)، وفي هذه الحالة لا تخرج الأفعال التي نحكم عليها بأنها خيرة عن الغاية تمامًا. ومع ذلك ربما يقول كانط إنه تكون لدينا بالتالي أخلاق تقوم على فكرة كمال الطبيعة الإنسانية، ولا يمكن أن تقدم لنا مبدأ الأخلاق الأسمى الذي نبحث عنه، على الرغم من أن هذه الفكرة مناسبة أخلاقياً.

وعلى أية حال يرفض كانط كل الأوامر الشرطية، سواء أكانت احتمالية أم تقريرية، من حيث إنها تستحق أن يطلق عليها اسم الأمر الأخلاقي. ويتبقى بالتالي أن الأمر الأخلاقي لا بد أن يكون مطلقاً. أعنى أنه لا بد أن يأمر بأفعال، ليس بوصفها وسيلة لغاية، وإنما بوصفها خيرة في ذاتها. وهذا ما يسميه كانط الأمر الضروري. "إن الأمر المطلق الذي يعلن أن الفعل في ذاته يكون ضرورياً ضرورة موضوعية بدون إشارة إلى أى غرض؛ أعنى بدون أى غاية أخرى، يصلح لأن يكون مبدأً عملياً ضرورياً"^(٢).

فماذا عساه أن يكون الأمر المطلق؟ إن كل ما نستطيع أن نقوله عنه بصورة قَبَلية خالصة، أعنى بالنظر إلى التصور المحض للأمر المطلق، هو أنه يأمر إذعاناً للقانون بوجه عام. إنه يأمر، أعنى أن المسلمات التي تقوم بوصفها مبادئ إرادتنا لا بد أن تطابق القانون العام وتدّعن له. "ومن ثم ليس هناك سوى أمر مطلق واحد وهو: لا تفعل الفعل إلا بما يتفق مع المسلمة التي تمكنك في نفس الوقت من أن تريد لها أن تصبح قانوناً كلياً عاماً"^(٣). بيد أن كانط يقدم في الحال صياغة أخرى للأمر المطلق وهي "افعل كما لو كان على مسلمة فذلك أن تصبح عن طريق إرادتك قانوناً عاماً للطبيعة"^(٤).

(١) بالنسبة لمجمل نظرية أرسطو الأخلاقية، انظر المجلد الأول من «تاريخ الفلسفة»، الفصل الحادى والثلاثين. [وفي ترجمتنا العربية لهذا المجلد «اليونان وروما» المجلس الأعلى للثقافة رقم ٣٦ عام ٢٠٠٤ ص ٤٤٥ - المراجع].

(2) G., p. 415; Abb., p. 32.

(3) Ibid.

(4) G., p. 421; Abb., p. 38.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بيد أن كانط لم يوضح تمامًا ماذا يعنيه بدقة بقوله إن المرء "قادر" أو "غير قادر" على أن يريد أن تصبح مسلمته قانونًا عامًا كليًا. وربما نميل بصورة طبيعية إلى فهم ما يقوله بأنه يشير إلى عدم وجود، أو وجود، تناقض منطقي عندما يحاول المرء أن يعمم مسلمته. غير أن كانط يقوم بتمييز هو أن "بعض الأفعال ذات طبيعة حتى إننا لا نستطيع أن نتصور مسلماتها، بدون تناقض، بأنها قانون كلي عام"^(١). ويبدو أن كانط يشير هنا إلى تناقض منطقي بين المسلمة وصياغتها من حيث إنها قانون كلي عام. ومع ذلك فإن هذه "الاستحالة الذاتية" لا توجد في بعض الحالات، بيد أنه لا يزال من المستحيل أن نريد أن ترتفع المسلمة إلى كلية قانون الطبيعة؛ لأن هذه الإرادة تناقض نفسها^(٢). ويبدو أن كانط يشير هنا إلى حالات يمكن أن تُعطى فيها المسلمة صياغة القانون الكلي العام بدون تناقض منطقي، على الرغم من أننا لا نريد هذا القانون؛ لأن الإرادة كما يُعبّر عنها في القانون تناقض نفسها، كما يرى كانط، عندما تتمسك بغرض أو رغبة بإخلاص يتعارض بلوغه مع احترام القانون.

ويقدم كانط مجموعة من الأمثلة. ويبدو أنه كان يقصد من النموذج الرابع منها أن يكون نموذجًا للنوع الثاني من عدم قدرة أن تكون مسلمة المرء قانونًا كليًا عامًا. إن الإنسان يتمتع برخاء عظيم لكنه يرى أن الآخرين بؤساء وأنه في استطاعته أن يقدم لهم العون والمساعدة. ومع ذلك فإنه يقبل مسلمة عدم اهتمامه برغبات الآخرين. فهل يمكن أن تصبح هذه المسلمة قانونًا كليًا عامًا؟ إنها يمكن أن تكون كذلك بدون وقوع في تناقض منطقي؛ لأنه ليس هناك تناقض منطقي في قانون يقول إنه ينبغي على أولئك الذين ينعمون برخاء ألا يقدموا العون والمساعدة لأولئك الذين هم في مأزق. بيد أن الإنسان الثرى لا يمكن أن يريد هذا القانون، كما يرى كانط، بدون تناقض داخل إرادته؛ لأن مسلمته الأصلية هي التعبير عن

(1) G., p. 424; Abb., p. 41.

(2) Ibid; Abb., p. 42.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

٦ - لقد رأينا أنه ليس هناك سوى أمر مطلق "واحد" من وجهة نظر كانط، وهو "لا تفعل الفعل إلا بما يتفق مع المسلمة التي تمكنت في نفس الوقت من أن تريد لها أن تصبح قانوناً عاماً". غير أننا رأينا أيضاً أنه يقدم صياغة أخرى للأمر المطلق وهي "افعل كما لو كان على مسلمة فعلك أن ترتفع عن طريق إرادتك لتصبح قانوناً طبيعياً عاماً". ويقدم صياغات أخرى. ويبدو أنها خمس صياغات. وبذلك يؤكد أن "الطرق الثلاث المذكورة سابقاً لتقديم مبدأ الأخلاق هي في جوهر الأمر صياغات كثيرة لنفس القانون المحض، تتضمن كل منها الصياغتين الأخريين"^(١). ومن ثم فإن كانط لا يقصد بتقديم صياغات متعددة للأمر المطلق أن يعدل عما قاله إنه لا يوجد سوى أمر مطلق "واحد". إن القصد من الصياغات المختلفة، كما نخبرنا، هو جعل فكرة العقل أقرب إلى الحدس، عن طريق ماثلة معينة، ومن ثم أقرب إلى الشعور. وبذلك فإن الصياغة "افعل كما لو كان على مسلمة فعلك أن ترتفع عن طريق إرادتك إلى قانون طبيعي عام" تستخدم ماثلة بين قانون أخلاقي وقانون طبيعي. ويعبر كانط عن الصياغة في موضع آخر بهذه الطريقة "اسأل نفسك عما إذا كنت تستطيع أن تنظر إلى الفعل الذي تنوي أن تفعله على أنه موضوع ممكن لإرادتك إذا كان يجب أن يأخذ مكاناً وفقاً لقانون الطبيعة في نسق الطبيعة الذي أنت نفسك جزء منه"^(٢). وربما تكون هذه الصياغة^(٣) هي نفسها الأمر المطلق في صورته الأصلية بمعنى أن الأمر المطلق هو مبدؤها، من حيث هو كذلك، بيد أنه جلي أن فكرة نسق الطبيعة هي إضافة للأمر المطلق كما هو مُعتبر عنه في البداية.

(1) G., p. 436; Abb., p. 54.

(2) Pr. R., 122; Abb., p. 161

(٣) هذه الصياغة يفترضها نموذج كانط الأول عن تطبيق الأمر المطلق؛ أعني نموذج الإنسان الذي يمر

بمأزق ميثوس منه ويسأل نفسه عما إذا كان يقدم على الانتحار (-39 pp. Abb., pp. 421-2; G.,

(40) (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

القانون العملى^(١). وأيضاً إذا كان هناك مبدأ عملى أسمى يكون أمراً مطلقاً للإرادة الإنسانية فإنه "لا بد أن يكون مبدأ، من حيث إنه مستمد من تصور ذلك الذى هو غاية للجميع بالضرورة؛ لأنه غاية فى ذاته، يكون مبدأ موضوعياً للإرادة، وبذلك يمكن أن يقوم بوصفه قانوناً عملياً كلياً"^(٢).

لكن هل هناك غاية كهذه؟ يسلّم كانط بأن الإنسان، وأى موجود عاقل، هو غاية فى ذاته. ومن ثم يمكن لمفهوم الموجود العاقل من حيث إنه غاية فى ذاته أن يقوم بوصفه الأساس لمبدأ عملى أسمى أو للقانون. "وأساس هذا المبدأ هو: توجد الطبيعة العاقلة كغاية فى ذاتها. .. وهكذا يمكن وضع الأمر العملى فى الصورة التالية: افعَل الفعل بحيث تعامل الإنسانية فى شخصك وفى شخص كل إنسان سواك بوصفها دائماً وفى نفس الوقت غاية فى ذاتها، ولا تعاملها أبداً كما لو كانت مجرد وسيلة"^(٣). إن كلمتى "وفى نفس الوقت" و"مجرد" مهمتان. إنه يجب علينا ألا نستخدم الموجودات البشرية كوسائل. فعندما أذهب إلى الحلاق، مثلاً، فإننى أستخدمه كوسيلة لغاية غير نفسه. غير أن القانون يقرر، حتى فى هذه الحالات أنه لا ينبغى أن أستخدم موجوداً عاقلاً بوصفه مجرد وسيلة؛ أعنى كما لو لم تكن له قيمة فى ذاته إلا من حيث إنه وسيلة لغايتى الذاتية.

ويطبق كانط هذه الصياغة للأمر المطلق على نفس الحالات التى يستخدمها لتوضيح تطبيق الأمر كما هو مصاغ فى الأصل. إن الشخص الذى يقدم على الانتحار، الذى يدمر نفسه للتخلص من الظروف المؤلمة، يستخدم نفسه كمجرد وسيلة لغاية نسبية؛ هى المحافظة أو الإبقاء على حالات محتملة حتى نهاية الحياة. والشخص الذى يبذل وعداً ليحصل على منفعة عندما لا تكون لديه النية للوفاء به، أو عندما يعرف جيداً أنه لن يفي به، يستخدم الشخص الذى يعطى له الوعد بوصفه مجرد وسيلة لغاية نسبية.

(1) G., p. 438; Abb., p. 46.

(2) G., p. 429; Abb., p. 47.

(3) G., p. 429; Abb., p. 47.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل الخامس عشر

كانط (٦): الإستايطيقا والغائية

وظيفة الحكم الوسيطة - تحليل الجميل - تحليل
الجميل - تبرير الأحكام الجمالية الخالصة - الفن الجميل
والعقريّة - جدل الحكم الإستايطيقي - الجميل رمزاً للخير
أخلاقيّاً - الحكم الغائي - الغائية والآلية - اللاهوت
الطبيعي واللاهوت الأخلاقي.

١ - ذكرنا في نهاية الفصل السابق الحاجة إلى مبدأ ليربط، من ناحية العقل على الأقل، بين عالمي الضرورة الطبيعية والحرية. ويشير كانط إلى هذه الحاجة في مطلع كتابه "نقد ملكة الحكم"^(١). فبين ميدان مفهوم الطبيعة أو الواقع المحسوس وميدان مفهوم الحرية أو الواقع الذي يجاوز ما هو محسوس ثمة فجوة من نوع ما حتى إن الانتقال من الميدان الأول إلى الميدان الثاني لا يكون ممكناً إلا عن طريق الاستخدام النظري للعقل. ويبدو، من ثم، أن هناك عالمين منفصلين، العالم الأول منهما ليس له تأثير على العالم الثاني. ومع ذلك فإن عالم الحرية لا يبد أن يكون له تأثير على عالم الطبيعة، إذا تحولت مبادئ العقل العملي إلى فعل. وبالتالي لا بد أن يكون التفكير في الطبيعة ممكناً على نحو

(١) سنشير إلى نقد ملكة الحكم، المتضمن في المجلد الرابع من الطبعة النقدية لأعمال كانط بتعليق أسفل الصفحة هكذا: ل، وسنقدم إشارات حسب الأقسام. كما أننا سنقدم إشارات مناظرة، بالصفحة، لترجمة J.H. Bernard، التي سنشير إليها هكذا: Bd (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

مبادئ قَبَلِيَّة للعقل الخالص في استخدامه العملي، الذي يشرع للرغبة⁽¹⁾. ويبقى، من ثم، أن نبحث عما إذا كان لقوة الحكم، التي يقول عنها كانط إنها قوة وسط بين الفهم والعقل، مبادئها القَبَلِيَّة. وإذا كان لها مبادئها القَبَلِيَّة، فإننا لا بد أن نبحث، أيضاً، عما إذا كان لهذه المبادئ وظيفة مُكوِّنة أو مُنظمة. وبوجه خاص، هل هي تَقَدِّم قواعد قَبَلِيَّة للشعور؛ أعني لقوة الشعور بالذمة والألم؟ وإذا كانت تقوم بذلك، فإنه سيكون لدينا خطة منظمة وجميلة. إن الفهم يعطى قوانين قَبَلِيَّة للواقع الفئوميالى "عالم الظواهر"، ويجعل المعرفة النظرية بالطبيعة ممكنة. والعقل الخالص في استخدامه العملي، يشرع للرغبة. والحكم يشرع للشعور، الذى هو، إذا جاز هذا التعبير، مصطلح وسط بين المعرفة والإرادة، مثلما أن الحكم نفسه يتوسط بين الفهم والعقل.

ويمكن أن نصوصغ المشكلة بالتالى بالمصطلحات الفنية للفلسفة النقدية على نحو يلقى الضوء على التشابه فى الغرض فى الكتب النقدية الثلاثة. هل لقوة الحكم مبادئها أو مبادئها القَبَلِيَّة؟ وإذا كان لها مبادئها، فما وظيفتها، وما مجال تطبيقها؟ وفضلاً عن ذلك إذا كانت قوة، أو مَلَكَة الحكم ترتبط، من جهة مبادئها القَبَلِيَّة، بالشعور على نحو يماثل الطرق التى يرتبط بها الفهم بالمعرفة، والعقل (فى استخدامه العملي) بالرغبة، فإننا نستطيع أن نرى أن "تقد مَلَكَة الحكم" يكون جزءاً ضرورياً من الفلسفة النقدية، ولا يكون ملحقاً قد يكون موجوداً، أو قد لا يكون موجوداً.

ولكن ماذا يعنى كانط بالحكم فى هذا السياق؟ يخبرنا كانط أن مَلَكَة الحكم هى، بوجه عام "قوة التفكير فى الخاص من حيث إنه متضمن فى العام"⁽²⁾. بيد أننا لا بد أن نميز بين حكم مُحدد وحكم تأملى. "فإذا أعطى الخاص (القاعدة، المبدأ، القانون) فإن مَلَكَة الحكم التى تدرج تحتها الخاص تكون، من ثم، محددة، كما أن

(1) J., V; Bd., p. 2.

(2) J., XXV; Bd., p. 16.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

على العالم أن يفترض وجود الله. وما يقصده هو أن العالم يفترض وحدة للطبيعة من نوع نبلغه كما لو كانت الطبيعة عمل عقل إلهي؛ أعنى إذا كانت نسقاً معقولاً يناسب ملكاتنا المعرفية. إن فكرة الله تُستخدم هنا ببساطة في وظيفتها المنظمة. ووجهة نظر كانط ببساطة هي أن كل البحث العلمى يوجهه افتراض ضمنى على الأقل هو أن الطبيعة وحدة معقولة، ونفهم كلمة "معقولة" بالنسبة لملكاتنا المعرفية. ويسير الحكم التأملى بناء على هذا المبدأ. وهو مبدأ قَبَلَى بمعنى أنه ليس مستمداً من التجربة، وإنما هو افتراض لكل بحث علمى. غير أنه ليس مبدأ قَبَلَاً بنفس المعنى الذى تكون به المبادئ التى يقدمها كانط فى "التحليل الترنسندنتالى"؛ أعنى أنه ليس شرطاً ضرورياً لأن تكون هناك موضوعات للتجربة. إنه، بالأحرى، مبدأ ضرورى يساعد على الكشف يوجهنا فى دراستنا لموضوعات التجربة.

إن مفهوم الطبيعة من حيث إنه موحد عن طريق الأساس المشترك لقوانينها فى عقل يجاوز العقل الإنسانى يجعل النسق بلائم ملكاتنا المعرفية هو مفهوم قصدية أو غائية الطبيعة. "وعن طريق هذا المفهوم نتمثل الطبيعة كما لو أن عقلاً متضمناً هو أساس وحدة تنوع قوانين الطبيعة التجريبية. وبذلك فإن غائية الطبيعة هي مفهوم خاص قَبَلَى يكون مصدره البعيد فى ملكة الحكم التأملى"⁽¹⁾. ويرى كانط أن مبدأ قصدية أو غائية الطبيعة هو مبدأ ترنسندنتالى لملكة أو لقوة الحكم. وهو ترنسندنتالى؛ لأنه يخص موضوعات ممكنة للمعرفة التجريبية بوجه عام ولا يقوم على ملاحظة تجريبية. ويصبح طابعه الترنسندنتالى جلياً وواضحاً، كما يرى كانط، إذا نظرنا إلى قواعد الحكم التى يحدثها. ومن بين الأمثلة التى يقدمها كانط⁽²⁾ أن "الطبيعة تسلك أقصر الطرق"، و«لا تقوم الطبيعة بقفزات». وهاتان القاعدتان ليسنا تعميميتين تجريبيتين، وإنما هما، بالأحرى، قاعدتان قَبَلَيَّتان توجهاننا فى بحثنا التجريبى للطبيعة. وتقومان على المبدأ العام القَبَلَى لقصدية أو غائية الطبيعة؛

(1) J., XXVIII; Bd., p. 18-19.

(2) J., XXXI; Bd., p. 20.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لأن الفهم لا يستطيع أن يفرض أى قانون على الطبيعة فى هذه الناحية⁽¹⁾. غير أن عزو القصدية أو الغائية إلى الطبيعة قَبْلًا لا يكوّن عقيدة قَبْلِيَّة عن الطبيعة فى ذاتها؛ إذ إنه عزو هدفه معرفتنا. وبمعنى آخر مبدأ الحكم القَبْلَى هو مبدأ يساعد على الكشف، كما قلنا من قبل، ومن ثم إذا وجدنا فى بحثنا التجريبي أن الطبيعة تناسب هذا المبدأ، فإن هذا المبدأ سيكون، بقدر ما نستطيع أن نعرف، واقعة ممكنة خالصة. والقول بأنه يجب أن يناسب، هو فرض قَبْلَى؛ أى إنه مبدأ للحكم يساعد على الكشف.

يمكننا أن نَمَثِّل قصدية، أو غائية الطبيعة، من ثم، بطريقتين. فمن جهة يمكن أن نَمَثِّل غائية موضوع معين من موضوعات التجربة من حيث إنه اتفاق صورة الموضوع مع ملكة المعرفة، دون أن تشير الصورة إلى مفهوم بغية معرفة محددة بالموضوع. إننا ننظر إلى صورة الموضوع على أنها سبب اللذة التى نأتى من تمثّل الموضوع. وعندما نحكم على أن التمثّل تلازمه هذه اللذة بالضرورة، وأن التمثّل لا بد أن يسبب، بالتالى، لذة للجميع (وليس للذات الخاصة التى تدرك صورة الموضوع هنا والآن)، فإنه سيكون لدينا حكم إستاطيقى. ونصف الموضوع بأنه جميل، ونسمى الملكة التى تحكم بصورة كلية وعامة على أساس اللذة التى تلازم التمثّل بالذوق.

ومن جهة ثانية يمكن أن نَمَثِّل غائية موضوع معين من موضوعات التجربة من حيث إنه "اتفاق صورته مع إمكان الشيء ذاته، وفقاً لمفهوم الشيء الذى يسبق ويتضمن سبب صورته"⁽²⁾. وبمعنى آخر نَمَثِّل الشيء، من جهة صورته، على أنه يحقق غاية أو غرضاً من أغراض الطبيعة. وعندما نحكم على أن الأمر هكذا، فإنه يكون لدينا حكم غائى.

(1) J., XXXIX; Bd., p. 27.

(2) J., XLIII; Bd., p. 34.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الغائي، في أن نتصور إمكان التحقق الفعلي للغايات في الطبيعة منسجماً مع قواعد الحكم الغائي.

كما يضع كائط المسألة على هذا النحو. إن دراسة لمبادئ الفهم القبلية تبين أننا لا نعرف الطبيعة إلا من حيث إنها ظاهرة. بيد أنها تتضمن في الوقت ذاته أن هناك واقعاً نوميئالياً، أو "واقعاً يفوق ما هو محسوس". ومع ذلك، يترك الفهم الواقع النوميئالي غير محدد تماماً. ولا بد أن نأخذ لفظ "نومين" بالمعنى السلبي كما رأينا عندما تناولنا مفهومى الفنومين والنومين في كتاب "تقد العقل الخالص". ويقودنا الحكم، بفضل مبدئه القبلى للحكم على الطبيعة، إلى أن ننظر إلى الواقع الذى يجاوز ما هو محسوس على أنه محدد عن طريق الملكة العاقلة؛ لأنه يمثل الطبيعة بوصفها تعبيراً ظاهرياً عن واقع نوميئالى. ويحدد العقل، بقانونه العلمى القبلى، الواقع النوميئالى، ويبين لنا كيف نتصوره. "وبذلك تجعل ملكة الحكم الانتقال من مجال مفهوم الطبيعة إلى مجال مفهوم الحرية ممكناً"⁽¹⁾.

لقد خصصنا هذا القسم لخطوط التفكير التى أجملها كائط في مقدمته لكتابه "تقد ملكة الحكم". ويقع الهيكل الرئيسى للعمل في جزأين؛ يعالج الجزء الأول الحكم الإستاطيقى، بينما يعالج الجزء الثانى الحكم الغائي. ويكمن الاهتمام الرئيسى بالعمل في هذين الجزأين بالتأكيد. بيد أنه حالما يتجه المرء إلى معالجة الحكم الإستاطيقى، مثلاً، فإنه يشعر برغبة شديدة فى أن يعالجه ببساطة بوصفه النظرية الإستاطيقية عند كائط؛ أعنى أنه يعالجه من أجل ذاته، كما لو كان جزءاً منفصلاً من فلسفته. ولهذا فإنه يبدو لى أنه من المناسب أن نتناول بإسهاب خطوط التفكير التى تخدم فى بيان أن كتاب "تقد ملكة الحكم" هو جزء مكمل عند كائط لمذهبه، وليس ربطاً لبحثين يعالجان موضوعين متمعين فى ذاتهما بدون علاقة أصيلة بكتابه "تقد العقل الخالص" و"تقد العقل العلمى".

(1) J., LVI; Bd., p. 40.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ونُقدّم لنا توضيحات أربعة مكملّة لمعنى لفظ "جميل". ومناقشة كانط للموضوع ذات أهمية لذاتها، بغض النظر عن علاقة اللحظات الأربع بصور الحكم الأربع المنطقية.

يؤدى النظر إلى حكم الذوق من وجهة نظر الكيف إلى التعريف الآتى للجميل: "الذوق هو قوة الحكم على موضوع، أو طريقة لتمثله عن طريق ارتياح أو عدم ارتياح يخلو تماماً من الغرض. ويُسمى موضوع هذا الارتياح بالجميل"^(١). ولا يعنى كانط بالقول إن التقدير الإستاطيقى "يخلو تماماً من الغرض" أنه مُمل، بل يعنى أنه تأملى. فعلى أساس نظرية الذوق يستلزم الحكم الإستاطيقى أن الموضوع الذى تصفه بأنه جميل يسبب ارتياحاً دون إشارة إلى الرغبة؛ أعنى دون إشارة إلى ملكة الاستهواء. ومثال بسيط يكفى لتوضيل الفكرة التى يقصدها كانط. افرض أننا نظرت إلى صورة فاكهة وقلنا إنها جميلة. إذا كنت أعنى أننا أحب أن أكل الفاكهة، لو كانت حقيقية، وبذلك أربطها بالشهوة، فإن حكمى لن يكون حكم الذوق بالمعنى الفنى؛ أعنى أنه لن يكون حكماً إستاطيقياً، وأسىء استخدام كلمة "جميل". إن الحكم الإستاطيقى يتضمن أن صورة الشيء تسبب لذة من حيث إنها موضوع للتأمل، دون أى إشارة إلى الشهوة أو الرغبة.

ويميز كانط بين اللاذ، والجميل، والخير بوصفها تحدد ثلاث علاقات يمكن أن ترتبط فيها التمثلات بمشاعر اللذة والألم. اللاذ هو ما يشبع الميل أو الرغبة، وتخبره الحيوانات والناس أيضاً. والخير هو موضوع التقدير؛ إنه ما ننسب إليه قيمة موضوعية، ويخص كل الموجودات العاقلة، بما فى ذلك الموجودات العاقلة، التى هى ليست موجودات إنسانية، وليس لها أجسام، إن كانت توجد مثل هذه الموجودات. أما الجميل فهو ما يسبب لذة بدون أى إشارة ذاتية إلى ميل أو رغبة. الجميل لا تخبره سوى الموجودات العاقلة، ولكن ليست كلها؛ أعنى أنه يتضمن إدراكاً حسياً، وبذلك لا يخص سوى تلك الموجودات العاقلة التى لها أجسام.

(١) J., 16; Bd., p. 55.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

أخرى^(١). ومن ثم أعتقد أن لدى سينا لأن أعزو ارتياحاً إلى الآخرين يشبه الارتياح الذي أخبره بداخلي؛ لأن الارتياح ليس قائماً في ارتياح ميولى الخاصة. وبالتالى فإننى أتحدث عن التمثال كما لو كان الجمال خاصية موضوعية موجودة فيه.

ومن ثم يميز كانط، بالنسبة للكلية، بين حكم يخص اللاذ، وحكم يخص الجميل. فإذا قلت إن تذوق الزيتون لاذ، فإننى على استعداد تام لأن أقول لشخص ما "حسناً، ربما تجده أنت لاذاً، ولكنى أنا قد أجده ليس لاذاً"؛ لأننى أعرف أن ذوقى يقوم على شعور خاص، أو على ذوق خاص، ولا نزاع حول الذوق. أما إذا قلت إن عملاً معيناً من الأعمال الفنية جميل، فإننى أزعم بصورة ضمنية أنه جميل بالنسبة للجميع كما يرى كانط؛ أعنى أن الحكم لا يقوم على مشاعر خاصة خالصة، حتى إنه لا يمتلك صحة بالنسبة لى فحسب، وإنما يقوم على مشاعر أعزوها إلى الآخرين، أو أطالبهم بها. ومن ثم يجب علينا أن نميز بين حكم الذوق بالاستخدام الفنى للكلمة عند كانط والأحكام التى قد نميل إلى أن نسميها عادة بأحكام الذوق. وعندما نصنع الأحكام الأولى، فإننا نزعم صحة كلية وعامة، ولكننا لا نزعم فى النوع الثانى من الأحكام مثل هذه الصحة الكلية العامة، والنوع الأول من الأحكام هو وحده الذى يهتم بالجميل.

ولا يعنى كانط، بالطبع، الإشارة إلى أنه عندما يصف شخص ما تمثالاً بأنه جميل، فإنه يعتقد بالضرورة أن الجميع يحكمون عليه بأنه جميل بالفعل. فهو يعنى أنه بصنع الحكم يزعم شخص ما بأن الآخرين يدركون جمال التمثال؛ لأنه عندما يعى أن حكمه "حر" بالمعنى الذى أشرنا إليه آنفاً، لا ينسب إلى الآخرين ارتياحاً يشبه ارتياحه هو الخاص، أو يزعم أنه يجب عليهم أن يخبروه.

(١) عندما أدخلت فكرة الأمر الأخلاقى، فإننى لا أقصد أن أشير، بالتأكيد، إلى أنها شرط خاص، مثلاً هى الحال بالنسبة للجميل. لقد أدخلتها ببساطة لأكمل فكرة "كونى حراً" كما يستخدم كانط هذه الكلمة بالنسبة للحكم الإستاطيقى (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ولكى نجيب عن هذا التساؤل، يمكننا أن نرجع إلى دراسة كائط للحظة الثالثة من لحظات حكم الذوق، التى تناظر مقولة العلاقة. وتتمثل مناقشته لهذه اللحظة الثالثة فى هذا التعريف. "الجمال هو صورة غائية لموضوع ما، من حيث إننا ندرك ذلك بدون أى تمثّل للغاية"⁽¹⁾. ولكن لما كان معنى هذا التعريف قد لا يكون واضحاً بصورة مباشرة فإن تفسيراً ما يكون ضرورياً.

إن الفكرة الأساسية ليست صعبة حتى إننا لا نستطيع أن نفهمها. فإذا نظرنا إلى وردة مثلاً فقد يكون لدينا الشعور بأنها حقيقية تماماً؛ أى إنه قد يكون لدينا الشعور بأن شكلها يجسدّ أو يحقق غرضاً ما. وفى الوقت ذاته لا نتمثّل لأنفسنا أى غاية تتحقق فى الوردة. وإذا سألتنا شخص ما الغاية التى تتجسد فى الوردة، فإننا لا نستطيع فحسب أن نقدم تفسيراً واضحاً لها؛ إذ إننا لا نتصور أو لا نتمثّل لأنفسنا أى غاية على الإطلاق. ومع ذلك فإننا نشعر بمعنى ما، بدون مفاهيم، أن غاية ما تتجسد فى الوردة. وربما نستطيع التعبير عن المسألة بهذه الطريقة. هناك إحساس بالمعنى، غير أنه ليس هناك تمثّل تصورى لما يعنيه. هناك وعى بالغائية، غير أنه ليس هناك مفهوم عن غاية ما متحققة.

يمكن أن يكون هناك، بالطبع، مفهوم للغاية، تلازمه خبرة الجمال. بيد أن كائط لا يقر بأن حكم الذوق "خالص" إذا كان يمثل مفهوماً لغاية. ويميز بين ما يسميه الجمال "الحر" والجمال "التابع". فإذا حكمنا على وردة بأنها جميلة، فربما لا يكون لدينا مفهوم للغاية التى تتحقق فى الوردة. ومن ثم فإننا نقول إن جمال الوردة جمال حر، ونقول إن حكم الذوق حكم خالص. لكن عندما نحكم على مبنى، كنيسة مثلاً، بأنه جميل، فقد يكون لدينا مفهوم عن غاية تتحقق وتتجسد فى المبنى تماماً. إننا نقول إن جمال المبنى هو، من ثم، جمال ملازم، ونقول إن حكمنا ليس خالصاً، بالمعنى الفنى الذى يقول إنه ليس ببساطة تعبيراً عن شعور بالارتياح أو باللذة، وإنما يتضمن عنصراً تصورياً. إن الحكم الإستاطيقى لا يكون خالصاً إلا إذا لم يكن لدى الشخص الذى يصنعه مفهوم عن غاية، أو إذا جرده من المفهوم، وافترض أن لديه مفهوماً عندما يصنع الحكم.

(1) J., 61; Bd., p. 90.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

نموذج لقاعدة كلية لا يمكن صياغتها^(١). فعندما أقول إن شيئاً ما جميل، فإننى أزعم أنه يجب على الجميع أن يصفوه بأنه جميل، ويفترض هذا الزعم الكلى مبدأ كلياً، يكون الحكم نموذجاً له. غير أن المبدأ لا يمكن أن يكون مبدأً منطقيًا. ومن ثم لا بد أن ننظر إليه على أنه حس مشترك. بيد أن هذا ليس حساً مشتركاً وفقاً للاستخدام العادى للكلمة؛ لأن الحس المشترك فى استخدامه العادى يحكم عن طريق مفاهيم ومبادئ، على الرغم من أننا نتمثلها بصورة غير واضحة. أما الحس المشترك فى الفهم الإستاطيقى للكلمة، فإنه يشير إلى "الأثر الذى ينتج من اللعب الحر لملكاتنا المعرفية"^(٢). فعندما ينتقل حكم إستاطيقى نفترض أن ارتياحاً معيناً ينشأ، أو لا بد أن ينشأ، من لعبها فى كل أولئك الذين يدركون الموضوع محل الاهتمام.

ولكن ما هو الحق الذى يخول لنا افتراض هذا الحس المشترك؟ إننا لا نستطيع أن نبرهن على وجوده، بيد أننا نفترضه أو نسلّم به من حيث إنه الشرط الضرورى لإمكان نقل الأحكام الإستاطيقية للغير. فالأحكام، وكذلك الاقتناع الذى يلزمها، لا بد أن تسلم بإمكان نقل أو توصيل كلى للآخرين، كما يرى كانط. بيد أنه لا يمكن نقل أو توصيل الأحكام الإستاطيقية عن طريق مفاهيم أو بالحواء إلى قاعدة منطقية كلية. ومن ثم فإن "الحس المشترك" هو الشرط الضرورى لإمكان نقلها وتوصيلها. وهذا هو أساس افتراضنا لهذا الحس المشترك.

ولا بد أن نعى، بوجه عام، أن كانط لا يهتم فى "تحليل الجميل" بقواعد معطاة لتعليم الذوق الإستاطيقى وتهذيبه. فهو ينكر تماماً أى ميل مثل هذا فى افتتاحية كتابه "تقد ملكة الحكم". إنه يهتم أولاً وأخيراً بطبيعة الحكم الإستاطيقى، الذى نستطيع أن نتحدث عنه قَبْلِيًّا؛ أعنى ذلك الذى نستطيع أن نتحدث عن خصائصه الكلية والضرورية. وأثناء مناقشته بوجه الانتباه بوضوح إلى أفكار

(1) J., 62-3; Bd., p. 91.

(2) J., 64-5; Bd., p. 93.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

للجميل والجليل بعض الخصائص المشتركة، فكل منهما يولد لذة أو متعة مثلاً، والحكم بأن شيئاً ما جليل لا يفترض مفهوماً محدداً غير الذى يفترضه الحكم بأن موضوعاً ما جميل. بيد أن هناك فى نفس الوقت اختلافات ذات أهمية بين الجميل والجليل؛ فالجميل يرتبط بالكيف لا بالكم مثلاً، بينما يرتبط الجليل بالكم لا بالكيف؛ فالجمال الطبيعى يرتبط، كما رأينا، بصورة (شكل) الموضوع، وتتضمن الصورة حدًا. ومع ذلك فإن تجربة الجليل ترتبط باللا صورية؛ بمعنى غياب الحد، شريطة أننا نتمثل غياب الحدود هذا بالإضافة إلى الشمول (المجموع). (وبذلك فإننا نشعر بالعظمة العارمة للمحيط الهائج من حيث إنها لا محدودة، لكننا نتمثل غياب الحدود أيضًا بوصفه كلاً). وبذلك استطاع كانط أن يربط الجمال بالفهم، ويربط الجلال بالعقل. إن الخبرة الإستاطيقية بالجميل لا تعتمد، كما رأينا، على أى مفهوم محدد. ومع ذلك فإنها تتضمن لعباً حرًا لملكات هى الخيال والفهم فى هذه الحالة. إننا نشعر بأن الجميل يكفى للخيال، وتنتظر إلى الخيال على أنه يتفق، بالنسبة للعيان، مع ملكة المفاهيم. ومع ذلك فإن الجليل يطغى على الخيال، إنه يكلفه فوق طاقته إذا جاز هذا التعبير. ونتمثله بالتالى على أنه يتفق مع العقل، إذا نظرنا إليه على أنه ملكة الأفكار المحددة عن الكل (الشمول). إن الجليل، من حيث إنه يتضمن غياب الحدود، لا يكفى لقوة تمثّلنا الخيالى؛ أعنى أنه يفوقها ويطغى عليها. ومن حيث إن غياب الحدود هذا يرتبط بالكل، فإنه يمكن النظر إلى الجليل على أنه "عرض" أو إظهار لفكرة العقل اللا محدودة على حد تعبير كانط. وثمة اختلاف آخر هو أنه فى حين أنه يمكن وصف اللذة أو المتعة التسمى يولدها الجميل بأنها متعة إيجابية، تطول فى التأمل الهادئ، فإننا لا بد أن نقول إن الجليل يسبب إعجابًا ودهشة وخوفًا ولا يولد متعة إيجابية. وترتبط خبرته بالانفعال بالمعنى الذى أشرنا إليه فى القسم الأخير، وهو الفحص المؤقت، ونتيجة التدفق الأكثر قوة للقوة الحيوية. وأخيرًا على الرغم من أن الجميل يتميز عن الجذاب، فإنه يمكن أن يرتبط به. بيد أن الجاذبية والجليل يتعارضان.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الخيال والفهم) الذى يكون الأساس المحدد للحكم. ولما كان الحكم حكماً خاصاً تصنعه ذات معينة، ولما كان أساسه المحدد ذاتياً (ليس معرفة موضوعية بشيء ما)، فما تبرير ادعاء صحة كلية؟ لا نستطيع أن نبرر ذلك بدليل أو برهان منطقي؛ لأن الحكم ليس حكماً منطقيًا. كما أننا لا نستطيع أن نبرره باللجوء إلى اتفاق كلى عام حقيقى؛ لأنه بغض النظر عن الواقعة التى تقول إن الناس لا يتفقون فى أحكامهم الإستطيقية على الإطلاق، فإن الادعاء، أو المطالبة باتفاق كلى عام يكون قَبْلًا. وهذا الادعاء هو خاصية جوهرية وأساسية للحكم من حيث إنه كذلك، وبذلك يكون مستقلاً عن الوقائع التجريبية التى تخص الاتفاق العام والمشارك، أو نقصه، على الحكم. ومن ثم لا يمكن أن يأخذ التبرير صورة تبرير منطقي ولا صورة استقراء تجريبى، من أجل البرهنة على صدق الحكم عندما ننظر إليه على أنه يدعى صحة كلية وعامة.

إن طريقة كانط الخاصة بمعالجة المسألة تعادل عزو الشروط التى وفقاً لها يمكن تبرير ادعاء الاتفاق الكلى العام. فإذا قام الحكم الإستطيقى على أسس ذاتية خالصة؛ أعنى على اللذة أو الألم اللذين ينشآن من لعب قوتى الخيال والفهم بالنسبة إلى تمثّل معين، وإذا كان لدينا الحق لأن نفترض سلفاً بناءً متشابهًا للقوى المعرفية والعلاقات بينها فى كل الناس، فإننا نبرر ادعاء الصحة الكلية من جانب الحكم الإستطيقى. بيد أن الحكم لا يقوم على أسس ذاتية خالصة. ويكفل إمكان نقل التمثلات والمعرفة بوجه عام وتوصيلهما لافتراضنا المسبق شروطاً ذاتية متشابهة للحكم فى كل الناس. ومن ثم فإن ادعاء الاتفاق الكلى يكون له ما يبرره.

ولا يبدو لى أن هذا الاستنباط أو الاستنتاج⁽¹⁾ ينقلنا بعيدًا. فليس هناك استنباط ضرورى ومطلوب، كما يخبرنا كانط، فى حالة الأحكام الخاصة بالجليل

(1) لى يعرف الفسائر تفصيلات الاستنتاج يجب عليه أن يرجع إلى كتاب "نقد ملكة الحكم" نفسه (J., 131 FF; Bd., pp. 150 FF.) (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

على الرغم من أنه ليس له غاية خارجة عنه، يرقى تهذيب القوى العاقلة بغية التواصل الاجتماعي⁽¹⁾.

وفيما يتصل بنتاج الفن الجميل، لا بد أن نكون على وعى بأنه فن، وليس طبيعة، كما يرى كانط، بيد أن غائية صورته لا بد أن تتخلص في نفس الوقت من الإكراه الذي تفرضه القواعد التعسفية على الرغم من أنها نتاج للطبيعة. ولا يقصد كانط، بالطبع، أننا لا نراعى أى قواعد في إنتاج عمل الفن. فهو يقصد أن مراعاتها يجب ألا تكون واضحة وجليّة بصورة لا تطاق. إن عمل الفن، لى يكون عملاً للفن، لا بد أن يظهر أنه يمتلك "التحرر" من الطبيعة. ومع ذلك، سواء أكانت المسألة هي مسألة جمال طبيعي أم عمل من أعمال الفن، فإننا نستطيع أن نقول إن "ما هو جميل هو الذى يولد متعة فى الفعل الخالص للحكم عليه (وليس فى الإحساس، ولا عن طريق مفهوم)"⁽²⁾.

الفن الجميل هو عمل العبقرية، والعبقرية هي الموهبة، أو هبة طبيعية تقدم القاعدة للفن. والفن يفترض قواعد تتمثل عن طريقها نتاجاً على أنه ممكن. بيد أن هذه القواعد لا يمكن أن تمتلك مفاهيم من حيث إنها تكون أسسها المحددة. ومن ثم فإن الفنان لا يستطيع، إذا كان فناناً حقيقياً أو عبقرياً، أن يخترع قواعده عن طريق مفاهيم. وينجم عن ذلك أن الطبيعة نفسها، من حيث إنها تؤثر فى الفنان (عن طريق انسجام ملكاته) لا بد أن تعطى القاعدة للفن. ومن ثم فإنه يمكن تعريف العبقرية بأنها "الميل الطبيعي الفطرى الذى عن طريقه تعطى الطبيعة القاعدة للفن"⁽³⁾.

ولا مجال هنا لأن نعالج أفكار كانط عن الفن والعبقرية بالتفصيل. ويكفى أن نذكر مسألتين؛ أولاهما أن الروح هي من بين الملكات التى يعزوها كانط إلى

(1) J., 179; Bd., p. 187.

(2) J., 180; Bd., p. 187.

(3) J., 18; Bd., p. 188.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

طريق الأدلة). نقيض الموضوع: يقوم حكم الذوق على مفاهيم، وإلا فإننا لا نستطيع أن نتنازع فيه (أى إننا لا نستطيع أن ندعى لحكمنا موافقة الآخرين الضرورية)^(١).

ويمكن حل النقيضة في بيان أن الموضوع ونقيضه ليسا متناقضين؛ لأن كلمة "مفهوم" يجب ألا تُفهم بنفس المعنى في القضيتين. الموضوع يعنى أن حكم الذوق لا يقوم على مفاهيم مُحددة. وهذا صحيح تمامًا. ونحن نعنى فى نقيض الموضوع أن حكم الذوق يقوم على مفهوم غير مُحدد؛ هو مفهوم أساس الظواهر الفائق لما هو محسوس. وهذا صحيح أيضًا؛ لأن هذا المفهوم غير المحدد هو مفهوم الأساس العام لغائية الطبيعة الذاتية للحكم كما يرى كانط، وهذا ضرورى من حيث إنه أساس لادعاء الصحة الكلية نيابة عن الحكم. بيد أن المفهوم لا يقدم لنا أى معرفة بالموضوع؛ ولا يقدم أى برهان على الحكم. وبذلك فإن الموضوع ونقيض الموضوع يمكن أن يكون كلاهما صادقًا، ويمكن أن يتطابقا بالتالى، ومن ثم تختفى النقيضة الظاهرية.

٧ - تفترض الواقعة التى تقول إن حكم الذوق يقوم إلى حد ما على المفهوم غير المحدد لأساس الظواهر الفائق للحس أن هناك علاقة بين الإستاطيقا والأخلاق؛ لأن الحكم الإستاطيقى يفترض هذا المفهوم غير المحدد بصورة غير مباشرة، ويقدم التأمل فى القانون الأخلاقى مضموناً محدداً لفكرة ما هو فائق للحس. ومن ثم ليس هناك ما يدعو للدهشة أن نجد كانط يقول إن "الجميل هو رمز لما هو خير أخلاقياً"^(٢)، وأن "الذوق هو، فى جوهر الأمر، قوة الحكم على التوضيح المحسوس

(1) J., 234; Bd., p. 231.

(2) J., 258; Bd., p. 250.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وأخيراً، هناك مماثلة بين ادعاء الكلية من جانب المبدأ الذاتى فى حكم الذوق وادعاء الكلية من جانب مبدأ الأخلاق الموضوعى.

وقد نفترض طريقة كانط فى الحديث أحياناً جعل الخبرة الإستطابقية أخلاقية. وبذلك فإنه يخبرنا بأن "المدخل الصحيح لأساس الذوق هو تطوير الأفكار الأخلاقية وتهذيب الشعور الأخلاقى؛ لأنه فقط عندما تتفق الحساسية مع هذا، فإن الذوق الحقيقى يمكن أن يأخذ صورة ثابتة محددة"⁽¹⁾. بيد أن كانط لا يريد أن يرد الحكم الإستطابقى إلى الحكم الأخلاقى. فهو يصر، كما رأينا، على الخصائص التى تميز الحكم الإستطابقى. إن المسألة التى يريد أن يبينها هى أن الخبرة الإستطابقية تكون رابطة بين العالم المحسوس كما نتمثله فى المعرفة العلمية، والعالم الذى يفوق ما هو محسوس كما نعيه فى التجربة الأخلاقية. ولأنه كان يضع فى اعتباره هذه المسألة بصفة خاصة، فإنه يلفت الانتباه إلى المماثلة بين الجميل والخير أخلاقياً.

٨ - لقد رأينا أن حكم الذوق يهتم بصورة الغائية فى موضوع ما، من حيث إننا ندرك هذه الغائية بدون أى تمثّل لغاية ما. وبذلك يكون حكماً غائياً بمعنى ما. وهو حكم صورى وذاتى بمصطلحات كانط. فهو صورى بمعنى أنه يهتم بتفسير وجود أى شىء، وهو بذاته لا يهتم، فى واقع الأمر، بأى أشياء موجودة. فهو يهتم أساساً بتمثّلات. وهو ذاتى بمعنى أنه يشير إلى شعور الشخص الذى يصنع الحكم؛ أعنى أنه يؤكد ارتباطاً ضرورياً بين تمثّل موضوع من حيث إنه غائى والمتعة أو اللذة التى تلازم هذا التمثّل.

كما أن هناك حكماً موضوعياً صورياً إلى جانب الحكم الغائى الذاتى الصورى. ويوجد هذا الحكم فى الرياضيات كما يرى كانط. ومن الأمثلة التى يقدمها: يتضمن الأساس لحل عدد من المشكلات الهندسية فى الشكل البسيط مثل

(1) I., 264; Bd., p. 255.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

والآن دعنا ننظر إلى الحكم الأول، أعنى أن الرئة توجد من أجل الموجودات الإنسانية. إن هذا الزعم الذى يعتمد عليه هذا هو تفسير لوجود الرئة. ومع ذلك فإنه يختلف عن التفسير العلى؛ لأن التفسير العلى (أعنى التفسير وفقاً لمقولة العلية التى لها رسم تخطيطى) يخبرنا بكيف خرجت الرئة إلى حيز الوجود فقط. إنه لا يخبرنا لماذا توجد. إن الحكم الغائى النسبى يزعم أنه يقدم إجابة عن السؤال لماذا. بيد أن الإجابة لا تكون سوى إجابة افتراضية فقط على الأقل؛ أعنى أنها تفترض أنه لا بد أن تكون هناك موجودات إنسانية فى الشمال. بيد أنه ليس هناك قدر من دراسة الطبيعة يبين لنا أنه لا بد أن تكون هناك موجودات إنسانية فى الشمال الأقصى؛ إنه مفهوم من الناحية السيكلوجية أننا نميل، بالفعل، إلى الاعتقاد بأن الرئة توجد من أجل الإسكيمو، وأن العشب يوجد من أجل الماعز والبقرة، بيد أننا قد نقول أيضاً إن الموجودات الإنسانية لديها القدرة على أن توجد فى الشمال الأقصى؛ لأنه قد تصادف أن تكون هناك رئة، وأن الماعز والبقرة لديها القدرة على أن تعيش فى أماكن معينة، وليس فى أماكن أخرى؛ لأنه قد تصادف أن يكون هناك غذاء مناسب فى المكان الأول، وليس فى المكان الثانى. وبمعنى آخر بغض النظر عن أى اعتراضات أخرى ممكنة على تأكيد غائية خارجية فى الطبيعة، فإن حكمنا لا يمكن أن يكون مطلقاً. فليس لدينا الحق لأن نقول بصورة مطلقة إن الرئة توجد من أجل الناس، وأن العشب يوجد من أجل الماعز والبقرة. إن الأحكام قد تكون صادقة، غير أننا لا نستطيع أن نعرف أنها صادقة؛ لأننا لا نستطيع أن نعرف أى علاقات ضرورية تبرهن على صدقها.

ومع ذلك فإن الأحكام الخاصة بالغائية الداخلية هى أحكام غائية مطلقة. أعنى أنها تؤكد نتاجاً ما للطبيعة هو فى ذاته غاية أو غرض للطبيعة. وفى حالة الغائية النسبية نقول، بصورة مكافئة، إن شيئاً يوجد من أجل شيء آخر إذا كان هذا الشيء الآخر يجسد غاية من غايات الطبيعة. أما فى حالة الغائية الداخلية، فإننا نقول إن شيئاً يجسد غاية من غايات الطبيعة لأن الشيء هو ما هو عليه، لا بسبب علاقته بشيء آخر. ومن ثم يثار التساؤل: ما الشروط الضرورية لصنع هذا الحكم؟

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ومن ثم فإن لدينا مبدأ للحكم على الغائية الداخلية فى الكائنات المنظمة. "وهذا المبدأ، الذى هو فى الوقت نفسه تعريف، هو كالاتى: إن نتاجاً منظماً من نتائج الطبيعة هو نتاج يكون فيه كل شىء غاية ووسيلة بصورة متبادلة. لا شىء عبث، بدون غاية، أو يوصف بأنه آلية عمياء للطبيعة"⁽¹⁾. وهذا المبدأ مستمد من التجربة بمعنى أن صياغته تبعث عليها ملاحظة الكائنات العضوية. بيد أنه لا يمكن أن يقوم على أسس تجريبية فقط بسبب الكلية والضرورة اللتين تتصف بهما هذه الغائية⁽²⁾. إنه لا بد أن يقوم على مبدأ قَبْلَى؛ أعنى على فكرة غاية الطبيعة، النسي هي فكرة منظمة (وليس فكرة مُكوّنة). ويمكن أن نصف المبدأ الذى اقتبسناه سابقاً، كما يخبرنا كانط، بأنه قاعدة لاستخدام هذه الفكرة المنظمة فى الحكم على الغائية المنظمة للموجودات المنظمة.

ومع ذلك فإن التساؤل يثار عما إذا كنا مقتنعين بالقسمة الثنائية فى الطبيعة. يمكن القول بأنه لا يمكن أن نتحقق من الغائية أو القصدية الداخلية إلا فى الموجودات المنظمة لذاتها؛ لأنه، مهما كان الحديث عن الأمر بصورة مطلقة، لن يكون فى مقدورنا على الأقل أن نقدم تفسيراً يكفى لهذه الموجودات عن طريق العلّية الآلية فقط، أعنى بمقولة العلّية التى لها رسم تخطيطى. بيد أن الأمر ليس كذلك بالنسبة للموجودات غير العضوية، حيث لا يبدو أننا نحتاج إلى مفهوم الغائية. فهل نقنع، بالتالى، بصنع انقسام فى الطبيعة ونستخدم مفهوم العلّية الغائية فى حالة أنواع معينة من الموجودات، ولا نستخدمه فى الحالات الأخرى؟

لا نستطيع أن نقنع بهذه القسمة الثنائية، كما يرى كانط؛ لأن فكرة غائية الطبيعة، أو غرضها، هي فكرة مُنظمة لتفسير الحكم على الطبيعة. ومن ثم فإننا ننقاد إلى أن ننظر إلى الطبيعة على أنها نسق من الغايات، وهي نظرة تؤدى بنا بدورها إلى أن نرجع الطبيعة، من حيث إنها معطاة تجريبياً فى الإدراك الحسى،

(1) J., 295-6; Bd., pp. 280-1.

(2) J., 296; Bd., p. 281.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

افتراض أن الطبيعة هي عمل موجود عاقل يفعل من أجل غاية، فإن هذا لا يعنى أنه يمكن النظر إلى وجود الله على أنه نتيجة يمكن البرهنة عليها بناء على العلم الطبيعي؛ لأن الفكرة المنظمة عن الحكم التأملى والقواعد التى تحكم استعمالها هي مبادئ ذاتية. ومن جانب العقل فإن الحكم الغائى يساعدنا على أن نسد الفجوة بين مجال الظواهر ومجال النومين، بيد أنه لا يستطيع أن يكون الأساس لميتافيزيقا دوجماتيقية.

٩ - يركز كانط على ما يسميه الغائية أو الغرضية الداخلية، كما رأينا؛ أعنى أنه يركز على الغائية التى تتجلى داخل موجود عضوى عن طريق علاقات الأجزاء بعضها ببعض وبالكل. إن تفسيراً آلياً خالصاً لا يكفى فى حالة هذه الموجودات.

بيد أن الموقف ليس، بالطبع، بسيطاً مثلما يفترض هذا التقرير عن وضع كانط. فمن جهة، المقولات مُكوّنة بالنسبة للتجربة. وعلى الرغم من أن هذا لا يخبرنا بأى شيء عن الواقع النوميئالى أو الفائق للحس، فإنه يبدو أنه يخبرنا بأن كل الظواهر لا بد أن تكون ممكنة التفسير عن طريق علية آلية، أو على الأقل لا بد أن ننظر إليها على أنها ممكنة التفسير بهذه الطريقة. ومن جهة أخرى يؤدى بنا تأمل الموجودات العضوية إلى استخدام فكرة الغائية فى تفسيرها. وعلى حد تعبير كانط: يفترض الفهم قاعدة ما للحكم على الأشياء المادية، بينما يفترض العقل قاعدة أخرى. ويبدو أن هاتين القاعدتين للحكم متعارضتان. وبذلك تنشأ نقیضة، أو على الأقل نقیضة ظاهرية، يناقشها كانط تحت العنوان العام "جدل الحكم الغائى".

صاغ كانط النقیضة فى البداية على النحو التالى: "القاعدة الأولى للحكم هي هذه القضية: يمكن الحكم على كل إنتاج الأشياء المادية وصورها على أنها ليست ممكنة إلا بناء على قوانين آلية خالصة. والقاعدة الثانية هي عكس القضية، وهي: لا يمكن الحكم على بعض نتائج الطبيعة المادية على أنها ممكنة بناء على قوانين

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

فى هذه الحالة، وإننى أجد نفسى مندفعاً لأن أنظر إلى هذه الكائنات على أنها غايات، على أنها تجسد غايات الطبيعة، حتى إذا لم تكن فكرة غاية الطبيعة واضحة لى تماماً.

يلاحظ كانط أنه قد ظهرت طرق مختلفة فى تاريخ الفلسفة لتفسير الغائية فى الطبيعة. ويذكر هذه الطرق تحت عنوانين عامين هما: المثالية والواقعية. ترى المثالية أن هذه الغائية غير مدبرة وغير مخططة، بينما ترى الواقعية أنها مخططة ومدبرة. ويذكر كانط تحت عنوان المثالية كلاً من مذهب الذريين اليونان، الذى وفقاً له يرجع كل شىء إلى عمل قوانين الحركة، ومذهب إسبينوزا، الذى وفقاً له تنشأ الغائية بصورة حتمية، إذا جاز هذا التعبير، من طابع الجوهر اللا محدود، ويذكر تحت الواقعية كلاً من النزعة الحيوية (أعنى نظرية نفس العالم مثلاً) ومذهب المؤلّهة.

وقد اختيرت الأسماء بصورة غريبة. وأعنى أنه من الغريب والمدهش أن نسمى فلسفتى "ديمقريطس" و"أبيقور" بالمثالية. بيد أن المسألة الرئيسية التى يجب ملاحظتها هى أن مذهب المؤلّهة هو إلى حد بعيد المذهب الأكثر قبولاً لتفسير الغائية. لقد حاول "أبيقور" أن يفسر الغائية فى الطبيعة عن طريق الصدفة العمياء، بيد أنه بهذه الطريقة "لم يتم تفسير أى شىء، ولا حتى الوهم فى حكمنا الغائى"⁽¹⁾. ويؤدى مذهب إسبينوزا إلى نتيجة هى أن الكل غائى؛ لأن الكل ينتج من الجوهر بالضرورة، وهذا هو المقصود بالغائية. غير أن القول بأن شيئاً ما غائى؛ لأنه ببساطة شىء إنما يساوى القول بأنه لا شىء غائى. ويرى كانط أنه ليس من اليسير، بالفعل، دحض مذهب إسبينوزا عن الوجود الأسمى، بيد أن سببه هو أنه ليس مفهومًا فى المقام الأول. أما بالنسبة للمذهب الحيوى، "فإنه لا يمكن تصور إمكان المادة الحية؛ لأن تصوره يتضمن تناقضاً؛ لأن عدم الحياة، أى القصور

(1) J., 325; Bd., p. 302.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

للطبيعة، الذى ليس فى استطاعتنا أن نصل إليه. ويقدم لنا مذهب المؤلهة أفضل صورة للتفكير فى الكون، على الرغم من أننا لا نستطيع أن نبرهن على الصدق الموضوعى له من الناحية النظرية.

١٠ - قبيل نهاية كتاب "تقدم ملكة الحكم" يناقش كانط مرة أخرى أوجه القصور الموجودة فى اللاهوت الذى يقوم على فكرة الغائية فى الطبيعة (وأعنى اللاهوت - الطبيعى كما يسميه). وكما رأينا عندما ننظر إلى نقده للميتافيزيقا النظرية، فإن الدليل على وجود الله الذى يقوم على برهان تجريبي وهو أن التخطيط والتدبير فى الطبيعة لا يمكن أن يودى بنا، فى واقع الأمر، إلا إلى مفهوم مُدبر ومخطط، أو مهندس للطبيعة. إنه لا يمكن أن يودى بنا إلى مفهوم علّة أسمى لوجود الكون، ولا يحدد أى صفة للمخطط والمدير الذى يجاوز البشر سوى العقل أو الذكاء. وهو لا يستطيع أن يحدد الصفات الأخلاقية لهذا الموجود بوجه خاص. والآن يضيف كانط القول إن الدليل الطبيعى - اللاهوتى يستطيع أن يودى بنا، فى حقيقة الأمر، إلى "فهم فنى لغايات مبعثرة"^(١). أعنى أن التأمل فى أنواع معينة من الكائنات المادية (أعنى الكائنات العضوية) يودى بنا إلى عقل أو ذكاء يجاوز البشر ويتجلى فى هذه الكائنات. بيد أنه لا يودى بنا إلى مفهوم حكمة إلهية^(٢)، خلقت الكون كله لغاية نهائية أسمى. إن الدليل الطبيعى - اللاهوتى يقوم على وقائع تجريبية، والكون كله ليس واقعة تجريبية. إننا لا نستطيع أن نرجع الغايات "المبعثرة" التى نجدها فى الطبيعة إلى وحدة غاية نهائية واحدة.

ومع ذلك، إذا نظرنا إلى المسألة من وجهة نظر مختلفة، وهى وجهة نظر الوعى الأخلاقى، فإن الموقف سيختلف. إن القانون الأخلاقى يتطلب، كما رأينا فى

(1) J., 408; Bd., p. 363.

(2) J., 408; Bd., p. 363.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بافتراض هذه القضية وفق قواعد عقله العملى⁽¹⁾. إننا لا نستطيع أن نبرهن على الله أو صفاته. إنها مسألة إيمان أخلاقى، لا مسألة معرفة نظرية.

هذا الإيمان حر؛ إذ لا يمكن إجبار العقل على أن يرضى أو يقتنع بأى دليل نظرى. بيد أنه تجدر ملاحظة أن كانط لا يقصد أن يقول إن هذا الإيمان الأخلاقى غير عقلى. فعلى العكس "الإيمان (من حيث إنه عادة، لا من حيث إنه فعل) هو طريقة أخلاقية لتفكير العقل فيما يخص الإيمان بذلك الذى لا يمكن بلوغه عن طريق المعرفة النظرية"⁽²⁾. ولكى تكون لدينا معرفة نظرية بالله لا بد أن نستخدم مقولات الفهم. لكن على الرغم من أن هذه المقولات يمكن استخدامها فى التفكير فى الله بصورة رمزية، فإن استخدامها لا يمكن أن يقدم لنا معرفة به؛ لأنها لا تقدم معرفة بالموضوعات إلا عن طريق وظيفتها من حيث إنها مبادئ مُكوِّنة للتجربة. والله ليس موضوعاً ممكناً للتجربة عند كانط. وفى الوقت نفسه يقوم الإيمان بالله على العقل فى استخدامه العملى أو الأخلاقى. ومن ثم لا يمكن أن يوصف بأنه غير عقلى.

وقد يبدو أن عودة كانط إلى موضوع اللاهوت الفلسفى فى نهاية كتابه "نقد ملكة الحكم" هى حالة من التكرار لا داعى له. لكن على الرغم من أنه يحتوى على تكرار بالطبع، فإنه ليس زائداً عن الحاجة بالفعل؛ لأنه إعادة تأكيد لوجهة نظره التى تقول إنه بينما تمكنا الأحكام الإستاطيقية والغائية من أن نتصور الطبيعة بأنها مجال ممكن لعلية غائية، فإن العقل العملى وحده هو الذى يقم لنا صورة محددة، إن جاز هذا التعبير، للواقع النوميئالى الذى تدل عليه، بغموض، التجربة الإستاطيقية وتجربة الغائية "الموضوعية" فى نتائج معينة للطبيعة.

(1) J., 424, note; Bd., p. 381, note.

(3) J., 462; Bd., p. 404.

الفصل السادس عشر

كانط (٧): ملاحظات على الأعمال المنشورة بعد وفاته

الانتقال من ميتافيزيقا الطبيعة إلى الفيزياء - الفلسفة
الترنسندنتالية وبناء التجربة - موضوعية فكرة الله -
الإنسان بوصفه شخصاً ومن حيث إنه كون صغير.

١ - ظهر كتاب "تقد ملكة الحكم" في عام ١٧٩٠. ومنذ عام ١٧٩٦ حتى عام ١٨٠٣، العام الذى سبق وفاته، اهتم كانط بإعداد مادة لعمل يعالج الانتقال من ميتافيزيقا الطبيعة إلى الفيزياء. وهذا أمر ضرورى من وجهة نظره، وذلك لملا الفجوة فى فلسفته. وقد نشر "إدكس" Adickes المسودات التى تركها كانط بالتفصيل تحت عنوان "أعمال كانط المنشورة بعد وفاته"^(١). وقد نتوقع أنه فيما يتصل بتجميع ملاحظات تضم مادة لعمل منظم، سيكون هناك قدر كبير من التكرار. وفضلاً عن ذلك بينما أستمتمت بعض المسائل بصورة نسبية، فإن مسائل أخرى ظلت غير مستتممة. كما أنه ليس من اليسير على الإطلاق أن نبين باستمرار معنى أقوال كانط أو نجعل وجهات نظر متباينة ظاهرياً منسجمة. وبمعنى آخر، من النادر ألا يعجز الشارح أن يقرر بأى يقين كيف طوّر كانط تفكيره إذا كانت لديه الفرصة أن يفعل ذلك، ما الأفكار التى تغاضى عنها، وما الأفكار التى أبقى عليها، أو كيف وفق بدقة بين

(١) أعمال كانط المنشورة بعد وفاته متضمنة فى المجلدين الواحد والعشرين والثانى والعشرين من طبعة برلين النقدية، وستقدم الإشارات بناء على المجلد والصفحة (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

يبدو أن ما يبحث عنه كانط هو تخطيط للفيزياء، بمعنى استباقات البحث التجريبي للطبيعة؛ إذ إن الملاحظات التجريبية الخاصة لقوى المادة المتحركة لا يمكن أن تُسمى بالفيزياء، إذا كانت الفيزياء علماً. إن الفيزياء من حيث إنها علم تتضمن نسقاً، ولا تتضمن تراكمًا من ملاحظات. ويحدث التنظيم وفقاً لمبادئ قَبَلية تقدم لنا، خطوطاً مرشدة في البحث التجريبي، إن جاز هذا التعبير، "لا نستطيع أن نأخذ شيئاً من العيان التجريبي سوى ما تقدمه نحن للفيزياء"⁽¹⁾. وبذلك "لا بد أن تكون هناك مبادئ قَبَلية بمقتضاها ترتبط القوى المتحركة بعضها مع بعض (أعني بمقتضى العنصر الصوري)، بينما يُنظر إلى القوى المتحركة في ذاتها (بناءً على العنصر المادي، أعني الموضوع) تجريبياً"⁽²⁾. ويمكن استنباط بعض الحقائق المحددة قَبَلًا بالفعل، بيد أن لدينا استباقات محتملة عن البحث التجريبي للطبيعة؛ بمعنى أننا نعرف أن هذا أو ذاك لا بد أن يكون الحقيقة الواقعية، على الرغم من أن التحقق التجريبي هو وحده الذي يخبرنا ماذا تكون الحقيقة الواقعية.

ومن ثم فإن كانط يهدف إلى التوسع في "تخطيط ملكة الحكم لقوى المادة المتحركة"⁽³⁾. إن لدى ميتافيزيقا الطبيعة، التي تقدم لنا مفهوم المادة من حيث إنه ذلك الذي يخضع للحركة في المكان، ميلاً طبيعياً إلى الفيزياء، أعني إلى تأسيس مذهب تجريبي منظم للطبيعة. ولكن حتى يكون ذلك ممكناً، فإننا نحتاج إلى مفهوم بسيط. ويقدم مفهوم المادة من حيث إنه يمتلك قوى محرّكة هذا المفهوم الوسيط. وهذا المفهوم تجريبي من جهة ما، من حيث إن الذات تدرك قوى المادة المتحركة على أساس التجربة. بيد أنه قَبَلي أيضاً من جهة أخرى؛ لأن علاقات القوى المتحركة بعضها ببعض تتضمن قوانين قَبَلية مثل: قانوني التجاذب والتنافر (أو الجذب والطرْد). وبذلك فإن مفهوم المادة من حيث إنه يمتلك قوى متحركة

(1) XXII, p. 323.

(2) XXI, p. 291.

(3) Ibid.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

مشروط^(١). ويكون هذا النسق ممكناً "عن طريق افتراض ثلاثة موضوعات، هي: الله، والعالم، وفكرة الواجب"^(٢)، أو نستطيع أن نقول عن طريق افتراض الله، والعالم، "والإنسان في العالم، من حيث إنه يخضع لمبادئ الواجب"^(٣)، أو من حيث إن الإنسان في العالم، نستطيع أن نقول إن "مجموع الموجودات هي الله والعالم"^(٤). وبذلك فإنه يمكن القول إن الفلسفة الترنسندنتالية هي "فكرتنا الله والعالم"^(٥). كما إنه يمكن القول إن "وجهة نظر الفلسفة الترنسندنتالية القصوى تكمن في الفكرتين المرتبطتين بصورة متبادلة، وهما الله والعالم"^(٦). في فكرة الله نفكر في شمول (كل) الواقع الذي يفوق الحس، أو الواقع النوميئالي، وفي فكرة العالم نفكر في شمول (كل) الواقع المحسوس. وتتضمن كل فكرة منهما "نهاية عظمى" ونستطيع أن نقول إن "هناك إلهًا واحدًا وعالمًا واحدًا"^(٧).

وتكوّن هاتان الفكرتان معًا فكرة الكون. "إن شمول (مجموع) الأشياء؛ أعنى الكون يضم الله والعالم"^(٨). ولا يمكن أن يكون هناك شيء بدون الله والعالم. لكن على الرغم من أن هاتين الفكرتين مرتبطتان بالتبادل، فإن العلاقة بينهما ليست علاقة تساوي بسيطة؛ إذ إن العالم يخضع لله؛ أي إن ما هو محسوس يخضع لما يجاوز ما هو محسوس، والظاهرى يخضع للنوميئالى. إن الله والعالم من حيث

(1) XXI, p. 77.

(2) XXI, p. 31.

(3) XXI, p. 32.

(4) XXI, p. 150.

(5) XXXI, p. 6.

(6) XXXI, p. 35.

(7) XXI, p. 20.

(8) XXX, p. 22.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بدون أفكار... مثل الحيوان، بدون أن أعرف أنني أكون"^(١). الأفكار تقدم مادة بناء الذات للتجربة، إن جاز هذا التعبير. "إن هذه التمثلات ليست مجرد تصورات، بل إنها أيضًا أفكار تقدم المادة لقوانين تأليفية قَبَلية عن طريق تصورات"^(٢). إن الله والعالم ليسا "جوهرين خارج أفكارى، وإنما هما تصوران نكوّن بواسطتهما لأنفسنا موضوعات عن طريق معارف تأليفية قَبَلية، وهما، من الناحية الذاتية، خالقان ذاتيان للموضوع الذى نفكر فيه"^(٣).

وبذلك يمكن تمثل بناء التجربة بأنه عملية من العمليات التى يطلق عليها كانط اسم وضع ذاتى، أو صنع ذاتى، أو تكوين ذاتى، وهلم جرا. ومن فكرة العالم فصاعدًا، إن جاز هذا التعبير، هناك عملية متصلة من الرسم التخطيطى التى هى فى الوقت نفسه عملية تموضع. وهذه العملية هى عمل الوضع الذاتى للذات التومينالية. ويمكن القول إن المقولات هى أفعال عن طريقها تضع الذات نفسها وتكوّن نفسها بوصفها موضوعًا من أجل التجربة الممكنة. والزمان والمكان، كما أكدنا مرارًا وتكرارًا عيانان ذاتيان خالصان، وليس شيئين أو موضوعين للإدراك؛ إنهما نتاجان أوليان للخيال؛ أعنى أنهما عيانان من صنع الذات. إن الذات تكوّن نفسها، أو تضع نفسها كموضوع؛ أعنى أنها تضع نفسها بوصفها أنا تجريبية وبوصفها الموضوع الذى يؤثر على الأنا التجريبية. وبذلك نستطيع أن نتحدث عن الذات من حيث إنها تؤثر على نفسها.

وبالتالى فإنه يمكن النظر إلى الانتقال من ميتافيزيقا الطبيعة إلى الفيزياء، الذى تعالجه "أعمال كانط المنشورة بعد وفاته" حسب اعترافه، على ضوء هذه الخطة العامة؛ لأنه لا بد من بيان أن الأنواع الممكنة من القوى المتحركة فى

(1) XXI, p. 82.

(2) XXI, p. 20.

(3) XXI, p. 21.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ومثالية^(١) فشته الترנסندنتالية الذاتية تأكيداً دوجماتيقيًا مؤداه أن كانط قد تخلّى عن نظرية الشيء في ذاته في سنه المتأخرة، واستمد الواقع كله من الوضع الذاتي للذات النوميالية. والجزم بهذا يتطلب تشديداً مفراطاً على استخدام مصطلحات معينة، والتشديد على عبارات معينة على حساب عبارات أخرى. فهناك فقرات وردت في "أعمال كانط المنشورة بعد وفاته" مثلاً يبدو أنها تؤكد ببساطة نظرية الشيء في ذاته مرة أخرى، تلك النظرية الموجودة في كتاب "نقد العقل الخالص". وبذلك فإنه يقال لنا إنه على الرغم من أن الشيء في ذاته ليس معطى من حيث إنه موضوع موجود، ولا يمكن أن يُعطى هكذا بالفعل، فإنه مع ذلك يمكن تصوّره والتفكير فيه (ومن حيث إنه يمكن تصوّره والتفكير فيه بالضرورة)، ولا يمكن أن يُعطى، ولكن يجب التفكير فيه...^(٢). إن فكرة الشيء في ذاته فكرة متضاففة لفكرة الظاهرة. ويبدو أن كانط يمضى في مناسبة أو مناسبتين إلى ما هو أبعد في اتجاه مثالي أكثر مما يتوقع المرء. "إذا أخذنا العالم كظاهرة، فإنه يبرهن بدقة على وجود شيء ليس ظاهرة"^(٣). كما يبدو أنه يشير في مناسبة ما إلى أن الشيء في ذاته هو ببساطة الشيء الذي يبدو عند النظر إليه بصرف النظر عن ظهوره. وبالنسبة لاستخدام كلمة "مثالية" بالنسبة للفلسفة الترנסندنتالية، فإن ذلك لا يبدو أنه يتضمن أى وجهة نظر جديدة أو ثورية؛ لأن الفلسفة الترנסندنتالية هي، كما رأينا، نسق أفكار العقل الخالص. وعندما يشدد كانط في "الأعمال المنشورة بعد وفاته" على طابع هذه الأفكار الاحتمالي (وليس القطعي)، فإنه لا يحيد عن نظرية كتبه النقدية.

ويبدو أن حقيقة الأمر هي أن كانط يحاول أن يبين في "الأعمال المنشورة بعد وفاته" أنه يستطيع بداخل إطار الفلسفة النقدية أن يرد على اعتراضات أولئك

(١) ذاتي بمعنى أن المبدأ الأبعد للوجود والمعرفة هو الذات؛ و«ترنسندنتالي» بمعنى أن الذات هي الذات المحض أو الترנסندنتالية، وليست الأنا التجريبية، و«مثالية» بمعنى لا يوجد هناك عنصر لا يمكن رده في مأل الأمر إلى الوضع الذاتي للذات أو الأنا الترנסندنتالية (المؤلف).

(2) XXXII, p. 23.

(3) XXI, p. 440.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بوصفه حقيقة نومينائية لا متناهية. إننا نتصور العالم بأنه كل (مجموع) الواقع المحسوس، بيد أننا نتصوره بأنه يخضع لقوة الله الخالقة وإرادته المقدسة. إن العلاقة بين فكرتي الله والعالم ليست، كما رأينا، علاقة تساوى؛ إنها علاقة خضوع؛ بمعنى أننا نتصور العالم بأنه يعتمد على الله.

ومن ثم فإن بعض العبارات في "أعمال كانط المنشورة بعد وفاته" تميل، إذا أخذناها بمفردها، إلى افتراض أن كانط لم يتخل عن أى فكرة عن أن هناك إلهاً موجوداً باستقلال عن فكرة الله. وبذلك بينما يفترض أن فكرة الله ضرورية، بمعنى أن العقل الخالص يفكر فيها ويتصورها بأنها مثال، فإنه يفترض أنها تمثل شيئاً نفكر فيه ونتصوره (أعني شيئاً عاقلاً)⁽¹⁾.⁽²⁾ "إن مفهوم هذا الموجود ليس مفهوم جوهر بالفعل؛ أعني مفهوم شيء يوجد باستقلال عن أى تفكير، غير أن فكرة شيء نفكر فيه ونتصوره؛ أعني شيئاً عاقلاً، أو فكرة عقل يكون نفسه من حيث إنه موضوع للتفكير، وينتج، وفقاً لمبدأ الفلسفة الترنسندنتالية، قضايا قبليّة ومثالاً لا يكون بالنسبة لها شك في السؤال عما إذا كان هذا الموضوع يوجد؛ لأن المفهوم مفارق"⁽³⁾.

ويؤكد هذا الاقتباس الأخير للوهلة الأولى على الأقل بوضوح أن فكرة الله هي مثال من صنع الإنسان، هي من خلق التفكير، وأنه ليس هناك موجود إلهي غير عاقل يناظر الفكرة. ويبدو أن كانط يبحث في موضوع آخر في "أعمال كانط المنشورة بعد وفاته"، بالفعل، عن دليل أخلاقي أكثر بساطة وأكثر مباشرة على وجود الله من الدليل الذي قدمه من قبل في كتابيه "نقد العقل الخالص" و"نقد العقل العملي". وتعارض هذه الواقعة بوضوح وجهة النظر التي تقول إن كانط قد تخلّى

(1) Ein Gedankending.

(2) XXI. pp. 32-3.

(3) XXI, p. 27.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

هناك موجود إلهي يناظر فكرة الله، على الأقل من حيث إن الفكرة تتضمن التفكير في الله عن طريق المقولات. وتكرر هذه النتيجة مذهب "النقد الأول" إلى حد بعيد. غير أن كانط يستمر، كما رأينا، في "النقد الثاني" في تقديم تبرير أخلاقي أو عملي للإيمان بالله. ويقدم في «أعمال كانط المنشورة بعد وفاته» بعض الاقتراحات لتطوير هذا الخط من التفكير.

يبرر كانط الإيمان بالله من حيث إنه مسلمة من مسلمات العقل العملي في كتابه "نقد العقل العملي". فنحن نصل، أو نستطيع أن نصل، إلى إيمان بالله عن طريق التأمل في متطلبات القانون الأخلاقي من جهة التوفيق بين الفضيلة والسعادة. ويبدو أنه يهتم في «أعمال كانط المنشورة بعد وفاته» بإيجاد انتقال أكثر مباشرة من الوعي بالقانون الأخلاقي إلى الإيمان بالله. ويتمثل الأمر المطلق بأنه يحتوى بداخله على قاعدة النظر إلى كل الواجبات الإنسانية على أنها واجبات إلهية. "يبدو أنه في العقل الأخلاقي العملي ينظر الأمر المطلق إلى كل الواجبات الإنسانية على أنها أوامر إلهية"⁽¹⁾. وأيضاً "ينظر إلى الكل على أنه في الله، أعنى في الأمر المطلق. إن معرفة واجباتي بأنها أوامر إلهية، يعلنها ويصرح بها الأمر المطلق"⁽²⁾. وبذلك "فإن مفهوم الله هو مفهوم ذات تفرض إلزاماً خارج نفسى"⁽³⁾. إن الأمر المطلق هو بالنسبة لنا صوت الله، ويتجلى الله في الوعي بالإلزام الأخلاقي، عن طريق القانون الأخلاقي.

ويصر كانط على أن ذلك ليس دليلاً على وجود الله من حيث إنه جوهر يوجد خارج العقل الإنساني. كما أنه يصر على أنه لا شيء يُضاف إلى قوة القانون الأخلاقي بالنظر إليه على أنه أمر إلهي، وإذا لم يؤمن الإنسان بالله، لن تستبعد القوة الملزمة للأمر المطلق نتيجة لذلك⁽⁴⁾. ومن اليسير أن نفهم أن أولئك الذين

(1) XXI, p. 12.

(2) XXI, p. 15.

(3) Ibid.

(4) Cf., XXII, p. 64.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الأنطولوجى فى كتابه "تقد العقل الخالص"، شرع فى قبوله فى "أعمال كانط المنشورة بعد وفاته". لكن من غير المحتمل كثيراً أنه قام بأى شىء مما يشبه ذلك؛ إذ يبدو أنه لا يتحدث عن برهان نظرى، مثل الدليل الأنطولوجى المزعوم، وإنما عن "برهان كاف على الوعى الأخلاقى، أعنى من وجهة النظر العملية الخالصة، أو وجهة النظر الأخلاقية الخالصة". إن مبدأ أداء كل الواجبات من حيث إنها أوامر إلهية فى الدين يبرهن على حرية الإرادة الإنسانية... وهو فى الوقت نفسه، بالنسبة لمبادئ العقل العملية الخالصة، برهان على وجود الله من حيث إنه الإله الواحد⁽¹⁾. وليست المسألة أنه يكون لدى فى البداية فكرة عن الماهية الإلهية، أستاذتبط منها وجود الله. وإنما المسألة هى بالأحرى أننى أنتقل عن طريق الوعى بالأمر المطلق إلى فكرة الله من حيث إنه يحدثنى من خلال القانون الأخلاقى وعن طريقه. وامتلاك هذه الفكرة عن الله والإيمان بالله هما شىء واحد. أعنى أن تصور الله بوصفه محايداً لى؛ بوصفه ذاتاً تأمر من الناحية الأخلاقية، هو تصوّره بوصفه موجوداً. بيد أن هذا الوعى بالله من حيث إنه محايد فى الوعى الأخلاقى هو "برهان لا يكفى" على وجوده إلا بالنسبة لهذا الوعى.

إذا كان هذا التفسير صحيحاً (ويصعب أن يكون المرء فى موقف يسمح له أن يحسم هذه المسألة بصورة قطعية)، فإننا نستطيع أن نقول ربما يقدم كانط، أو يفترض، مكافئاً أخلاقياً، أو مماثلاً أخلاقياً، للدليل الأنطولوجى. ويتصور المدافعون أن الدليل الأنطولوجى برهان نظرى على وجود الله من نوع يلزم بالموافقة، حالما نفهم بصورة صحيحة. ولا يسلم كانط بأن هناك أى دليل هكذا، بيد أن هناك شيئاً يماثله. إن تصور الله بأنه ذات تأمر من الناحية الأخلاقية، ذات محايدة فى الوعى الأخلاقى، هو أن يكون لدينا إيمان دينى به بأنه واحد وهو هو. غير أن هذا لا يعنى أن المرء يستطيع أن يستتبط وجود المشرّع الإلهى نظرياً على نحو يجبر العقل بالموافقة من فكرة مجردة خالصة عن مشرّع أخلاقى أسمى. إنه يعنى

(1) XXII, p. 111.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

العالم) هو فى الوقت نفسه موجود يمتلك الحرية، وهى خاصية خارج مبادئ العالم العلوية، لكنها مع ذلك تنتمى إلى الإنسان^(١). وامتلاك الحرية هو امتلاك الروح. "وبذلك فإن هناك موجودًا فوق العالم، هو روح الإنسان"^(٢). وأن تكون حرًا بفضل مبدأ روحى هو أن تكون شخصًا. "إن الموجود الحى الجسمى ليس له نفس (أى إنه حيوان). فإذا كان شخصًا، فإنه يكون موجودًا إنسانيًا"^(٣). الإنسان شخص من حيث إنه موجود أخلاقى حر، وواع ذاتيًا.

هل هذا يعنى أن الإنسان ينقسم إلى عنصرين إن جاز هذا التعبير؟ واضح أنه يعنى أننا نستطيع أن نميز بين الإنسان من حيث إنه نومين (شئ فى ذاته) والإنسان من حيث إنه فنومين (ظاهرة). "ينتمى الإنسان فى العالم إلى معرفة العالم، بيد أن الإنسان من حيث إنه يعى واجبه فى العالم لا يكون ظاهرة، بل إنه نومين، ولا يكون شيئًا، بل شخصًا"^(٤). لكن على الرغم من أن الإنسان يمتلك هذه الطبيعة المزدوجة، فإن ثمة وحدة للوعى. "فأنا (الذات) شخص، ولا أعى ذاتى فحسب، بل إننى موضوع للعيان فى المكان والزمان، وبذلك فإننى أنتمى إلى العالم"^(٥). إننى أمتلك "الوعى بوجودى داخل العالم فى المكان والزمان"^(٦). وهذه الوحدة هى فى الوقت نفسه وحدة مبدئين، تتجلى فى الوعى الأخلاقى. "يوجد بداخلى واقع، يختلف عنى فى علاقة الفاعلية العلوية، يؤثر على. وهذا الواقع، الحر، أى المستقل عن القانون الطبيعى فى المكان والزمان، يوجهنى داخليًا (أى إنه

(1) XXI. p. 42.

(2) Ibid.

(3) XXI. p. 18.

(4) XXI. p. 61.

(5) XXI. p. 42.

(6) XXI. p. 24.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

يوحد بينهما فى نهاية الأمر؟. لا أعتقد أن كانط نفسه قد أخذ هذه الخطوة الحاسمة مطلقاً. غير أن الميل للقيام بذلك متضمن فى كتاباته، حتى إذا لم يكن كانط قد راقته اقتراحات فشته، وهى أنه ينبغي عليه أن يستبعد عنصر الواقعية فى مذهبه، أو عنصر "الدوجماتيقية" على حد تعبيره. ومع ذلك فإنه ليس من الملائم أن نفسر فلسفة كانط ببساطة عن طريق علاقتها بالمثالية النظرية التى جاءت بعدها. وإذا أخذناها بذاتها، فإننا نستطيع أن نرى فيها محاولة أصيلة لحل مشكلة التوفيق بين مجالى الضرورة والحرية، ليس عن طريق رد المجال الأول إلى المجال الثانى، وإنما عن طريق إيجاد نقطة الالتقاء فى وعى الإنسان الأخلاقى.

الفصل السابع عشر

عرض ختامي

- ملاحظات تمهيدية - المذهب العقلي الأوروبي -
- المذهب التجريبي البريطاني - عصر التنوير وعلم الإنسان -
- فلسفة التاريخ - عمانوئيل كانط - ملاحظات ختامية.

١ - لاحظتُ في تصدير هذا المجلد أن المجلد الرابع والخامس والسادس من هذه الموسوعة "تاريخ الفلسفة"، التي تغطي فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر، تكوّن ثلاثية؛ أعنى أنه يمكن النظر إليها على أنها كل واحد. لقد كان هناك فصل تمهيدى فى بداية المجلد الرابع يتصل بالموضوع الذى تتناولناه فى المجلدات الثلاثة. ووعدت أن أقدم عرضاً ختامياً عاماً فى نهاية المجلد السادس.

إن هدف هذا العرض الختامى ليس تقديم مجمل للفلسفات المختلفة التى ناقشناها فى الثلاثية، وإنما تقديم محاولة لمناقشة طبيعة الأساليب الرئيسية للفلسف، أو للحركات الفلسفية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر وأهميتها، وقيمتها. ومن الضرورى أن نحصر المناقشات فى موضوعات معينة مختارة. وفضلاً عن ذلك، على الرغم من أن الإشارة ستكون إلى فلاسفة بالتأكيد، فإنه من الضرورى أحياناً أن نعالج حركات مركبة من التفكير، تضم فلسفات تختلف عن بعضها البعض فى نواح مهمة، على الرغم من أنها تمثل أساليب متجانسة من التفلسف، أو حتى مذاهب متجانسة. وبمعنى آخر أقترح أن أطلق العنان لمناقشة أنواع مثالية، إن جاز هذا التعبير، ولتعميمات تحتاج إلى تعديل ملحوظ. وقد لا يكون هذا

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثانى فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثانى فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

موضوع معين، أو موضوعات معينة. فلقد تأثرت الفلسفة في العصور الوسطى باللاهوت "ملكة العلوم" بقوة. وفي الحقب الأولى من القرن التاسع عشر يمكن أن نرى الوعي بالتطور التاريخي، الذي وجد تعبيراً في تطور العلم التاريخي، منعكساً في مذهب هيغل. ولقد أظهرت الماركسية بجلاء تأثير الوعي المتزايد بالدور الذي تلعبه العوامل الاقتصادية في تاريخ الحضارة والثقافة. ولم تدن فلسفة "برجسون" كثيراً للفرض العلمي الخاص بالتطور فحسب، وإنما لدراسات السيكلوجيين وعلماء الاجتماع أيضاً. وتأثر تفكير "وايتهد" بالانتقال من الفيزياء الكلاسيكية إلى الفيزياء الحديثة. كما أن الفلسفة يمكن أن تتأثر بعوامل غير فلسفية فيما يخص بصياغة مشكلاتها. فمشكلة العلاقة بين النفس والبدن مثلاً هي مشكلة كلاسيكية ومشكلة راهنة؛ بيد أن تطور العلوم الجزئية أثر في الطرق التي قدمت بها المشكلة نفسها إلى فلاسفة مختلفين. وقد أدى تطور علم الميكانيكا إلى المشكلة التي قدّمت نفسها إلى فلاسفة القرن السابع عشر على نحو ما، بينما أعطت التطورات الحديثة في علم النفس صبغة مختلفة، إن جاز هذا التعبير، للمشكلة في نظر مفكرين جاءوا فيما بعد. ويمكن أن نتحدث عن المشكلة نفسها بمعنى ما، يمكن أن نتحدث عن "المشكلة الخالدة"، لكننا نستطيع أن نتحدث عن مشكلات مختلفة بمعنى آخر؛ أعني أنه يجب أن نضع في الاعتبار مشكلات مختلفة لها صلة بالموضوع تؤثر في تصورنا للمشكلة الأساسية وصياغتها.

إن الحديث بهذه الطريقة هو ببساطة معرفة وقائع تجريبية؛ إنه ليس ادعاء النظرية التي تقول إن الحقيقة نسبية. فمن السخف، بالفعل، أن ننكر الوقائع التاريخية التي يلجأ إليها الذين يتمسكون بنظرية النسبية تدعيًا لموضوعهم. بيد أنه لا ينجم عن ذلك بالضرورة أن التسليم بالوقائع التاريخية يستلزم قبول الموضوع الذي يقول إنه يجب الحكم على مذاهب الفلسفة ببساطة فقط عن طريق سياقاتها ومواقفها التاريخية، وإن الأحكام المطلقة عن صدق أو كذب القضايا التي تتكون منها لا تكون ممكنة. ويصعب أن ننكر أنه مع تطور الفلسفة (أعني عقول

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

منهج يماثل منهج الرياضيات فى الفلسفة لزيادة مجال معرفتنا بالواقع. وبمعنى آخر لم يهتم الفلاسفة العقليون بعلم المنهج فحسب، بل اهتموا أيضاً باستخدام المنهج الملائم لاكتشاف حقائق جديدة، ولزيادة معرفتنا الوصفية بالواقع.

ومن ثم إذا وضعنا معاً فكرة تقديم منهج للفلسفة يماثل منهج الرياضيات وفكرة استنباط قضايا أخرى تقدم لنا معلومات جديدة واقعية عن الواقع من قضايا تمت البرهنة عليها من قبل، فإننا نحصل على فكرة نسق استنباطى للفلسفة يشبه الرياضيات فى صورتها الاستنباطية، ولكنه يختلف عنها بمعنى أن نسق الفلسفة يقدم لنا حقائق عن الواقع الموجود. وليس هدفى أن أشير إلى أن هذا التمييز قد أقره مفكرو عصر النهضة وما بعد عصر النهضة بصورة عامة وكلاية. فلم يتصور "جاليليو" مثلاً الرياضيات بأنها علم صورى خالص يبين مضامين تعريفات وبديهيات تم اختيارها بحرية، بل تصورهما بأنها تفتح لنا قلب الطبيعة المحض؛ أعنى أنه تصورهما بأنها تمكّنا من أن نقرأ كتاب الطبيعة. ومع ذلك فإنه ينضح أن قضية عن خصائص مثلث، مثلاً، لا تخبرنا بأن هناك موضوعات مثلثية، فى حين أن الفلاسفة العقليين العظام فى العصر الحديث السابقين على كائط تصوروا أنفسهم بأنهم مهتمون بالواقع الموجود.

ومن ثم فإن التطبيق الناجح للرياضيات فى العلم الفيزيائى يفترض بصورة طبيعية أن العالم معقول أو "عقلى". وبذلك يرى "جاليليو" أن الله قد كتب كتاب الطبيعة بخصائص رياضية إذا جاز هذا التعبير. وإذا كان يجب أن تكون الفلسفة نسقاً استنباطياً، بالفعل، وتقدم لنا فى الوقت نفسه معلومات واقعية يقينية عن العالم، فمن الضروري أن نفترض، بجلاء، أن العالم هو من هذا النوع حتى إنه يكون ممكناً بالنسبة للفلسفة أن تفعل ذلك. ويعنى ذلك فى الممارسة أن العلاقة العلنية تشبه علاقة التضمن المنطقى. ونجد بين الفلاسفة العقليين الميل لصنع هذا التشابه.

دعنا الآن نفترض أن العالم نسق عقلى بمعنى أن له بناءً عقلياً لا يستطيع الفيلسوف أن يكونه عن طريق عملية الاستنباط. ومن ثم يمكن تمثيل الفلسفة بأنها

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

نأخذها على أنها تماثل البديهيات الأساسية في الرياضيات)، ونستنبط موجوداً متناهياً بتشبيه العلاقة العلية بعلاقة التضمن المنطقي. ومن ثم فإننا نحتاج إلى التيقن من وجود المبدأ الأولي الميتافيزيقي أو الموجود النهائي. ويناسب الدليل الأنطولوجي، الذي ينتقل مباشرة من فكرة هذا الموجود إلى وجوده، متطلبات نسق استنباطي خالص أكثر من دليل بَعْدِي يستدل على وجود الله بصورة واضحة من وجود موجود متناه؛ لأننا نريد أن ننتقل، بلغة منطقية، من مبدأ إلى نتيجة، وليس من نتيجة إلى مبدأ.

إن التفسير السابق للمذهب العقلي هو وصف لنوع مثالي بالتأكيد، هو وصف لما قد يُسمى بالمذهب العقلي الخالص أو المثالي. ولا يمكن تطبيقه بدون تعديل لمذاهب الفلسفة الأوروبية العظيمة السابقة على كانط. ومن المذاهب العقلية الرئيسية الثلاثة التي ناقشناها في المجلد الرابع مذهب إسبينوزا الذي يقترب من الوصف إلى حد كبير. ولم يبدأ ديكرت بالواقع النهائي كما رأينا، وإنما بدأ بوجود الأنا المتناهية من حيث إنها ذات مفكرة. ولم يعتقد أن وجود العالم يمكن استنباطه من وجود الله. وبالنسبة لـ "ليبنيتس" فإنه يميز بين حقائق ضرورية، أو حقائق العقل، وحقائق ممكنة، أو حقائق الواقع. لقد مال إلى تقديم هذا التمييز بالفعل من حيث إنه يتوقف على معرفتنا المتناهية، بيد أنه قام به مع ذلك. ولم يسلّم بأنه يمكن أن نستنبط منطقياً خلق المونادات التي توجد بالفعل من الماهية الإلهية عن طريق عملية استدلال تقوم على مبدأ عدم التناقض. ولكي يفسر الانتقال من نظام ماهيات ضرورية إلى نظام صنوف من الوجود الممكنة لجأ إلى مبدأ الكمال أو مبدأ الأحسن بدلاً من مبدأ عدم التناقض.

لكن على الرغم من أن وصف المذهب العقلي الذي قدمته سابقاً لا يمكن أن ينطبق على كل تلك المذاهب التي تُسمى بوجه عام مذاهب الميتافيزيقا العقلية بدون تعديل، فإنه يمثل ميلاً يوجد فيها كلها. وقد أشرت في ملاحظاتي التمهيدية لهذا الفصل إلى أنني سأستخدم أنواعاً مثالية من أجل مناقشة أساليب مختلفة من التفلسف، وأهتم بتعليمات تحتاج إلى تعديل، في تطبيقها على حالات وأمثلة جزئية.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بيد أنه حالما تتحول بهذه الطريقة، فإنها لم تعد تؤدي وظيفتها الأصلية الخاصة بتكوين أساس لمذهب ميتافيزيقي بالمعنى الذي فهم به الفلاسفة العقليون السابقون على كانط الميتافيزيقا.

إن رفض نظرية الأفكار الفطرية لا بد أن يستلزم رفض المثال العقلي بالتأكيد، إذا أخذناه على أنه مثال استنباط مذهب عن الواقع من مصادر الذهن نفسه دون لجوء أو استعانة بالتجربة. غير أن هذا المثال يتضمن نظرية الأفكار الفطرية الحقيقية. لكن رفض هذه النظرية لا يستلزم بالضرورة رفض مثال ميتافيزيقا استنباطية من حيث إنها كذلك؛ لأننا يمكن أن نصل إلى المبادئ الأساسية لهذه الميتافيزيقا على أساس التجربة؛ أعني أن التجربة قد تكون الفرصة المناسبة لتيقننا من صدق قضايا ميتافيزيقية أساسية معينة. خذ القضية التي تقول "كل شيء يخرج إلى حيز الوجود، فإنه يخرج عن طريق فاعلية علّة خارجية". إنه يمكن الحصول على فكرتي الخروج إلى حيز الوجود، والعلّة عن طريق التجربة؛ فهما ليستا فكرتين فطريتين^(١). وفضلاً عن ذلك فإن الفكرتين مختلفتان وتتميز كل منهما عن الأخرى. إننا لا نحصل على فكرة العلّة عن طريق التحليل المحض لفكرة الخروج إلى حيز الوجود، بمعنى جعلنا نقول إن القضية التي نحن بصدد الحديث عنها هي تحصيل حاصل. ومن ثم فإن القضية تأليفية (تركيبية). بيد أنه إذا كانت القضية تعبير، كما اعتقد أن يكون الأمر هكذا، عن استبصار في ارتباط موضوعي ضروري، فإنها لن تكون قضية تأليفية بَعْدِيّة، بمعنى تعميم تجريبي قد يتبين أنه يسلم باستثناءات. إنها، على العكس، قضية تأليفية قَبْلِيّة، ليس بمعنى أنها فطرية، وإنما بمعنى أن صدقها مستقل منطقيًا عن التحقق التجريبي^(٢). وإذا كان هناك عدد

(١) يمكن التعبير عن هذا القول "بطريقة لغوية"، بدون استخدام كلمة "فكرة". فقد نقول، مثلاً، إننا نتعلم معاني الألفاظ عن طريق التجربة، أو عن طريق التعريف القاطع (المؤلف).

(٢) لقد استخدمت مصطلح كانط "قضية تأليفية قَبْلِيّة". ويمكن أن يكون استخدام هذا المصطلح الغامض مضللاً؛ لأنه على الرغم من أنني أتفق مع كانط في أن هناك قضايا لا تكون تحصيل حاصل، ولا تعميمات تجريبية محتملة، فإنني لا أقبل تفسير كانط لحالتها. فهي تعبير، من وجهة نظري، عن استبصار في البناء العقلي الموضوعي للوجود. لكن المصطلح مناسب، ويستخدم اليوم باستمرار بدون أن يتضمن، أو يُعتقد أنه يتضمن، التفسير الخاص بكانط (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

أن نستدل من هذه المقدمات على القضايا الصادقة التى تنتمى إلى قولم علم جزئى. إننا نستطيع، بالتأكيد، أن نطبق مبادئ ميتافيزيقية تصدق بالضرورة على كل شيء متناه مثلاً على أنواع معينة من أشياء متناهية. غير أن هذا ليس هو الشيء نفسه مثل الاستدلال على قضايا الكيمياء، أو علم النبات، أو علم الطب من مقدمات ميتافيزيقية. إذا افترضنا أن القضية التى تقول إن كل شيء يخرج إلى حيز الوجود يخرج عن طريق فاعلية علّة خارجية هى قضية ميتافيزيقية صادقة بالضرورة، فإنه ينجم عن ذلك أنه إذا كان هناك شيء مثل سرطان الرئة، فإنه سيكون له علّة أو علل. غير أنه لا ينتج عن ذلك بالضرورة أننا نستطيع أن نستدل على ماذا تكون العلل من الميتافيزيقا.

وليس هدفى أن أشير إلى أن ديكارت، مثلاً، قد اعتقد أننا نستطيع فى واقع الأمر أن نبدأ بحقائق ميتافيزيقية عامة، ثم نستدل منطقياً على كل حقائق العلم الطبيعى، ونستغنى عن التجربة أو الملاحظة، وعن الفرض والتحقق التجريبي. لكن ميل المذهب العقلى هو تمثيل هيكل القضايا الصادقة كلها بنسق رياضى تكون فيه كل النتائج متضمنة منطقياً عن طريق مقدمات أساسية. ولما كان الفلاسفة العقليون قد أخذوا فى اعتبارهم المثل الأعلى لهذا التمثيل، فإنهم انغمسوا فى حلم عابث.

ومن ثم فقد قيل سابقاً إننا لا نستطيع أن نستدل على نتيجة وجودية من مقدمتين لا تكون إحداهما قضية وجودية. بيد أن التساؤل يثار عما إذا كنا نستطيع أن نبدأ بقضية وجودية ونستدل على قضايا وجودية أخرى على نحو حتى إننا نستطيع أن نستدل على وجود موجود مستقل متناه من وجود المبدأ الأنطولوجى النهائى. وبمعنى آخر هل نستطيع أن نبدأ بتأكيد وجود موجود كامل ولامتناه بصورة مطلقة ثم نستدل على وجود موجود متناه؟

لكى نقوم بذلك فإنه لا بد أن تكون لدينا القدرة على البرهنة على شيء من شينين. لا بد أن تكون لدينا القدرة على بيان إما أن يتضمن معنى لفظ "الموجود

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

وبالنسبة للبديل الثانى، وهو بيان أن الله يخلق بضرورة طبيعته، فما الأساس الذى يمكن أن يكون لدينا لهذا التأكيد؟ إذا كنا نعنى بالله موجوداً كاملاً ولا متناهياً بصورة مطلقة، فإن تأكيد وجود الله هو تأكيد وجود موجود مكتف بذاته بطبيعته؛ أعنى أن خلق الموجود المتناهى لا يمكن أن يضيف شيئاً إلى الله الذى سيكون خلافاً لذلك ناقصاً وغير كامل. وفى هذه الحالة لا يبدو أنه يمكن أن يكون هناك أى أسس معقولة لتأكيد ضرورة الخلق. وما هو مهم بمكان أن ليينتس لجأ إلى فكرة الضرورة الأخلاقية، وليس إلى فكرة الضرورة الميتافيزيقية عندما حاول أن يفسر الخلق الإلهى. بيد أننا إذا كنا نعنى بالله الموجود الكامل بإطلاق، فإنه لن يكون هناك، فيما يبدو، أى أساس للحديث عن الخلق بأنه "ضرورى" بمعنى الكلمة.

إذا كنا نناقش مذهبي التآليه ووحدة الوجود بما هما كذلك، فإن علينا أن نعمن النظر فى موضوع العلاقة بين المتناهى واللا متناهى بأسره. بيد أننا نناقش مسألة محددة؛ هى الاستدلال على الموجود المتناهى من الموجود اللا متناهى عندما نأخذ وجود اللا متناهى على أنه معروف. وتتضمن هذه المسألة تمييزاً بين المتناهى واللا متناهى؛ لأنها مسألة الاستدلال على وجود المتناهى من وجود اللا متناهى. ومن ثم إذا حللنا كلمة "الموجود اللا متناهى" بطريقة تجعله يعنى ببساطة عددًا لا متناهياً من موجودات متناهية، فإن مشكلة الاستدلال ستختفى ببساطة. إن كل ما هو مطلوب هو تحليل "للموجود اللا متناهى"، والتحليل يزيل المشكلة. إن المسألة الأصلية لم يعد لها أى دلالة أو مغزى. ومع ذلك إذا سلمنا بالتمييز الذى هو جوهرى بالنسبة لمغزى المشكلة (وأعنى التمييز بين المتناهى واللا متناهى)، فإنه لن يبدو هناك أى أساس معقول للاستدلال على وجود موجود متناهى من وجود موجود لا متناه. ونحن لا يهمنى سوى هذا الاستدلال فقط، ولا تهمنى المشكلات التى تنشأ عندما نتبع الطريق الآخر ونستدل على وجود اللا متناهى من وجود المتناهى.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

٣ - وعندما نوجه انتباهنا إلى المذهب التجريبي البريطاني، فإننا نتجه إلى حركة للتفكير لها دلالة بالنسبة للفلسفة المعاصرة أعظم من المذهب العقلي الأوروبي السابق على كانط. فلقد كان هيوم مفكرًا حيًا بمعنى لم يكنه إسبينوزا. لقد تطور المذهب التجريبي في القرنين السابع عشر والثامن عشر بالفعل، وتختلف اللغة التي تعبر عنه الآن إلى حد ما عن اللغة التي استخدمها الفلاسفة التجريبيون الكلاسيكيون. والآن ثمة تشديد على اعتبارات منطقية بصفة خاصة، وليس على اعتبارات سيكولوجية. بيد أن الحقيقة تظل وهي أن المذهب التجريبي له تأثير قوى في الفكر الحديث، لا سيما في إنجلترا بالتأكيد، في حين أن التأثير الذي مارسه الفلاسفة العقلانيون السابقون على كانط على فلسفة اليوم الذين يمثلون إلى الميثافيزيقا لم يصدر من اقترابهم مما أسميه بالمذهب العقلي من حيث إنه نوع مثالي، وإنما من جوانب أخرى من تفكيرهم.

وعندما يناقش المرء المذهب التجريبي البريطاني الكلاسيكي، فإنه يواجه صعوبة تشبه الصعوبة التي يواجهها في محاولة مناقشة المذهب العقلي من حيث إنه كذلك؛ لأن فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر الذين يُصنفون في العادة بأنهم تجريبيون يختلفون في آرائهم بشكل ملحوظ. وإذا فسرنا المذهب التجريبي على ضوء نقطة انطلاقه؛ أعنى نظرية لوك التي تقول إن كل الأفكار مستمدة من التجربة، فإننا لا بد أن نعد لوك فيلسوفًا تجريبيًا بصورة واضحة. بيد أننا إذا فسرنا الحركة في ضوء نقطة وصولها في فلسفة هيوم، فإننا لا بد أن نسلّم بأن فلسفتي لوك وباركلي ليستا فلسفتين تجريبيتين خالصتين، مع أنهما تحتويان على عناصر تجريبية. غير أنه لا يمكن تجنب هذه الصعوبة بالتأكيد إذا اقترحنا مناقشة المذهب التجريبي من حيث إنه مجموعة من المذاهب، ومن حيث إنه نوع مثالي، لا من حيث إنه حركة تاريخية. ومن حيث إنني قصدت أن أهتم في هذا القسم بالمذهب التجريبي كما يمثلته هيوم بصفة خاصة، فإنني ألاحظ مقدمًا أنني أعنى تمامًا وبصورة كاملة أن تعليقاتي لها صلة بفكر هيوم أكثر من فكر لوك أو باركلي.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

عند هيوم قد تأثر بنموذج الفيزياء النيوتونية. ولقد أوضح هيوم ذلك بالفعل فى المدخل إلى "رسالة فى الطبيعة الإنسانية". وبذلك يمكن أن ننظر إلى المذهب العقلى والمذهب التجريبي على أنهما تجربتان، بمعنى أن ننظر إلى المذهب العقلى على أنه تجربة لرؤية إلى أى مدى يمكن تطبيق النموذج الرياضى فى الفلسفة، وإلى المذهب التجريبي على أنه تجربة فى تطبيق الحدود المنهجية للفيزياء الكلاسيكية على الفلسفة^(١).

وربما يكون التحليل بالاختزال هو خاصية منهج هيوم الفعلى التى تدهش القارئ بصورة مباشرة. وأعنى بهذه الكلمة تحليل المركب إلى البسيط، أو البسيط نسيًا، وتحليل الكلّيات إلى الأجزاء التى تتكون منها. وليس هناك شيء جديد بالفعل فى استخدام التحليل الاختزالى من حيث إنه كذلك. وبدون أن نرجع كثيرًا إلى الوراء، فإننا نستطيع أن نتذكر رد "لوك" المركب إلى أفكار بسيطة، وتحليل "باركلى" للأشياء المادية من حيث إنها مجموعات من ظواهر، أو "أفكار" على حد تعبيره. غير أن هيوم طبق منهج البحث هذا على نحو أكثر راديكالية مما فعل أسلافه، ولا يجب علينا سوى أن نتأمل تحليله للعلة وللذات.

ولا يمكن أن نقول بالتأكيد إن فلسفة هيوم كلها تحليل، وليست تركيبًا؛ لأنه حاول من جهة أن يبنى المركب من عناصره. وبذلك فإنه حاول أن يبين كيف أن فكرتنا المركبة عن العلاقة العلية تنشأ مثلاً. ومن جهة ثانية قام بنشاط التركيب بمعنى تقديم صورة عامة لمدى المعرفة الإنسانية مثلاً، ولطبيعة التجربة الأخلاقية. بيد أن التركيب الميتافيزيقى من النوع التقليدى كان مستبعدًا. فقد استبعدته تحديداته المنهجية، ونتائج تحليله. وبالتسليم بتحليله للعلة مثلاً، لم يستطع أن يركب كثرة

(١) ما يسميه هيوم "الفلسفة التجريبية"؛ أعنى الفيزياء، لم يعد اليوم جزءًا من الفلسفة. وقد يميل المرء إلى أن يعلق بالقول إن جزءًا مما نظر إليه على أنه يتصل بعلم الإنسان قد مال أيضًا إلى أن يفصل عن الفلسفة، لا سيما إذا وضع المرء فى اعتباره الحدود المنهجية التى فرضها. وأنا أضع فى اعت السيكولوجيا التجريبية أساسًا (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لكن على الرغم من أنه لا يمكن أن يكون هناك اعتراض صحيح على التحليل من حيث إنه كذلك، فإنه قد يكون من الممكن الاعتراض على الفرض أو الفروض المتضمنة في ممارسة فيلسوف معين للتحليل. ويبدو لي أن ممارسة هيوم للتحليل الاختزالي يوجهها افتراض خاطئ، وأعني أن المكونات الحقيقية للتجربة الإنسانية هي "إدراكات" ذرية ومتميزة. فحالما يفترض هيوم أو يبين أن كل الأفكار مستمدة من الانطباعات، كما يعتقد^(١)، وأن هذه الانطباعات هي "موجودات متميزة"، فإنه لا يظل سوى أن نطبق هذا الفرض على تحليل تلك الأفكار التي تبدو أنها ذات أهمية، أو ذات فائدة. وإذا توصلنا في عملية التطبيق إلى حالات حيث لا يعمل فيها المبدأ العام، من حيث إنه يؤدي إلى صنوف من عدم الاتساق التي لا تُدَلَّ، فإن الشك يُطرح على صحة المبدأ العام لا محالة.

ويبدو أن تحليل هيوم للذات مثلاً ينطبق عليه ما نقول. فالذات تنحل إلى "إدراكات" متميزة. بيد أن هيوم نفسه يسلّم بأن لدينا ميلاً لأن نحل فكرة الموضوعات المترابطة (أعني الإدراكات المتميزة) محل فكرة الهوية، وأن هذا الميل عظيم حتى إننا لدينا استعداداً لأن نتصور شيئاً جوهرياً وأساسياً يربط الإدراكات. ويبدو أنه يترتب على ذلك أن ما يجب أن يتركب من إدراكات متميزة لا بد أن يكون شيئاً نستطيع أن ننسب إليه هذا الميل بصورة معقولة. ومع ذلك فإن هذا هو بدقة ما لا نستطيع أن نفعله. إذا كانت الذات تتكون من سلسلة أو حزمة من إدراكات، كما يرى هيوم، فلا يمكن أن نقول عنها بصورة معقولة إن لديها ميلاً لأن تتصور شيئاً جوهرياً يربط الإدراكات. ويدرك هيوم هذه الصعوبة بالفعل. فهو يقر بحيرته وارتباكته ويعترف بوضوح بأنه لا يعرف كيف يصحح آراءه،

(١) يسلّم هيوم، كما رأينا في المجلد الخامس، بإمكان استثناءات لهذه القاعدة، فعندما نقابل سلسلة من ظلال اللون الأزرق المتدرجة يكون فيها ظل ما مفقوداً، فإننا قد نستطيع أن نقدم العدد المفقود بمعنى استنباط "الفكرة" على الرغم من أنه لا يكون هناك انطباع سابق. لكن بغض النظر عن استثناءات ممكنة كهذه، فإن هيوم يؤكد قاعدته العامة باستمرار (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

حتى إننا نستطيع أن نبني التجربة الكلية ببساطة عن طريق انطباعات. ومع هذا فإنه يترتب على ذلك أن ما ندركه يتكون من انطباعات. وقد يكون من باب السذاجة الشديدة أن نقول إنه يجب علينا أن نميز في الإدراك بين الذات، والموضوع، وفعل الإدراك. وقد يبدو للبعض أنه لا يعدو أكثر من تأمل للغة؛ أعني تأملاً لنوع القضية التي تتكون من فاعل - وفعل - ومفعول به. لكننا إذا استبعدنا الذات، فإن الذات هي التي تقوم بالاستبعاد. وإذا استبعدنا الموضوع من حيث إنه يتميز عن الإدراك، فإننا نقع في "الأنا وحيدة".

ويبدو لي أن خطوط النقد التي أفترضها لا يمكن أن تنطبق على فلسفة هيوم فحسب، وإنما على تأويلات معينة حديثة لمذهبه التجريبي. لقد حاول بعض الفلاسفة التجريبيين أن يتجنبوا تقديم الانطباع الذي يقول إن تحليلهم الظاهري هو جزء من الميتافيزيقا؛ أعني أنه نظرية أنطولوجية. وبذلك فإنه من الممكن بناء على نظرية "البناءات المنطقية" أن نحول، من حيث المبدأ على الأقل، عبارات عن الذهن إلى عبارات لا تحتوى على كلمة "الذهن"، ولكنها تذكر ظواهر أو أحداثاً فيزيائية، على نحو حتى إنه إذا كانت العبارة الأصلية صادقة (أو كاذبة) فإن العبارات التي ترادفها تكون صادقة (أو كاذبة) والعكس صحيح أيضاً. وعلى نحو مماثل يمكن أن نحول عبارة عن منضدة، من حيث المبدأ على الأقل، إلى عبارة لا ترد فيها كلمة "منضدة"، وإنما نذكر فيها معطيات حسية، فثمة علاقة تكافؤ في الصدق بين القضية الأصلية والقضية التي نحولها إليها. ومن ثم نفترض أن المنضدة "بناء منطقي" من معطيات حسية، وأن الذهن "بناء منطقي" من ظواهر أو أحداث فيزيائية. وبذلك يقدم المذهب الظاهري بوصفه نظرية منطقية أو لغوية، لا بوصفه نظرية أنطولوجية. بيد أنه يبدو من المشكوك فيه عما إذا كانت هذه المحاولة البسيطة لتجنب التسليم بأن المذهب الظاهري هو نظرية ميتافيزيقية تناقض نظرية ليست ظاهرية هي محاولة ناجحة. وعلى أية حال يمكن أن نسأل كيف يكون تكوين "البناء المنطقي" ممكناً، إذا سلمنا بهذا التحليل للذهن. وفضلاً عن ذلك

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ويهتم هيوم هنا بنوعين من الاستدلال، والنتيجة التي يصل إليها هي أن الاستدلال الخاص بمسائل الواقع لا يمكن أن يرقى إلى مرتبة البرهان. فنحن لا نستطيع أن نبرهن على وجود شيء من وجود شيء آخر مثلاً. إننا قد نشعر بيقين يخص صدق نتيجتنا، لكننا إذا صرفنا الانتباه عن حالات الشعور والتفتنا إلى الجانب المنطقي للمسألة، فإننا لا بد أن نسلّم بأن النتائج التي نحصل عليها بالاستدلال من أمور الواقع لا يمكن أن تكون يقينية.

لقد تمّ الإبقاء على وجهة النظر هذه في المذهب التجريبي الحديث، غير أنه تمّ التشديد على التمييز بين نوعين من القضايا. فالقضية التي تقرر العلاقة بين الأفكار، هي قضية تحليلية وهي صادقة قبلياً على حد تعبير هيوم؛ أعنى أن صدقها مستقل منطقيًا عن التحقق التجريبي. والقضية التي تهتم بمسائل الواقع هي قضية تركيبية على حد تعبير هيوم، لا يمكن معرفة صدقها من القضية وحدها، وإنما عن طريق التحقق التجريبي فقط. إنه تحقق تجريبي يبيّن ما إذا كانت القضية صادقة أو كاذبة. وعكس القضية ممكن دائماً من الناحية المنطقية، ومن ثم فإن قدرًا من التحقق التجريبي لا يمكن أن يعطيها سوى درجة كبيرة جدًا من الاحتمال.

ويستبعد هذا التصنيف للقضايا بالتأكيد إمكان أي قضايا وجودية صادقة بالضرورة. غير أنه يستبعد أيضًا، كما يرى الفلاسفة التجريبيون، كل القضايا التي تزعم، عندما لا تؤكد وجود أي شيء، أنها تخبر عن الواقع وتكون صادقة قبلياً بمعنى أن صدقها لا يمكن أن يدحض تجريبيًا، حتى من حيث المبدأ. خذ مثلاً القضية التي تقول إن كل شيء يخرج إلى حيز الوجود أو يبدأ في الوجود يخرج عن طريق فاعلية علّة ما. إننا لا نعرف صدق هذه القضية، بالحدس، من وجهة نظر هيوم؛ لأننا يمكن أن نتصور العكس. ولا يمكن البرهنة على صدقها أيضًا. ومن ثم فإنها تعميم تجريبي، إنها فرض يمكن التحقق منه بوجه عام، بيد أنه يسمح بالدحض التجريبي من حيث المبدأ على الأقل. وأفترض أنه لو كان هيوم حينًا اليوم، فإنه سينظر إلى ما يُسمى "اللاحتمية تحت الذرية" على أنه يكون تأكيدًا تجريبيًا لتقديره للحالة المنطقية لمبدأ العلّة.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

معينة^(١). ومن ثم قد نزع أنه على الرغم من أن موقف الفيلسوف التجريبي لا يمكن أن يعتد على مستوى التأمل الذى يقف عليه، فإننا يمكن أن نرى أنه لا يكفى عندما ننقل إلى مستوى الاستبصار الميتافيزيقي.

إن هذه الملاحظات لا تجيب بوضوح عن السؤال عما إذا كانت هناك قضايا تركيبية (تأليفية) قَبَلية أم لا. إنها مصممة بالأحرى لتبين ما يجب بيانه إذا زعمنا أنها توجد. وقد يبدو للقارئ، فى واقع الأمر، أن هناك طريقة أخرى لمعالجة موقف الفيلسوف التجريبي؛ وهى إنكار أن قضايا الرياضيات البحتة مثلاً هى قضايا صورية خالصة بمعنى أنها "تحصيل حاصل". وبمعنى آخر قد نزع أن قضايا الرياضيات البحتة هى قضايا عن الواقع بمعنى ما، حتى على الرغم من أنها ليست قضايا وجودية. غير أنه لو أردنا أن نزع أنها قضايا تركيبية (تأليفية) قَبَلية، وليست قضايا تحليلية بالمعنى الذى يستخدم به الفيلسوف التجريبي اللفظ، فإنه ينبغى علينا أن نكون على استعداد لأن نفسر بأى معنى تكون قضايا إخبارية عن الواقع.

وإذا رجعنا إلى هيوم، وسَلَّمنا بتصنيفه للقضايا، فإنه يستحيل بوضوح أن نقيم مذهباً قَبَلياً استبطائياً من الميتافيزيقا تصدق قضاياها على الواقع بصورة أكيدة. كما أننا لا نستطيع، إذا سَلَّمنا بتحليله للعَلية، أن نبدأ بمعطيات التجربة ونستدل على وجود الله عن طريق دليل على بالطريقة التى اعتقد بها لوك وباركلى أننا نستطيع أن نفعل ذلك. بيد أنه يبدو من الوهلة الأولى أنه لا يزال ممكنًا أن ننظر إلى النظريات الميتافيزيقية على أنها فروض قد تتمتع بدرجات مختلفة من الاحتمال.

صحيح أن هيوم ناقش بعض المشكلات الميتافيزيقية بالطبع، ويبدو أنه كان يريد أن يقول إنه من المحتمل أن تكون هناك علة ما أو نظاماً فى الكون يحمل

(١) يتضح أنه يجب علينا أن نتجنب تعريف فهم معانى الألفاظ بأنها إدراك علاقة ضرورية بين معانى الألفاظ؛ لأنه فى هذه الحالة سيكون القول إن من يفهم الألفاظ يدرك علاقة ضرورية مرادفاً للقول الذى هو تحصيل حاصل، وهو أن من يدرك العلاقة الضرورية يدركها (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

حيث إنه نوع من الإعداد لمذهب وضعى جديد، وأن هذه المعالجة ناقصة لاعتبارات عدة. فمن ناحية تكمن صلته المعاصرة بالأحرى فى التشديد الذى أعطاه للتحليل الفلسفى بوجه عام، وليس فى استيفائه للمذهب الوضعى الجديد بوجه خاص، الذى برهن، فى صورته الدوجماتيقية الأصلية على الأقل، على أنه مرحلة عابرة. ومن ناحية ثانية لا تتصف معالجة هيوم من حيث إنه إعداد لمفكرين متأخرين، سواء أكانوا وضعيين أم لا، تفسيره للتجربة الإنسانية. وسواء اتفق المرء مع ما يقوله أم لا، فإن تفسيره لمدى المعرفة الإنسانية وحدودها، وفحصه لحياة الإنسان الفعالة الإستاطيقية والأخلاقية، ونظريته السياسية، التى تكون معاً محاولته لتطوير علم للإنسان، لا يكتنفها الغموض إلا إذا أصر على معالجة تفكيره فى خدمة تطورات فلسفية متأخرة.

وأعتقد أن هذه الاعتراضات تقوم على أسس قوية. وفى الوقت نفسه لا تمنع معالجة فلسفة هيوم على ضوء المذهب التجريبي المتأخر من بيان صلته المعاصرة. ومن المهم أن نفعل ذلك، حتى إذا حصر المرء نفسه فى جانب معين من صلته المعاصرة. إن مذهب هيوم التجريبي يعانى من أوجه نقص وقصور عديدة وخطيرة. فجزئته للتجربة إلى ذرات هى، مثلاً، من وجهة نظرى، خطأ أساسى، ونظريته عن الأفكار كما أعتقد، لا يمكن الدفاع عنها، وقد ندعى تماماً أن كانط، فى إصراره على الوحدة الترنسندنتالية للوعى من حيث إنها شرط أساسى للتجربة الإنسانية، كان تجريبياً أكثر من هيوم بمعنى ما. بيد أن أوجه النقص والقصور الموجودة فى فلسفة هيوم لا تقلل من أهميتها التاريخية. وعلى الرغم من أن تفكيره فى بعض النواحي يندرج تحت النماذج القديمة^(١)، فإن تركيزه على التحليل من الموضوعات التى تجعلنا ننظر إليه على أنه مفكر حى وفعال.

(١) على الرغم من أنه اهتم بحدود المعرفة مثلاً، ولم يهتم بطبيعة الواقع فى ذاته، فإن له إسهامات فى الأنطولوجيا. وميله للحديث كما لو كانت موضوعات الإدراك تحويرات ذاتية ميراث سيبى الحظ من أسلافه (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

تعديل. فقلما نفكر في استقراء تجربتي بصورة مباشرة مثلاً عندما نسمع اسم فولف، بطل عصر التنوير الألماني. وفي الوقت نفسه لا يوجه التعميم عناية على أية حال، حتى إذا كان بطريقة مفرطة في البساطة، إلى اختلاف فعلى في الروح والمناخ.

ويمكن أن نوضح هذا الاختلاف بالرجوع إلى النظرية الأخلاقية. لقد شكّلت نظرية إسبينوزا الأخلاقية جزءاً مكماً لمذهب عظيم يمكن تفسيره استنباطياً؛ ويرتبط بمذاهب ميتافيزيقية ارتباطاً وثيقاً. غير أننا عندما نرجع إلى نظريات هيوم الأخلاقية في إنجلترا، أو إلى نظريات هلفتيوس، والموسوعيين في فرنسا، فإننا نجد أن مؤلفاتهم تؤكد استقلال الوعي الأخلاقي، وفصل الأخلاق عن اللاهوت.

وعلى نحو مماثل بينما لا تكون فكرة العقد الاجتماعي في النظرية السياسية مستمدة من دراسة المعطيات التجريبية، وإنما تشكّل محاولة لتقديم تبرير عقلي للسلطة السياسية وتقييد الحرية الفردية في مجتمع منظم، فإننا لا نجد أن المنظرين السياسيين في القرن الثامن عشر قد اندفعوا كثيراً إلى استنباط المجتمع والسلطة من مذاهب ميتافيزيقية ولاهوتية. فقد اهتموا بدلاً من ذلك باحتياجات الإنسان الملحوظة والملموسة. وهذا هو المنظور الذي ساعد هيوم، بالتفعل، في أن يحلّ الفكرة التجريبية عن المنفعة التي نشعر بها محلّ الفكرة العقلية عن العقد الاجتماعي.

والواقع أن هذا لا يعنى القول إن رجال عصر التنوير لم تكن لديهم فروض خاصة بهم. فهم قد سلّموا بنظرية التقدم التي وفقاً لها يكمن التقدم في عقلنة الإنسان الراقى، وتتضمن هذه العقلنة تخليص الإنسان وتحريره من الخرافة الدينية، وأشكال الحكومة غير العقلية، سواء أكانت كنسية أو مدنية. وهم يرون أنهم هم الذين يمثلون ثمار التقدم، فهم مفكرو صالونات باريس الأدبية، المستثيرون والأحرار، وفضلاً عن ذلك فإن التقدم يكمن في نشر الأفكار التي دافعوا عنها، وفي إعادة تشكيل المجتمع بناء على مثل عصر التنوير. وحالما يحدث إصلاح في البناء الاجتماعي، فإن الناس يتقدمون في الأخلاق والفضيلة؛ لأن حالة الإنسان الأخلاقية تتوقف على بينته وتربيته إلى حد كبير.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفلاسفة لم يفهموا أى جانب من جوانب الإنسان سوى حياة العقل التحليلي والمتحرر. فلقد أصر هيوم، مثلاً، على الدور العظيم الذى يلعبه الشعور وأكد أن العقل هو عبد للانفعالات الطاغية، ويجب أن يكون هكذا^(١). وقد شدد "فوفنارج"^(٢) على أهمية الجانب الوجدانى من الطبيعة الإنسانية. وحتى إذا لم تكن هجمات روسو على الموسوعيين بغير أساس، فإننا لا نستطيع أن نأخذ انتقاداته الشديدة على أنها تمثل الحقيقة كلها. وفى الوقت نفسه أظهر فلاسفة التنوير تقديرًا ضئيلاً لحياة الإنسان الدينية مثلاً. وسيكون من الخلف المحال أن نرجع إلى فولتير بين الطبيعيين المؤلهة أو إلى هولباخ بين الملحدين من أجل فهم أعمق للدين. فلقد خطط هولباخ لفلسفة طبيعية للدين، غير أنها لا تُقارن بفلسفات الدين المثالية التى نجدها فى القرن التالى. وقد اهتم مفكرو القرن الثامن عشر الأحرار بفكرة تحرير الإنسان مما اعتبروه العبء المهلك لقيود الخرافة ومكائد القساوسة حتى أنه لم يكن لديهم أى فهم عميق للوعى الدينى.

ويظهر هذا العنصر من السطحية فى التيار المادى للتفكير فى فلسفة عصر التنوير مثلاً. فكما رأينا لا يمكن أن تُستخدم كلمة "مادى" بصورة مشروعة بوصفها علامة تصدق على الفلاسفة بصورة جزائية. غير أن هناك ماديين بينهم، ويقدمون لنا المشهد الهزلى للإنسان بوصفه ذاتاً يهتم برد نفسه إلى موضوع مادى خالص، إذا جاز هذا التعبير. ومن السهل أن نفهم النفور والاشمئزاز اللذين أثارهما كتاب هولباخ "نظام الطبيعة" فى عقل جوته بوصفه تلميذاً. ولم يكن هولباخ الفيلسوف المادى الأكثر غلظة وخسونة.

بيد أن سطحية فلسفة عصر التنوير فى فرنسا فى بعض جوانبها يجب ألا تعمينا عن الأهمية التاريخية للحركة. فـ "روسو" فريد من نوعه. فقد كان لأفكاره

(١) لمعرفة معنى هذا القول، انظر المجلد الرابع ص ٢٢٩ - ٢٣٧ (المؤلف). انظر ترجمتنا العربية لهذا المجلد ص ٤٠٤ (المترجم).

(٢) فوفنارج ماركبوس M. Vavenargues (١٧١٥ - ١٧٤٧) : فيلسوف أخلاقى فرنسى (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بالنسبة لأي شخص يؤمن بأن الله يكشف عن نفسه أن يقبل هذا الكشف، وغير معقول أن يرفضه. وعلى أية حال لم يتخلص رجال عصر التنوير من الفروض المسبقة والأحكام المتبصرة كما تصوروها بحماقة. وفضلاً عن ذلك فإن مذهبهم العقلى المتقائل واجهه اعتراض قوى وبصورة واضحة في القرن العشرين. غير أن كل ذلك لا يغير الواقعة التي نقول إن الرؤية التي كان لها تأثير ملحوظ في العالم الحديث أخذت شكلاً واضحاً في القرن الثامن عشر. فلقد وجد مثالا حرية التفكير والتسامح، اللذان لعبا دوراً في حضارتى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، تعبيراً مذهباً في كتابات فلاسفة القرن الثامن عشر^(١). ولا شك في أننا نستطيع أن نضيف القول بأن فلاسفة عصر التنوير الفرنسيين أعطوا دافعاً قوياً لتطوير الدراسات العلمية، في السيكلوجيا، مثلاً. ولقد كان لبعضهم، مثل دالمبير، إسهاماً فعلياً وحقيقياً في تطوير أعمال فلسفية ممتازة. بيد أن أهميتهم الأساسية تكمن، كما اعتقد، في إسهامهم في تشكيل عقلانية عامة أو رؤية عامة.

إن فلسفة عصر التنوير تعبر عن تطور الطبقات المتوسطة إلى حد ما. فمن وجهة النظر الاقتصادية كانت الطبقة المتوسطة في مرحلة التطوير لمدة طويلة. غير أن نهوضها في القرنين السابع عشر والثامن عشر انعكس في التيارات الفلسفية للتفكير التي كانت، في فرنسا، معادية للنظام القديم، والتي ساعدت في إعداد الطريق لتنظيم مختلف للمجتمع. وقد يقال إن هذه الملاحظات ذات نكهة ماركسية، غير أنها ليست خاطئة لهذا السبب بالضرورة.

وختاماً أريد أن ألفت الانتباه إلى مشكلة مختارة نشأت من فلسفة القرن الثامن عشر. لقد رأينا أن الممثلين النمطيين لعصر التنوير مالوا إلى الإصرار على فصل الأخلاق عن اللاهوت والميتافيزيقا. واعتقد أن هناك سؤالاً فلسفياً حقيقياً

(١) لا أعنى الإشارة إلى أن التسامح والإيمان بالدين الموحى به يتعارضان بالضرورة؛ إذ إنني أتحدث عن ارتباط تاريخي، وليس عن ارتباط منطقي، إذا لم يفسر المرء "حرية التفكير" بالتأكيد على نحو يصبح من تحصيل الحاصل أن نقول إن مثالي "حرية التفكير" والتسامح لا ينفصلان (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

يمكننا أن نسأل عن وضع السؤال في صورة عامة، عما إذا كنا نستطيع أن نستمد قولا ص عما ينبغي أن يكون عليه الأمر من قول عما يكون عليه؛ أعني عما إذا كنا نستطيع أن نستمد قولا أخلاقيا من قول من أقوال الواقع. إن هذه الصياغة العامة للسؤال لا تنطبق على المثال الذي قدمته فحسب، وإنما على الاستدلال على الأقوال الأخلاقية من أقوال الواقع عن خصائص الطبيعة الإنسانية، عندما لا تكون هناك إشارة إلى حقائق لاهوتية.

وقد نلاحظ أن هذا السؤال قد صاغه هيوم بوضوح. "في كل مذهب من مذاهب الأخلاق مما قد صادفته حتى الآن، لاحظت أن المؤلف ينتقل أحيانا في تدليلاته على الطريقة المألوفة، فيؤكد وجود الله، أو يثبت بعض الملاحظات عن شئون البشر، ثم أراه فجأة، بعد أن يكون في قضاياها مقررًا لما هو كائن أو ما ليس بكائن، ينتقل إلى طائفة من قضايا تشتمل كلها على "ينبغي" أو "لا ينبغي". إنه انتقال خاطئ، غير أنه بالغ الأهمية؛ لأنه لما كانت كلمة "ينبغي" أو "لا ينبغي" تعبر عن علاقة جديدة، أو إثبات جديد، كان من الضروري أن نضعها موضع البحث والتفسير، ولا بد في الوقت نفسه أن نقدم سببا لما يبدو خاطئا تماما، لا بد أن نبين كيف يمكن أن تستنبط هذه العلاقة الجديدة من علاقات أخرى تختلف عنها تماما"⁽¹⁾. ولكن على الرغم من أن هيوم قد أثار هذا السؤال بوضوح، فإن النفعيين مروا عليه مرور الكرام، ولم يُعط أهمية إلا في النظرية الأخلاقية الحديثة.

إن هذا السؤال مهم بصورة واضحة؛ لأنه لا يرتبط بالأخلاق الاستبدادية فحسب، وإنما بالأخلاق الغائية من النوع الذي يؤكد أولاً أن الإنسان يبحث عن غاية ثم يستمد عبارات ما ينبغي أن يكون من عبارات الواقع. ولقد لفت الانتباه إلى هذا السؤال نظرا لأهميته، لا بقصد أن أقوم بمناقشة للإجابة الصحيحة؛ لأن هذه المناقشة ستتضمن، مثلاً، تحليلاً لعبارات ما ينبغي أن يكون، وهذه مهمة كاتب بحث عن النظرية الأخلاقية، وليست مهمة مؤرخ للفلسفة. ومع ذلك لكي نجتنب أي

(1) Treatise, 103, 1 (Selby-Bigge, p. 469).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

بيد أننا عندما نتحدث عن "بوسيه"، أو "فيكو"، أو "مونتسكيو"، أو "كوندرسيه"، أو "لسنج"، أو "هردر" من حيث إنهم فلاسفة تاريخ، فإننا لا نفكر فى هذه الأبحاث التى تجاوز ما هو تاريخى؛ لأن هذه الأبحاث تهتم بطبيعة تدوين التاريخ ومنهجه، أكثر من اهتمامها بمجرى الأحداث التاريخية. وعندما نتحدث عن فلسفة التاريخ، فإننا نفكر فى تفسيرات المجرى الفعلى للأحداث التاريخية لا فى تحليل لمنهج المؤرخ، ومعايير الاختيار، والفروض، وغيرها. إننا نفكر فى بحث نماذج أو نموذج فى مجرى التاريخ، وفى نظريات عن القوانين العامة التى يفترض أنها فعالة فى التاريخ.

إن الحديث عن البحث عن نماذج فى التاريخ هو أمر غامض إلى حد ما. ونستطيع أن نقول على نحو كامل تماماً إن المؤرخين أنفسهم يهتمون بنماذج، فالشخص الذى يكتب تاريخ إنجلترا مثلاً يهتم بوضوح برسم نموذج معقول للأحداث. إنه لا يتركنا مع سلسلة من الأقوال التاريخية غير المترابطة مثل القول بأن "وليم الفاتح"^(١) فتح إنجلترا عام ١٠٦٦. إنه يحاول أن يبين كيف أن هذا الحدث وقع، ولماذا تصرف وليم الفاتح كما تصرف؛ إنه يحاول أن يبين الآثار التى كانت للحملة النورمندية على الحياة والثقافة الإنجليزية. وعندما يفعل ذلك فإنه يرسم نموذجاً للأحداث لا محالة. بيد أننا لا نسميه فيلسوفاً للتاريخ لهذا السبب. وفضلاً عن ذلك فإن الواقعة المحض التى نقول إن مؤرخاً معيناً يرمى شبكته على امتداد واسع ويهتم بمدى كبير من المعطيات التاريخية لا تؤمله لأن يوصف بأنه "فيلسوف تاريخ".

بيد أن البحث عن نموذج فى التاريخ قد يعنى شيئاً أكثر من ذلك. فقد يعنى محاولة بيان أن هناك نموذجاً ضرورياً فى التاريخ، وبأخذ هذا النموذج شكل حركة

(١) وليم الفاتح، هو وليم الأول (١٠٢٨ - ١٠٨٧): دوق نورمانديا ابتداء من عام ١٠٣٥، وملك إنجلترا

(١٠٦٦ - ١٠٨٧). قاد الحملة النورمندية على إنجلترا وفتحها بعد انتصاره الحاسم على هارولد

الثانى عام ١٠٦٦ (المترجم).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

السهل أن نصنّف كتابًا مثل كوندروسيه. ومع ذلك فإننا نستطيع، على الأقل، أن نقول إنهم كانوا حكم قيمة عن روح عصر التنوير، وأثر هذا الحكم في تفسيرهم للتاريخ؛ أعنى أنهم كانوا حكم قيمة مستحسنًا عن الثقافة التي شخصوها بأنها تنبثق من الماضي، وبأنها تعبر عن نفسها في روح عصر التنوير، ثم فسروا الماضي على ضوء هذا الحكم. وقد أثر هذا، كما لاحظنا من قبل، على تفسيرهم للعصور الوسطى مثلاً، التي شكلت من وجهة نظرهم حركة متخلفة على الطريق الصاعد. وبمعنى آخر لقد تأثر تفسيرهم للتاريخ ورسمهم لنموذج بأحكام القيمة. ويمكن أن نقول هذه الملاحظات نفسها على بعض المؤرخين الذين لا تتصور أنهم فلاسفة للتاريخ بوجه عام. و"جيبون" هو مثال لهؤلاء^(١). غير أن كوندروسيه يبدو أنه افترض أن قانون التقدم يؤثر في التطور التاريخي (ويتضمن تصوره لما يكون التقدم أحكام القيمة). ولهذا السبب يمكن أن يُسمى فيلسوفًا للتاريخ. إنه لم يجعل هذا الافتراض واضحًا جدًا بالفعل؛ وشدد على الحاجة إلى المجهود الإنساني، وبصفة خاصة في مجال التربية، لتهديب الإنسان والمجتمع الإنساني. بيد أن هذا الاعتقاد المتغائل والوائق في تقدم التاريخ من الظلام إلى النور يتضمن فرضًا ضمنيًا عن حركة غائية في التطور التاريخي.

ولا يبدو لي أن المرء يستطيع أن يصرف النظر عن فلسفة التاريخ على وجه مشروع بطريقة قَبَلِيَّة خالصة. وبقدر ما تهمنا فلسفات التاريخ هذه التي تزعم أنها تعميمات مستمدة من دراسة موضوعية للمعطيات التاريخية، فإن السؤال الأساسي هو عما إذا كان البرهان التجريبي هو على نحو يجعل صدق نظرية معينة احتمالية. إننا نستطيع بالتأكيد أن نثير التساؤل عما إذا كان تصور القوانين

(١) جيبون، إدورد (١٧٣٧ - ١٧٩٤)؛ مؤرخ إنجليزي. من أشهر مؤلفاته "انحطاط الإمبراطورية الرومانية وسقوطها" الذي يقع في ستة مجلدات (المترجم). وقد تُرجم إلى اللغة العربية تحت عنوان "اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها" في أربعة مجلدات بقلم د. محمد سليم سالم ومراجعة محمد علي أبو درة - دار الكتاب المصري للطباعة والنشر.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

تمامًا. إنه قد يكون صحيحًا تمامًا، وهو صحيح من وجهة نظري، أن العناية الإلهية تؤثر في التاريخ، وأن الخطة الإلهية ستتحقق سواء أرادت الموجودات الإنسانية أم أبت. بيد أنه لا ينجم عن ذلك على الإطلاق أن هذا الإيمان يمكن أن يكون ذا فائدة عملية كبيرة جدًا لدراسة التاريخ؛ إذ إن الأحداث التاريخية لها عللها الظاهرية، وبدون الوحي لا نستطيع بالفعل أن نقول كيف يرتبط المجرى الفعلي للأحداث بالعناية الإلهية. إننا نستطيع أن نخمن أنه صادق؛ إذ يمكننا أن نرى في انهيار أمة ما رمزًا للحكم الإلهي، أو رمزًا لزوال أشياء هذا العالم. غير أن التخمين وفك الرموز من وجهة نظر الإيمان لا يسمحان بالتنبؤ. وإذا كان هذان النشاطان هما ما نعنيه بفلسفة التاريخ، فإن فلسفة التاريخ ستكون ممكنة بالطبع. بيد أن هذا مسعى، ربما يكون مفيدًا وضارًا على أية حال، يستطيع أن يتعهد به رجل الإيمان إذا اختار، غير أنه لا يمكن أن يقال إنه ينتج معرفة علمية. وفضلاً عن ذلك إذا افترضنا بتهور أننا نعرف الخطة الإلهية، وأننا نستطيع أن نميز عملها في التاريخ عن طريق التأمل الفلسفي، فإننا ربما نجد أنفسنا ملتزمين بتبرير كل ما يحدث.

ليس الهدف من هذه الملاحظات أن تبين أنني أرفض فكرة فلسفة التاريخ تمامًا التي تجاوز الأبحاث التي تجاوز ما هو تاريخي مثل تحليل منهج المؤرخ وفروضة. بل الهدف منها أن تعبر عن شك خطير وحاد يخص صحة الفكرة. إنني أعتقد أن لاهوت التاريخ ممكن، غير أن مجاله محدود إلى حد كبير، لكونه محدودًا بحدود الوحي. وأنا أشك بشدة فيما إذا كان يمكن أن نذهب أبعد مما ذهب إليه القديس أوغسطين. غير أننا عندما ننقل من بوسيبه إلى فلاسفة التاريخ في القرن الثامن عشر، فإننا نجدهم يحلون الفلسفة محل اللاهوت اعتقادًا منهم أنهم يعطون نظرياتهم عن التاريخ طابع المعرفة العلمية. وأنا أشك فيما إذا كان في مقدور فلسفة التاريخ أن تفترض هذا الطابع. فلا شك أن الفلاسفة يدلون ببيانات وأقوال صادقة، غير أن السؤال هو عما إذا كانت هذه البيانات والأقوال ليست هي نوع الحقائق التي يمكن أن يدلى بها المؤرخ نفسه على نحو كامل. وبمعنى آخر إن

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ليبنس أكد الطابع الظاهري للمكان والزمان. إن نظرية كانط عما هو قَبْلِي يمكن أن ننظر إليها، بالفعل، على أنها تطوير بمعنى ما لنظرية ليبنس عن الأفكار الفطرية الفعلية، مع فارق هو أن الأفكار أصبحت وظائف مقولية فطرية. وفي الوقت نفسه يمكن أن نتذكر أن هيوم نفسه كان له إسهام ذاتي أساسي على تكوين أفكار مركبة معينة، مثل فكرة العلاقة العلّية. وبذلك يمكن أن ننظر إلى نظرية كانط عما هو قَبْلِي على أنها تأثرت أيضا بموقف هيوم على ضوء اعتقاد كانط بأن فيزياء نيوتن تزودنا بقضايا تاليفية (تركيبية) قَبْلِيّة. وبمعنى آخر لم يقدم كانط ردا على مذهب هيوم التجريبي والمذهب الظاهري فحسب، وإنما استخدم، في صياغة هذا الرد، فروضا افترضها هيوم نفسه، على الرغم من أن هيوم لم يدرك مغزاها ودلالاتها الكاملة وإمكاناتها.

ومع ذلك فإنه سيكون من الخُلف المحال لو أن المرء تصور فلسفة كانط على أنها تأليف من مذهب عقلي أوروبي ومذهب تجريبي بريطاني بمعنى أنها خليط من عنصرين مأخوذين من تيارين من التفكير متعارضين. فلقد تأثر كانط، مثله في ذلك مثل أي فيلسوف آخر، بمعاصريه وسابقيه. وعلى الرغم من أن الآراء قد تختلف عن درجة التأثير التي يمكن أن تنسب إلى ليبنس وهيوم كل على حدة، فإننا لا يمكن أن نشك في الواقعة التي تقول إن كلا منهما كان له تأثير ما على تطوير فكر كانط. وكذلك الأمر فيما يتعلق بـ "قولف" وتلاميذه. وفي الوقت نفسه فإن أي عناصر قد تُستمد من فلسفات أخرى أو تفترضها هذه الفلسفات قد تشربها كانط وفهمها وجمعها معا في نسق هو أكثر من أن يكون مجرد خليط أو مزيج.

إن عدم ملاءمة وصف مذهب كانط بأنه تأليف من المذهب العقلي والمذهب التجريبي يصبح واضحا إذا تذكرنا مشكلته الأساسية، المشكلة التي تتقشّى في فلسفته، إذا جاز هذا التعبير. لقد واجه كانط، كما رأينا، مشكلة إحداث انسجام بين عالم فيزياء نيوتن، عالم العلّية الآلية والحتمية، وعالم الحرية. ولقد واجه ديكرت

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لقد استفاد كانط، بوضوح، من فروض وأفكار استمدّها من فلاسفة آخرين عندما كان يخطط لفلسفته. ويستطيع المتخصصون أن يتعقبوا أصول هذه الفكرة أو تلك وتطورها. غير أن هذه الواقعة لا تبرر قولنا إن مذهب كانط هو مزيج من المذهب العقلي والمذهب التجريبي. فلقد اتفق كانط مع النقد التجريبي للميتافيزيقا العقلية، واتفق في الوقت نفسه مع الميتافيزيقيين فيما يخص أهمية المشكلات الفلسفية البارزة، ووجود مجال لواقع نوميئالي (عالم الشيء في ذاته) لا يستطيع العلم الفيزيائي أن يصل إليه. بيد أن هذا لا يعنى أن المذهب العقلي والمذهب التجريبي يمكن أن يرتبطا. إن قدرة كانط على الاتفاق، التي ارتبطت بقدرته على الاختلاف، مع كل حركة هي التي دفعته، بالأحرى، إلى تطوير فلسفة أصيلة. إن واقعة المعرفة العلمية ترفض المذهب التجريبي المحض وتستبعده. والتحليل النقدي لإمكان هذه المعرفة وشروطها يرفض الميتافيزيقا الدوجماتيقية ويستبعدها. غير أن الإنسان ليس ببساطة "فهماً"؛ فهو أيضاً فاعل أخلاقي. ويكشف وعيه الأخلاقي عن حريته، ويبرر تأكيداً عملياً للواقع الروحي، في حين أن تجربته الإستاتيقية تساعد في أن يعرف العالم الفيزيائي من حيث إنه تجلٍ لهذا الواقع. إننا نستطيع أن نرى في فلسفة كانط ذروة الخطوط السابقة للتفكير إلى حد ما. وبذلك ليس من المعقول أن ننظر إلى نظريته عن بناء الذات للتجربة على أنها تطوير أصيل صدر من ربط لنظرية عقلية عن أفكار فطرية فعلية بميل تجريبي للحديث كما لو كانت موضوعات التجربة المباشرة ظواهر، أو انطباعات، أو معطيات حسية. وليست لدى رغبة لأن أنكر الاتصال في تطور الفلسفة، أو إنكار الواقعة التي تقول إن فلسفة كانط أخذت الشكل الذي أخذته بسبب طابع التفكير الفلسفي السابق. بيد أنه يظل صحيحاً في الوقت نفسه أن كانط أدار ظهره عن المذهب العقلي والمذهب التجريبي بمعنى ما. وبمعنى آخر إذا أردنا أن نتحدث عن فلسفة كانط من حيث إنها "تأليف" من المذهب العقلي والمذهب التجريبي، فإنه يجب علينا أن نفهم اللفظ

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

ويمكن للمرء أن يفهم موقف كانط فى هذه المسألة. بيد أن المرء يستطيع أيضاً أن يفهم اعتراضات "فشته" على نظرية الشيء فى ذاته، التى نظر إليها على أنها لا داعى لها وليس لها فائدة، أو على أنها شيء فطيع؛ إنه يرى ضرورة استبعاد الشيء فى ذاته لمصلحة المذهب المثالى. كما أنه يرى أن كانط شخص حاول أن يجعل الأشياء تجمع بين أمرين فى آن واحد، ومن ثم أوقع نفسه فى صنوف من عدم الاتساق المينوس منها. إذا قبل المرء نظرية كانط عن دور الذات فى بناء التجربة، فإنه يكون ملزماً، كما يعتقد فشته، بأن يتقدم إلى فلسفة مثالية كاملة.

وتتضمن هذه الخطوة، لا محالة، تحولاً من نظرية المعرفة إلى الميتافيزيقا. وإذا استبعدنا الشيء فى ذاته، فإنه يترتب على ذلك أن الذات تخلق الموضوع بأكمله؛ إنها لا تشكل مادة معينة فحسب، إذا جاز هذا التعبير. والنظرية التى تقول إن الذات تخلق الموضوع هى نظرية ميتافيزيقية بصورة جلية، حتى إذا كان الوصول إليها يكون عن طريق نقد للمعرفة.

لكن ما عساها أن تكون الذات الخلاقة؟ عندما يتحدث كانط عن بناء الذات للتجربة، فإنه يتحدث عن الذات الفردية. صحيح إنه أدخل مفهوم الأنا الترنسندنتالية من حيث إنها الشرط المنطقى للتجربة، بيد أن الذات الفردية هنا هى التى يفكر فيها؛ الأنا التى هى ذات باستمرار وليس موضوعاً على الإطلاق. غير أننا إذا حولنا هذا الشرط المنطقى للتجربة إلى مبدأ ميتافيزيقى يخلق الموضوع، فإنه يصعب أن نوحده بالأنا الفردية المتناهية بدون أن نقع فى "الأنا وحيدة". إن كل الموجودات الأخرى ستكون موضوعات كما يرى "جون سميث"، وستكون بالتالى خلقه الخاص. إن "جون سميث" من حيث إنه ظاهرة، سيكون، فى واقع الأمر، خلق نفسه من حيث إنه أنا ترنسندنتالية. ومن ثم إذا استبعدنا الشيء فى ذاته وحولنا الأنا الترنسندنتالية عند كانط، التى هى شرط منطقى للتجربة، إلى المبدأ الأسمى الميتافيزيقى، فإننا سندفع فى النهاية إلى تفسيرها بأنها ذات كلية لا متناهية، تكون منتجة لكل من الذات المتناهية، والموضوع المتناهى. وستقع فى الحال فى مذهب ميتافيزيقى منتفخ تماماً.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الميتافيزيقا القديمة التي رفضها، وأنه نظر إلى هذه الميتافيزيقا الجديدة على أنها تستطيع أن تقدم معرفة حقيقية، في حين أنه لم ينظر بالتأكيد إلى ميتافيزيقا هيجل عن المطلق، مثلاً، على أنها تشكل معرفة، وبمعنى آخر لقد أنكر بالطبع أى صلة بأولئك الذين زعموا أنهم أبنائهم، تماماً مثلما رفض محاولات فشله الأولية لتطوير الفلسفة النقدية باستبعاد الشيء في ذاته. لكن على الرغم من أن المرء قد يشعر بيقين أن كانط نظر إلى شطحات أتباعه برضا كبير، فإن ذلك لا يغير الواقعة التي تقول إنه أمدهم بأساس واعد لبناءاتهم.

ومع ذلك يمكن، عن طريق التشديد على جوانب أخرى من فلسفة كانط غير تلك الجوانب التي أكدها أتباعه المثاليون، أن ننظر إليها على أنها تتجه في اتجاه مختلف أتم الاختلاف. وقد يقال إن رفض كانط للميتافيزيقا الدوجماتيقية هو أكثر من رفض لمذاهب المذهب العقلي الأوروبي منذ ديكارت حتى ليبنتس وتلامذته؛ لأن كانط بين طابع كل البراهين المزعومة التي تحتوى على مغالطة في الميتافيزيقا وبين أن المعرفة الميتافيزيقية غير ممكنة. لقد قدم كانط ميتافيزيقا جديدة خاصة به بالفعل، بيد أن ذلك كان الغرض منه هو تحليل الشروط الذاتية للتجربة. إنها لا تزعم أن تقدم لنا معرفة بما يسمى الواقع النوميالى (عالم الشيء في ذاته)، فكانط لم يقر بالإيمان بوجود واقع نوميالى بالفعل، غير أن ذلك لا يتسق مع تفسيره لوظيفة المقولات؛ لأن المقولات ليس لها مضمون ومعنى إلا في تطبيقها على الظواهر. وبذلك لا معنى لأن نتحدث، بناء على مقدمات كانط، عن الواقع النوميالى أو عن "أساس يفوق ما هو محسوس" من حيث إنه موجود. فإذا كان الواقع نفسه مقولة من المقولات بالفعل، فإنه لا معنى لأن نتحدث عن الواقع النوميالى على الإطلاق. إننا نستطيع أن نفحص طبيعة الحكم العلمى، والأخلاقى، والإستاطيقى. غير أنه ليس من حقنا، بناء على مقدمات كانط، أن نستخدم الحكم الأخلاقى من حيث إنه الأساس لأى نوع من الميتافيزيقا. إنه لا يسلم بالتأكيد بصحة هذا التفسير لتفكيره. غير أننا قد نزع، في واقع الأمر، أن الخدمة الجليلة التي

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

لنظريات كانط الخاصة فحسب، وإنما تتضمن أيضًا مناقشة لمذهب هيوم التجريبي المسئول من جهة ما عن اعتقاده بأن هذه النظريات ضرورية. والطريقة المقنعة الوحيدة بالفعل لبيان أنه يمكن أن تكون هناك معرفة ميتافيزيقية هي تقديم نماذج وبيان أنها نماذج. ولا يمكن الشروع في هذه المهام هنا، غير أنه يمكن ملاحظة أنه لا بد أن يحاول الفيلسوف في أى حوار مع كانط أن يؤكد استبصاراته ورواه، ويميز بينها وبين ما هو ضعيف أو زائف. وبمعنى آخر من الخلف والاستحالة أن نفترض أنه في حالة مفكر في هذه المكانة يمكن أن ترمى فلسفته ببساطة في كومة قمامة المذاهب المرفوضة. ولناخذ مثالاً واحداً وهو أن إصرار كانط على وحدة الوعي من حيث إنها الشرط الأساسى للتجربة الإنسانية يبدو لى أنه يمثل استبصاراً حقيقياً وهاماً. وحتى إذا كان قد فشل فى أن يدرك أن الذات الجوهرية تؤكد حقيقتها الأنطولوجية الخاصة فى الحكم، فإنه لم ينس الذات.

٧ - وفى الختام يمكن أن ننظر باختصار فى القول الذى يُقال أحياناً؛ وهو أنه بينما اهتمت فلسفة العصور الوسطى بمشكلة الوجود، فإن الفلسفة الحديثة اهتمت بمشكلة المعرفة^(١).

إن هذا قول يصعب معالجته. فإذا فهمناه بمعنى يشبه معنى القول بأن علم الفلك يهتم بالأجرام السماوية، ويهتم علم النبات بالنباتات، فإنه لن يكون قولاً صادقاً بوضوح. فمن جهة كان لدى فلاسفة العصور الوسطى قدر كبير يتصل بالمعرفة. ومن جهة أخرى إذا أخذنا الاهتمام بمشكلة الوجود على أنه يعنى الاهتمام بمشكلات الوجود، وبالتفسير الميتافيزيقى للواقع التجريبي، وبمشكلة الوحدة

(١) سلم بعض الكتاب التومانيين بأن القديس الإكويني اهتم بفعل الوجود، بينما اهتم الميتافيزيقيون العقليون فى عصر ما قبل النهضة باستنباط الماهيات. وأعتقد أن ثمة حقيقة فى هذا الزعم. وفى الوقت نفسه لا نستطيع أن نقول بصورة مشروعة إن ديكرات مر مرور الكرام على مشكلات الوجود. وعلى أية حال إننى أهتم فى هذا القسم بالمكانة التى تحتلها نظرية المعرفة فى فلسفة العصور الوسطى والفلسفة الحديثة كل على حدة، ولا اهتم بالزعم التوماني الذى ذكرته نوا (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

والدين. إن نقداً لعمل العقل يبين لنا حدود المعرفة المحدودة، غير أنه لا يحطم الواقع، أو أهمية المشكلات الميتافيزيقية الأساسية^(١). وعلى الرغم من أن الحلول مسألة للإيمان العملى أو الأخلاقى، وليست مسألة للمعرفة، فمن الطبيعى والمشروع للعقل أن يحاول تكوين رؤية عامة عن الواقع تجاوز مجالى الرياضيات والعلم، أعنى مجال المعرفة "النظرية".

لقد كان المدى الذى شرع فيه هيوم للوصول إلى أى تفسير عام للواقع، بناء على مبادئه، محدوداً للغاية بالفعل. فطبيعة الواقع فى ذاته وعلل الظواهر البعيدة يكتنفها عنده غموض لا يمكن فهمه. وبقدر ما يهمننا التفسير الميتافيزيقى، فإن العالم عنده لغز محير. ولم يكن سوى المذهب اللا أدرى هو الموقف المحسوس الذى كان ينبغى عليه أن يقبله. ومن ثم فإن فلسفته هى نقدية وتحليلية أساساً. بيد أن ذلك نفسه يمكن أن يقال عن بعض مفكرى القرن الرابع عشر. والاختلاف هو أنهم نظروا إلى الوحى واللاهوت على أنهما يزودانها بوجهة نظر عامة عن الواقع، بينما لم يفعل هيوم ذلك.

لكن على الرغم من أنه يمكن الاعتراض بناء على أسباب عديدة على القول بأن فلسفة العصور الوسطى اهتمت بمشكلة الوجود، واهتمت الفلسفة الحديثة بمشكلة المعرفة، فإن القول قد يخدم فى لفت الانتباه إلى اختلافات معينة بين فكر العصور الوسطى، وفكر ما قبل النهضة. إننا إذا أخذنا فلسفة العصور الوسطى ككل، نستطيع أن نقول إن مشكلة موضوعية المعرفة لم تكن هى المشكلة البارزة والسائدة. وأعتقد أن سبب ذلك هو أن فليسوفاً مثل الإكويينى اعتقد أننا ندرك موضوعات فيزيائية بصورة مباشرة مثل الأشجار والطاولات. إن معرفتنا الطبيعية

(١) مما هو محل للخلاف، كما لاحظنا فى القسم الماضى، أن نظرية كانط عن المتولات تودى إلى نتيجة هى أنه يجب استبعاد المشكلات الميتافيزيقية من طائفة المشكلات التى لها معنى. بيد أن كانط نفسه لا يعتقد ذلك بالتأكيد. فهو، على العكس، يشدّد على أهمية ما يُنظر إليه على أنه المشكلات الرائدة للميتافيزيقا (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

فالمشكلة لا تنشأ إلا إذا افترضنا أن للأفكار وظيفة تمثيلية، وأنها الموضوعات المباشرة للإدراك والمعرفة. لكن إذا لم تنشأ المشكلة، فإن السؤال عما إذا كانت معرفتنا للوهلة الأولى بالعالم هي معرفة موضوعية يدفع نفسه إلى الأمام. ويكون من الطبيعي أن نعالج هذا السؤال قبل أن نشرع فى أى تأليف ميتافيزيقى. إن الإستمولوجيا أو نظرية المعرفة تصبح أساسية فى الفلسفة.

وكذلك بينما يتصور فيلسوف العصور الوسطى الذهن، بالطبع، بأنه مستقبل سلبي بصورة خالصة للانطباعات، فإنه ينظر إلى نشاطه على أنه النفاذ إلى البناء الموضوعى العقلى للواقع^(١). وبمعنى آخر، لقد تصور الذهن بأنه يتطابق مع الموضوعات، ولم يتصور الموضوعات بأنها هى التى يجب أن تطابق الذهن حتى تكون المعرفة ممكنة^(٢). إنه لم يتصور ما نسميه بالعالم بأنه بناء عقلى. بيد أننا إذا سلّمنا بفلسفتى هيوم وكانط، فإنه يصبح من الطبيعى أن تسأل عما إذا كان ما نسميه بالعالم ليس نوعاً من البناء المنطقى الذى يكمن بين أذهاننا والواقع فى ذاته أو الأشياء فى ذاتها، إذا جاز هذا التعبير. وإذا اعتقدنا أن هذه مشكلة حقيقية، فإننا نميل بصورة طبيعية إلى أن نشدد على نظرية المعرفة بصورة أكبر مما لو اقتنعنا بأن الذات لا تكون واقعاً تجريئياً، وإنما تفهم طبيعته العقلية.

إن هدفى هو ببساطة هو أننا إذا وضعنا فى الاعتبار تطور فلسفة ما قبل عصر النهضة، بصفة خاصة فى المذهب التجريبي البريطانى، وفكر كانط، فمن السهل أن نفهم الهيمنة التى كانت فى الأزمنة اللاحقة لنظرية المعرفة،

(١) يصدق هذا على الميتافيزيقيين على الأكل (المؤلف).

(٢) يمكن أن نقول بمعنى ما إن الأشياء عند الإكويين لا بد أن تطابق الذات حتى تكون المعرفة ممكنة؛ لأنه على الرغم من أن كل وجود عقلى فى ذاته من وجهة نظره، فإن الذات الإنسانية هى من نوع البناء المعرفى وتمتلك هذا البناء إذا جاز هذا التعبير، حتى إن المجال الطبيعى للمعرفة يكون محدوداً؛ لأنه حتى تكون المعرفة الإنسانية ممكنة، فإن ثمة شروطاً ضرورية ومطلوبة من جانب كل من الذات والموضوع. بيد أن وجهة النظر هذه تختلف عن وجهة النظر التى تمثلها ثورة كانط الكوبرنيقية (المؤلف).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

إن الواقعة، التى ناقشناها فى القسم الأخير باختصار، والتى تقول إن فلسفة كانط النقدية قد أدت بصورة مفارقة إلى حد ما، إلى انفجار جديد لتأمل ميتافيزيقى، إلى حد ما تقريباً، قد تبدو أنها تُحسب ضد التأكيد أن كانط كان له تأثير قوى فى تركيز الانتباه على نظرية المعرفة. ومع ذلك فإن المثالية النظرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر لم تنشأ، فى واقع الأمر، من ثورة ضد إبستمولوجيا كانط، وإنما من تطوير لما بدا لأتباع كانط أنه المضامين الملائمة لوجهة نظره. وبذلك بدأ فشله بنظرية المعرفة، ونشأت ميتافيزيقا المثالية منها. وقد ينظر الكانطيون الجدد إلى المثالية النظرية على أنها خيانة للروح الكانطية الحقيقية، بيد أن ذلك لا يغير الواقعة التى تقول إن السبيل إلى الميتافيزيقا الجديدة يكون عن طريق نظرية المعرفة. وسنبين كيف حدث هذا التحول من فلسفة كانط النقدية إلى ميتافيزيقا مثالية فى المجلد القادم من "تاريخ الفلسفة".

قائمة مراجع مختصرة^(١)

بالنسبة للملاحظات العامة، والأعمال العامة انظر قائمة المراجع الموجودة في نهاية المجلد من ديكارت حتى ليبنتس.

ولقد أضفنا علامة النجمة إلى بعض العناوين حتى نعين القارئ الذي يريد توجيهها في اختيار بضعة كتب مفيدة باللغة الإنجليزية عن الحركات العامة للفكر، والمفكرين الأكثر شهرة. بيد أن عدم وجود هذه العلامة يجب ألا يؤخذ على أنه يدل على حكم سلبي عن قيمة الكتاب الذي نحن بصدد.

ويمكن أن نضيف هذه الأعمال التي تتصل بفترة عصر التنوير .

Becker, C. L. The Heavenly City of the Eighteenth-Century Philosophers. New Haven, 1932.

Cassirer, E. * The Philosophy of the Enlightenment, translated by F. Koelln and J. Pettegrove. Princeton and London, 1951.

Hazard, P. La crise de la conscience européenne (1680-1715). 3 vols. Paris, 1935.

* The European Mind, 1680-1715, translated by J. L. May. London, 1953.

La pensée européenne au XVIII siècle, de Montesquieu à Lessing. 3

(١) يرمز اختصار (E.L.) ، كما هي الحال في المجلدات السابقة ، لمكتبة الجميع (Everyman's Library).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل الأول والثاني:

عصر التنوير في فرنسا

١- بيل

نصوص:

Dictionnaire historique et critique. 2 vols., Rotterdam, 1695-7; 4 vols., 1730; and subsequent editions.

Œuvres diverses. 4 vols. The Hague, 1727-31.

Selections from Bayle's 'Dictionary', edited by E. A. Beller and M. Du P. Lee. Princeton and London, 1952.

Système de la philosophie. The Hague, 1737.

دراسات:

André, P. Le jeunesse de Bayle. Geneva, 1953.

Bolin, W. P. Bayle, sein Leben und seine Schriften. Stuttgart, 1905.

Cazes, A. P. Bayle, sa vie, ses idées, son influence, son œuvre. Paris, 1905.

Courtines, L. P. Bayle's Relations with England and the English. New York, 1938.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيرًا عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتابًا مستقلًا - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

۳- مونتسکیو

نصوص:

Œuvres, edited by E. Laboulaye. 7 vols. Paris, 1875-9.

Œuvres, edited by A. Masson. 3 vols. Paris, 1950-5.

Ds l'esprit des lois, edited with an introduction by G. True. 2 vols. Paris, 1945.

دراسات:

Barriere, P. Un grand Provincial: Charles-Louis Secondat, baron d, La Brède et de Montesquieu. Bordeaux, 1946.

Carcassonne, E. Montesquieu et le probleme de la constitution française au XVIII. siècle. Paris, 1927.

Cotta, S. Montesquieu e la scienza della società. Turin, 1953.

Dedieu, J. Montesquieu, l'homme et l'œuvre. Paris, 1943.

Duconseil, N. Machiavelli et Montesquieu. Paris, 1943.

Durkheim, S. Montesquieu et Rousseau, precursors de la sociologie. Paris, 1953 (reprint of 1892 edition).

Fletcher, F. T. H. Montesquieu and English Politics, 1750-1800. London and New York, 1939.

Levin, L. M. The Political Doctrine of Montesquieu's Esprit des lois:

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

دراسات:

Brunet, P. Mauperluis. 2 vols. Paris, 1929.

۵- فولتیر

نصوص:

Œuvres, edited by Beuchot. 72 vols. Paris, 1828-34.

Œuvres, edited by Moland. 52 vols. Paris, 1878-85.

Traité de métaphysique, edited by H. T. Patterson. Manchester, 1937.

Dictionnaire philosophique, edited by J. Benda. Paris, 1954.

Philosophical Dictionary, selected and translated by H. I. Woolf. London, 1923.

Lettres philosophiques, edited by F. A. Taylor. Oxford, 1943.

Bengesco, G. Voltaire. Bibliographie de ses œuvres. 4 vols. Paris, 1882-92.

دراسات:

Aldington, R. Voltaire. London, 1926.

Alexander, J. W. Voltaire and Metaphysics (in Philosophy for 1944).

Bellesort, A. Essai sur Voltaire. Paris, 1950.

Bersot, E. La philosophie de Voltaire. Paris, 1848.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

O'Flaherty, K. Voltaire. Myth and Reality. Cork and Oxford, 1945.

Pellissier, G. Voltaire philosophe. Paris, 1908.

Pomeau, R. La religion de Voltaire. Paris, 1956.

Rowe, C. Voltaire and the State. London, 1956.

Torrey, N. L. The Spirit of Voltaire. New York, 1938.

Wade, O. Studies on Voltaire. Princeton, 1947.

٦- فوفينارج

نصوص:

Œuvres, edited by P. Varillon. 3 vols. Paris, 1929.

Œuvres choisies, with an introduction by H. Gaillard de Champris, Paris, 1942.

Rijlexions et maximes. London, 1936.

Reflections and Maxims, translated by F. G. Stevens. Oxford, 1940.

دراسات:

Borel, A. Essai sur Vauvenargues. Neuchâtel, 1913.

Merlant, J. De M ontaigne à Vauvenargues. Paris, 1914.

Paléologue, G. M. Vauvenargues. Paris, 1890.

Rocheblave, S. Vauvenargues au la symphonie inachevée. Paris, 1934.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Lenoir, R. Condillac. Paris, 1924.

Le Roy, G. La psychologie de Condillac. Paris, 1937.

Meyer, P. Condillac. Zürich, 1944.

Razzoli, L. Pedagogia di Condillac. Parma, 1935.

Tomeucci, L. Il problema dell' esperienza dal Locke al Condillac. Messina, 1937.

٨- هلفسيوس

نصوص:

Œuvres. 7 vols. Deux-Ports, 1784.

5 vols. Paris, 1792.

Choix de texte», edited with an introduction by J. B. Severac, Paris, 1911.

A Treatise on Man, translated by W. Hooper. London, 1777.

دراسات:

Cumming, I. HelfJetius. London, 1955.

Grossman, M. The Philosophy of Helvetius. New York, 1926.

Horowitz, I. L. C. Helvetius, PhilosoPher of Democracy and Enlighten- ment. New York, 1954.

Keirn, A. Helvetius, sa vie et son CBUwe. Paris, 1907.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

-Gordon, D. H., and Torrey, N. L. The Censoring of Diderot's Encyclopaedia. New York, 1949.

Grosclaude, P. Un audacieux message, l'Encyclopllie. Paris, 1951.

Hubert. R. Les sciences sociales dans l'Encyclopllie. Paris, 1923.

Mornet, D. Les origines intellectuelles de la revolution frallfaise (1715- 87). Paris, 1933.

Mousnier, R., and Labrousse, E. Le XVIII siecle. Révolution intellectuelle, technique et politique (I7I5-I8I5). Paris, 1953.

Roustan, M. Les philosophes et la societe frallfaise au XVIII siecle. Lyons, 1906.

The Pioneers of the French Revolution, translated by F. Whyte. Boston, 1926.

Schargo, N. N. History in the Encyclopaedia. New York, 1947.

Venturi, F. Le origini deU'Encicloplltlia. Florence, 1946.

۱۰- دیدرو

نصوص:

Œuvres, edited by Assezat and Tournaux. 2 vols. Paris, 1875-9.

Œuvres, edited by A. Billy. Paris, 1952.

Correspondance, edited by A. Babelon. Paris, 1931.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Loy, J. R. Diderot's aetermined Fatalist. A critical Appreciation of 'Jacques lefataliste'. New York, 1950.

Luc, J. Diderot. L'artiste e' le philosophe. Suivi ae textes choisis de Diderot. Paris, 1938.

Luppol, I. K. Diaerot. Ses idees philosophiques. Paris, 1936.

Mauveaux, J. Diderot, l'encyclopldiste et le penseur. MontblHiard, 1914.

Mesnard, P. Le cas Dideroi, Etude ae caracterologie litteraire. Paris. 1952.

Morley, J. Diderot and the Encyclopaedists. 2 vols. London. 1878.

Momet, D. Diderot.l'homme et l'(Buvre. Paris, 1941.

Rosenkranz. K. Diderots Leben und Werke. 2 vols. Leipzig, 1886.

Thomas, J. L'humanisme de Diderot. 2 vols. Paris, 1938 (znd edition).

Venturi, F. Jeunesse ae Diderot. Paris, 1939.

١١- دالمبير

نصوص:

Œuvres philosophiques. edited by Bastien. 18 vols. Paris, 1805.

Œuvres et co''espondance inldites. edited by C. Henry. Paris, 1887.

Discours sur l' Encyclopedie, edited by F. Picavet. Paris, 1919.

Traité de dynamique. Paris, 1921.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندروسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

١٢- هولباخ

نصوص:

Systeme de la nature. Amsterdam, 1770.

Systeme sociale. London, 1773.

La politique naturelle. Amsterdam, 1773.

La morale universelle. Amsterdam, 1776.

دراسات:

Cushing, M. P. Baron d'Holbach. New York, 1914.

Hubert, R. V'Holbach et ses amis. Paris, 1928.

Naville, P. P. T. D'Holbach et la philosophie scientifique au XVIII^e siècle. Paris, 1943.

Plekhanov, G. V. Essays in the History of Materialism, translated by R. Fox. London, 1934.

Wickwaer, W. H. Baron d' Hobach. A Prelude to the French Revolution. London, 1935.

١٤- كابانيس

نصوص:

Œuvres. edited by Thurot. Paris, 1823-5.

Lettre a Fauriel sur les causes premières. Paris, 1828.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

essais de la nature qui apprend a faire l' homme. Paris, 1768.

Parallèle de la condition et des facultes de l'homme avec la condition et les facultes des autres animaux. Bouillon, 1769.

دراسات:

Albert, R. Die Philosophie Robinets. Leipzig, 1903.

Mayer, J. Robinet, Philosophie de la nature (Revue des sciences humaines. Lille, 1954, pp. 295-309).

۱۷- بونیه

نصوص:

Œuvres. 8 vols. Neuchatel, 1779-83.

Memoires autobiographiques, edited by R. Savioz. Paris, 1948.

دراسات:

Bonnet, G. Ch. Bonnet. Paris, 1929.

Claparede, E. La psychologie animée de Ch. Bonnet. Geneva, 1909.

Lemoine, A. Ch. Bonnet de Geneve, Philosophie et naturaliste. Paris, 1850.

Savioz, R. La Philosophie de Ch. Bonnet. Paris, 1948.

Trembley, J. Memoires pour servir a l'histoire de la vie et des ouvrages de M. Bonnet. Berne, 1794.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

۱۹- کینای وتورجو

نصوص:

Œuvres économiques et philosophiques de F. Quesnay, edited by A. Oncken. Paris. 1888.

Œuvres de Turgot, edited by Dupont de Nemours. 9 vols. Paris. 1809-11. Supplement edited by Dupont, Daire and Duggard. 2 vols. Paris. 1884.

Œuvres de Turgot. edited by G. Schelle. 5 vols. Paris. 1913-32.

دراسات:

Bourthoumieux, C. Essai sur le Fondement Philosophique des doctrines économiques. Rousseau contre Quesnay. Paris. 1936.

Fiorot, D. La filosofia politica dei fisiocrati. Padua, 1952.

Gignoux, C. J. Turgot. Paris, 1946.

Schelle, G. Turgot, Paris, 1909.

Stephens, W. W. Life and Writings of Turgot. London, 1891.

Vigreux, P. Turgot. Paris, 1947.

Weuleresse, G. Le mouvement physiocratique en France de 1756 à 1770. Paris, 1910.

La physiocratie Sous les ministeres de Turgot et de Necker. Paris, 1950.

الفصل الثالث والرابع:

روسو

نصوص:

Œuvres complètes. 13 vols. Paris, 1910. (There are, of course, other editions of Rousseau's works; but there is as yet no complete critical edition.)

Correspondence generale de J. J. Rousseau, edited by T. Dufour and P. P. Plan. 20 vols. Paris. 1924-34.

Le Contrat social, edition comprenant, avec le texte dijinitif, les versions primitives de l' ouvrage collationnees sur les manuscrits autographes de Geneve et de Neuchtttel. Edition Dreyfus-Brisac. Paris, 1916.

Du contrat social, with an introduction and notes by G. Beaulavon. Paris, 1938 (5th edition).

Discours sur l'origine et les fondements de l'inegalite parmi les homes, edited with an introduction by F. C. Green. London, 1941.

J-J. Rousseau. Political Writings, selected and translated with an introduction by F. M. Watkins. Edinburgh, 1954.

The Political Writings of Jean Jacques Rousseau, edited by C. E. Vaughan. 2 vols. Cambridge, 1915.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "فلسفة التاريخ" - في فصلين، يستعرض في الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

في حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - في سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Casotti, M. Rousseau e l'educazione morale. Brescia, 1952.

Cassirer, E. * Rousseau, Kant, Goethe, translated by J. Gutman, P. O. Kristeller and J. H. Randall, Jr. Princeton, 1945.

The Question of J-J. Rousseau, translated and edited with introduction and additional notes by P. Gay. New York, 1954.

Chapman, J. W. Rousseau, Totalitarian or Liberal? New York, 1956.

Chaponnière, P. Rousseau. Zürich, 1942.

Cobban, A. Rousseau and the Modern State. London, 1934.

Cresson, A. J-J. Rousseau. Sa vie, son Oeuvre, sa philosophie. Paris, 1950 (3rd edition).

Derathe, R. Le rationalisme de J-J. Rousseau. Paris, 1948.

J-J. Rousseau et la science politique de son temps. Paris, 1950.

Di Napoli, G. Il pensiero di G. G. Rousseau. Brescia, 1953.

Ducros, L. J-J. Rousseau. 3 vols. Paris, 1908-18.

Erdmann, K. D. Das Verhältnis von Staat und Religion nach der Sozialphilosophie Rousseaus. Der Begriff der 'religion civile'. Berlin, 1935.

Faguet, E. Rousseau penseur. Paris, 1912.

Fester, R. Rousseau und die deutsche Geschichtsphilosophie. Stuttgart, 1890.

Flores d'Arcais, G. Il problema pedagogico nell'Emilio di G. G. Rousseau. Brescia, 1954 (2nd edition).

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

- Lombardo, S. Rousseau nel contralto sociale. Messina, 1951.
- Marrain, J. Three Reformers: Luther, Descartes, Rousseau. London, 1945 (reprint).
- Masson, P. M. La religion de Rousseau. 3 vols. Paris, 1916.
- Meinhold, P. Rousseaus GescMc/alsPhilosophie. Tübingen, 1936.
- Mondolfo, R. Rousseau et la coscienza moderna. Florence, 1954.
- Moreau, L. J-J. Rousseau" le siecle philosophique. Paris, 1870.
- Morel, J. Recherches sur les sources du discours de J-J. Rousseau sur l'origine el les fondements de l'inegalité. Lausanne, 1910.
- Morley, J. * Rousseau. 2 vols. London, 1883 (snd edition).
- Pahlmann, F. Mensch Und Staat bei Rousseau. Berlin, 1939.
- Petruzzelis, N. Il pensiero politico e pedagogico di G. G. Rousseau. Milan, 1946.
- Pons, J. L'iducation en Angleterre entre 1750 et 1800. Aperqu sur l'influence de J-J. Rousseau en Angleterre. Paris, 1919.
- Proal, L. La psychologie de J-J. Rousseau. Paris, 1923.
- Reiche, E. Rousseau Und das Naturrecht. Berlin, 1935.
- Roddier, H. J-J. Rousseau en Angleterre au XVIII- siecle. Paris, 1950.
- Saloni, A. Rousseau. Milan, 1949.
- Schiefenbusch, A. L'influence de J-J. Rousseau sur les beaux arts en, France. Geneva, 1930.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل الخامس:

عصر التنوير فى ألمانيا

١- توماسيوس

نصوص:

Institutionum iurisprudentiae divinae libri tres. Frankfurt and Leipzig, 1688.

Einleitung zu der Vernunftlehre. Halle, 1691.

Ausüoung der Vernunftlehre. Halle, 1691.

Ausüoung der Sittenlehre. Halle, 1696.

Versuch vom Wesen des Geistes. Halle, 1699.

Introductio in philosophiam rationalem. Leipzig, 1701.

Kleine deutsche Schriften. Halle, 1701.

Fundamenta iuris naturae et gentium et sensu communi deducta in quibus secernuntur principia honesti. iusti ac decori. Halle, 1705.

Dissertationes academicae. 4 vols. Halle, 1733-80.

دراسات:

Battaglia, F. Cristiano Thomasio, filosofo e giurista. Rome, 1935.

Bieber, G. Staat und Gesellschaft bei C. Thomasius. Giessen, 1931.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Gesammelte kleinere Schrijten. 6 vols. Halle, 1736-40.

Ius naturae methodo 'Scientifica pertractata. 8 vols. Frankfurt and Leipzig, 1740-48.

Ius gentium. Halle, 1750.

Oeconomica. Ibid., 1750.

Philosophia moralis sive Ethica. 5 vols, Ibid., 1750-3.

دراسات:

Arnsperger, W. Ch. Wolffs Verhalenis zu Leibni. Heidelberg, 1897.

Campo, M. Cb. Wolff e il razionalismo precritico. 2 vols. Milan, 1939.

Frank, R. Die Wolffsche Stra Frechts Philosophie und ihr Verhaltnis zur kriminalpolitischen Aujklarung im 18. Jahrhundert. Gottingen, 1887.

Frauendienst, W. Ch. Wolff als Staatsdenker. Berlin, 1927.

Heilemann, P. A. Die Gotteslehre des Cb. Wolff. Leipzig, 1907.

Joesten, C. Ch. Wolffs Grundlegung der praktischen Philosopnie. Leipzig, 1931.

Kohlmeyer, E. Kosmos und Kosmonomie bei Ch. Wolff. Göttingen, 1911.

Levy, H. Die Religionsphilosophie Ch. Wolffs. Wiirzburg, 1928.

Ludovici. C. G. Ausjuhrlicher Entwurj einer vollsttindigen Histone

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Ethica philosophica. Halle, 1765.

Philosophia generalis. Halle, 1769.

دراسات:

Bergmann, E. Die Begründung der deutschen Aesthetik durch Baumgarten und G. F. Maier. Leipzig, 1911.

Maier, G. F. A. G. Baumgartens Leben. Halle, 1763.

Peters. H. G. Die Aesthetik A. G. Baumgartens und ihre Beziehungen zum Ethischen. Berlin, 1934.

Poppe, B. A. G. Baumgarten, seine Bedeutung und Stellung in der Leibniz-Wolfschen Philosophie. Berne-Leipzig, 1907.

٤- فردريك الأكبر

نصوص:

Antimachiavell. The Hague, 1740.

Essai sur l' amour propre envisage comme principe de la morale. Berlin, 1770.

Œuvres de Frederic le Grand. 30 vols. Berlin, 1847-57. Vols. 8 and 9 Œuvres philosophiques.

Briefwechsel mit Maupertuis, edited by R. Koser. Berlin, 1898.

Briefwechsel mit Voltaire, edited by R. Koser and H. Droysen. Berlin, 1908.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

٥- ریماروس

نصوص:

Abhandlungen von den vornehmsten Wahrheiten der natürlichen Religion. Hamburg, 1754.

Vernunftlehre. Hamburg and Kiel, 1756.

Allgemeine Betrachtungen aber die Triebe der Tiere, hauptsächlich über ihren Kunsltrieb. Hamburg, 1760.

Apologie oder Schutzschrift far die vernanftigen Verehrer Golles. See p.123.

دراسات:

Buettner, W. H. S. Reimarus als Metaphysiker. Wurzburg, 1909.

Koestlin, H. Das religiöse Erleben bei Reimarus. Tübingen, 1919.

Loeser, M. Die Kritik des H. S. Reimarus am allen Testament. Berlin 1941.

Lundsteen, A. C. H. S. Reimarus und die Anfänge der Leben-Jesu Forschung. Copenhagen, 1939.

٦- مندلسون

نصوص:

Werke. edited by G. B. Mendelssohn. 7 vols. Leipzig, 1843-4.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Arx, A. von. Lessing und die geschichtliche Welt. Frankfurt. 1944.

Bach, A. Der Aufbruch des deutschen Geistes. Lessing. Klopstock, Herder. Markkleeberg. 1939.

Fischer, K. Lessing, als Reformator der deutschen Literatur. 2 vols. Stockholm, 1881.

Fittbogen, G. Die Religion Lessings. Halle, 1915.

Flores d'Arcais, G. L'estetica nel Laocoonte di Lessing. Padua, 1935.

Garland, H. B. Lessing, the Founder of Modern German Literature. London, 1937.

Gonzenbach, H. Lessings Gottesbegriff in seinem Verhältniss zu Leibniz und Spinoza. Leipzig, 1940.

Kommerell, M. Lessing und Aristoteles. Untersuchung über die Theorie der Tragödie. Frankfurt, 1940.

Leander, F. Lessing als ästhetischer Denker. Goteborg, 1942.

Leisegang, H. Lessings Weltanschauung. Leipzig, 1931.

Milano, P. Lessing. Rome, 1930.

Oehlke, W. Lessing und seine Zeit. 2 vols. Munich, 1929 (2nd edition).

Robertson, G. Lessing's Dramatic Theory. Cambridge, 1939.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتاته الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Seidel, A. Tetens Einfluss auf die kritische Philosophie Kants (dissert.). Leipzig, 1932.

Uebele, W. J. N. Tetens nach seiner Gesamtentwicklung betrachtet mit besonderer Berücksichtigung des Verhältnisses zu Kant (Kantstudien, Berlin, 1911, suppl. vol. 24, viii, 1-238).

Zergiebel, K. Tetens und sein system der Philosophie (Zeitschrift für Philosophie und Pädagogik, Langensalza, vol. 19, 1911-12, pp. 273-79, 321-6).

۹-باسیدو

نصوص:

Philalethie. Lubeck, 1764.

Theoretisches System der gesunden Vernunft. Leipzig, 1765.

Vorstellung an Menschenfreunde und vermögende Männer über Schulen, Studien und ihren Einfluss in die öffentliche Wohlfahrt. Bremen, 1768.

Elementarwerk. 4 vols. Dessau, 1774.

دراسات:

Diestelmann, R. Basedow. Leipzig, 1897.

Pantano-Migneco, G. G. B. Basedow e il filantropismo. Catania, 1917.

Piazzini, A. L'educazione Filantropica nella dottrina e nell' opera di G. B. Basedow. Milan, 1920.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Jónasson, M. Recht und Sillichkeit in Pestalozzis Kulturtheorie. Berlin, 1936.

Mayer, M. Die positive Moral bei Pestalozzi von 1766-1797 (dissert.), Charlottenburg, 1934.

Otto, H. Pestalozzi. Berlin, 1948.

Pinloche, A. Pestalozzi et l'éducation populaire moderne. Paris, 1902.

Reinhart, J. J. H. Pestalozzi. Basel, 1945.

Schönebaum, H. J. H. Pestalozzi, Berlin, 1954.

Sganzini, C. Pestalozzi, Palermo, 1928.

Spranger, E. Pestalozzis Denkformen. Zürich, 1945.

Wehnes, F. J. Pestalozzis Elementarmethode. Bonn, 1955.

Wittig, H. Studien zur Anthropologie Pestalozzis. Weinheim, 1952.

١١-هامان

نصوص:

Sämtliche Schriften. Edited by F. Roth. 8 vols. Berlin, 1821-43.

Sämtliche Schriften. Critical edition by J. Nadler. 6 vols, Vienna, 1949-57.

Briefwechsel. Edited by W. Ziesemer and A. Henkel. 2 vols. Wiesbaden, 1955-6.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Outlines of a Philosophy of the History of Man. Translated by T. Churchill. London, 1803 (2nd edition).

The Spirit of Hebrew Poetry. Translated by J. Marsh. 2 vols. Burlington, Vt., 1832.

God. Some Conversations. Translated by F. H. Burkhardt. New York, 1949 (2nd edition).

دراسات:

Andress, J. M. J. G. Herder as an Educator. New York, 1916.

Aron, E. Die deutsche Erweckung des Griechentums durch Winckelmann und Herder (dissert.). Heidelberg, 1929.

Bach, R. Der Aufbruch des deutschen Geistes: Lessing, Klopstock, Herder. Markkleeberg, 1940.

Baumgarten, O. Herders Lebenszweck und die religiöse Frage der Gegenwart. Tübingen, 1905.

Bäte, L.J. G. Herder. Der Weg, das Werk, die Zeit. Stuttgart, 1948.

Berger, F. Menschenbild und Menschenbildung. Die philosophisch-pädagogische Anthropologie J. G. Herders. Stuttgart, 1933.

Bernatzki, A. Herders Lehre von der ästhetischen Erziehung (dissert.). Breslau, 1925.

Blumenthal, E. Herders Auseinandersetzung mit der Philosophie Leibnizens (dissert.). Hamburg, 1934.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

vols. Berlin, 1954. (Reprint of 1877-85 edition.)

Henry, H. Herder und Lessing: Umrisse ihre, Bexichung. Wurzburg, 1941.

Joens, D. W. Begriff und Problem der historischen Zeit bei J. G. Herder. Göteborg, 1956.

Joret, C. Herder et la renaissance litteraire en Allemagne au XVIII siècle. Paris, 1875.

Knorr, F. Das Problem der menschlichen Philosophie bei Herder (dissert.). Coburg, 1930.

Kronenberg, M. Herders Philosophie nach ihrem Entwicklungsgang und ihrer historischen Stellung. Heidelberg, 1889.

Kuhfuss, H. Gott und Welt in Herders 'Ideen zur Philosophie der Geschichte der Menschheit' (dissert.), Emsdetten., 1938.

Kühnemann, E. Herder. Munich, 1927 (2nd edition).

Landenberger. A. J. G. Herder, sein Leben, Wirken und Charakterbild. Stuttgart, 1903.

Litt, T. Kant Und Herder als Deuter der geistigen Welt. Heidelberg, 1949 (2nd edition).

Die Bejreung des geschichtllcheh Bewusstseins durch Herder. Leipzig, 1942.

McEachran. F. The Life and Philosophy of J. G. Herder. Oxford, 1929.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Aus F. H. Jacobis Nachlass. Edited by R. ZOpporitz. 2 vols. Leipzig, 1869.

Auserlesener Briejwechsel. Edited by F. Roth, 2 vols. Leipzig, 1825-7.

Briejwechsel zwischen Goethe und F. H. Jacobi. Edited by M. Jacobi. Leipzig, 1846.

Briefe an Bouterwerk aus den Jahren 1800-1819. Edited by W. Meyer. Gottingen, 1868.

دراسات:

Bollnow, O. F. Die Lebensphilosophie F. H. Jacobis. Stockholm, 1933.

Fischer, G. j. M. Sailer und F. H. Jacobi. Fribourg, 1955.

Frank, A. Jacobis Lehre vom Glauben. Halle, 1910.

Heraens, O. F. Jacobi und der Sturm ,und Drang, Heidelberg, 1928.

Hoelters, H. Der spinozistische Gottesbegriff bei Mendelssohn und Jacobi und der Gottesbegriff Spinozas (dissert.). Bonn, 1938.

Lévy-Bruhl, L. La Philosophie de Jacobi. Paris, 1894.

Schmid, F. A. F. H. Jacobi. Heidelberg, 1908.

Thilo, C. A. Jacobis Religionsphilosophie. Langensalza, 1905.

Zirngiebl, E. F. H. Jacobis Leben, Dichten und Denken. Vienna, 1867.

الفصل السادس والسابع:

نشأة فلسفة التاريخ

١- بوسويه

نصوص:

Œuvres complètes. Edited by P. Guillaume. 10 vols. Bar-le-Duc. 1877.

دراسات:

Auneau. A. Bossuet. Avignon, 1949.

De Courten, C. Bossuet e il suo 'Discours sur l'histoire universelle'. Milan, 1927.

Nourisson, A. Essai sur la philosophie de Bossuet. Paris, 1852.

٢- فيكو

نصوص:

Opere. Edited by F. Nicolini. 8 vols. (II 'tomes'). Bari, 1914-41.

La Scienza Nuova seconda, giusta la edizione del 1744, con le varianti del 1730 e di due redazioni intermedie inedite. Edited by F. Nicolini. 2 vols.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسيه، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

- Berry, T. *The Historical Theory of G. B. Vico*. Washington, 1949.
- Cantone, C. *concetto filosofico di diritto in G. B. Vico*. Mazana, 1952.
- Caponigri, A. R. *Time and Idea, the Theory of History in Giambattista Vico*. London, 1953.
- Cappello, C. *La dottrina della religione in G. B. Vico*. Chieri, 1944.
- Chaix-Ruy, J. *Vie de J. B. Vico*. Paris, 1945.
- La Formation de la pensee philosophique de J. B. Vico*. Paris, 1945.
- Chiochetti, E. *La filosofia di Giambattista Vico*. Milan, 1935.
- Cochery, M. *Les grandes lignes de la Philosophie historique et juridique de Vico*. Paris, 1923.
- Corsano, A. *Umanesimo e religione in G. B. Vico*. Bari, 1935.
- G. B. Vico*. Bari, 1956.
- Croce, B. *La filosofia di G. B. Vico*. Bari, 1911.
- Dorati, B. *Nuovi studi sulla filosofia civile di G. B. Vico. Con documenti*. Florence, 1936.
- Federici, G. C. *Il principio animatore della filosofia vichiana*. Rome, 1947.
- Flint, R. * *Vico*. Edinburgh, 1884.
- Fubini, M. *Stile e umanita in G. B. Vico*. Bari, 1946.
- Gentile, G. *Studi vichiani*. Messina, 1915.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

الفصل الثامن - السادس عشر:

كانط

نصوص:

Gesammelte Schriften. Critical edition sponsored by the Prussian Academy of Sciences. 22 vols. Berlin, 1902-42.

Immanuel Kants Werke. Edited by E. Cassirer. II vols. Berlin, 1912-18.

Kant's Cosmogony. Translated by W. Hastie. Glasgow, 1900. (Contains the Essay on the Retardation of the Rotation of the Earth and the Natural History and Theory of the Heavens.)

A New Exposition of the First Principles of Metaphysical Knowledge (contained as an Appendix in F. E. England's book, listed below).

An Inquiry into the Distinctions of the Principles of Natural Theology and Morals (contained in L. W. Beck's translation of Kant's moral writings, listed below).

Dreams of a Spirit-Seer Illustrated by the Dreams of Metaphysics. Translated by E. F. Goerwitz, edited by F. Sewall. New York, 1900.

Inaugural Dissertation and Early Writings on Space. Translated by J. Handyside. Chicago, 1929.

Critique of Pure Reason. Translated by N. K. Smith. London, 1933 (2nd edition).

Critique of Pure Reason. Translated by J. M. D. Meiklejohn, with an introduction by A. D. Lindsay. London (E.L.).

Prolegomena to Any Future Metaphysic. Translated by J. P. Mahaffy and J. H. Bernard. London, 1889.

Prolegomena to Any Future Metaphysic. Translated by P. Carus, revised by L. W. Beck. New York, 1950.

Prolegomena to Any Future Metaphysics. Translated with introduction and notes by P. G. Lucas. Manchester, 1953.

Immanuel Kant: Critique of Practical Reason and Other Writings in Moral Philosophy. Translated and edited by L. W. Beck. Chicago, 1949. (Contains An Inquiry, as mentioned above, Foundations of the Metaphysics of Morals, Critique of Practical Reason, What is Orientation in Thinking?, Perpetual Peace, On a Supposed Right to Lie from Altruistic Motives, and selections from the Metaphysics of Morals.)

Kant's Critique of Practical Reason and Other Works on the Theory of Ethics. Translated by T. K. Abbott. London, 1909 (6th edition). (Contains a Memoir of Kant, Fundamental Principles of the Metaphysics of Morals, Critique of Practical Reason, the Introduction to the Metaphysics of Morals, the Preface to the Metaphysical Elements of Ethics, the first part of Religion within the Limits of Reason Alone, On a Supposed Right to Lie from Altruistic Motives, and On the Saying 'Necessity has no Law'.)

The Metaphysics of Ethics. Translated by J. W. Semple. Edinburgh, 1886 (3rd edition).

The Moral Law or Kant's Groundwork of the Metaphysics of Morals. Translated with an introduction by H. J. Paton. London, 1950.

Kant's Lectures on Ethics. Translated by L. Infield. London, 1930.

Critique of Judgment. Translated by J. H. Bernard. London, 1931 (2nd edition).

Religion within the Limits of Reason Alone. Translated by T. M. Greene and H. H. Hudson, with an introduction by T. M. Greene. Glasgow, 1934.

Perpetual Peace, A Philosophical Essay. Translated by M. Campbell Smith. London, 1915 (reprint).

Kant. Selections. Edited with an introduction by T. M. Greene. London and New York, 1929.

دراسات:

Adickes, E. Kant als Naturforscher. 2 vols. Berlin, 1924-5.

Kant und das Ding an sich. Berlin, 1924.

Kant und die Als-ob-Philosophie. Stockholm, 1927.

Kants Lehre von der doppelten Affektion unseres Ich als Schlüssel zu seiner Erkenntnistheorie. Tübingen, 1929.

Aebi, M. Kants Begründung der 'deutschen Philosophie'. Basel, 1947.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

* Kant's First Critique: an Appraisal of the Permanent Significance of Kant's Critique of Pure Reason. London, 1955.

Cohen, H. Kommentar zu Kants Kritik der reinen Vernunft. Leipzig, 1917 (2nd edition).

Kants Theorie der reinen Erfahrung. Berlin, 1918 (3rd edition).

Kants Begründung der Ethik. Berlin, 1910 (2nd edition).

Vom Kants Einfluss auf die deutsche Kultur. Berlin, 1883.

Kants Begründung der Aesthetik. Berlin, 1889.

Coninck, A. de. L'analytique de Kant (Part I: La critique kantienne). Louvain, 1955.

Cornelius, H. Kommentar zur Kritik der reinen Vernunft. Erlangen, 1926.

Cousin, V. Lefons sur la philosophie de Kant. Paris, 1842.

Cresson, A. Kant, sa vie, son œuvre. Avec un exposé de sa philosophie. Paris, 1955 (2nd edition).

Daval, R. La métaphysique de Kant. Perspectives sur la métaphysique de Kant d'après la théorie du schématisme. Paris, 1951.

Delbos, V. La Philosophie pratique de Kant. Paris, 1905.

Denckmann, G. Kants Philosophie des Aesthetischen. Heidelberg, 1949.

Döring, W. O. Das Lebenswerk Immanuel Kants. Hamburg, 1947.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Heidegger, M. Kant Und das Problem der Metaphysik. Bonn, 1929.

Heimsoeth, H. Studien zur Philosophie I. Kants. Metaphysische Ursprunge und ontologische Grundlagen. Cologne, 1955.

Herring, H. Das Problem der Affektation bei Kant. Cologne, 1953.

Heyse, H. Der Begriff der Ganzheit und die kantische Philosophie. Munich, 1927.

Jansen, B., S.J. Die Religionsphilosophie Kants. Berlin and Bonn, 1929.

Jones, W. T. * Morality and Freedom in the Philosophy of Immanuel Kant. Oxford, 1940.

Kayser, R. Kant. Vienna, 1935.

Klausen, S. Die Freiheitsidee in ihrem Verhältnis zum Naturrecht und positivem Recht bei Kant. Oslo, 1950.

Körner, S. * Kant. Penguin Books, 1955.

Kronenberg, M. Kant. Sein Leben und seine Werke. Munich, 1918 (5th edition).

Kroner, R. Von Kant bis Hegel. 2 vols. Tübingen, 1921-4.

* Kant's Weltanschauung. Translated by J. E. Smith. Chicago, 1956.

Kruger, G. Philosophie und Moral in der kantischen Kritik. Tübingen, 1931.

Kühnemann, E. Kant. 2 vols. Munich, 1923-4.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Miller, O. W. *The Kantian Thing-in-itself or Creative Mind*. New York, 1956.

Natorp, P. *Kant über Krieg und Frieden*. Erlangen, 1924.

Nink, C., S.J. *Kommentar zu Kants Kritik der reinen Vernunft*. Frankfurt, 1930.

Noll, B. *Das Gestaltproblem in der Erkenntnistheorie Kants*. Bonn, 1946.

Oggiani, E. *Kant empirista*. Milan, 1948.

Pareyson, L. *L'estetica dell'idealismo tedesco: 1, Kant*. Turin, 1950.

Paton, H. J. * *Kant's Metaphysics of Experience: A Commentary on the First Half of the Kritik der reinen Vernunft*. 2 vols. London, 1952 (2nd edition) .

* *The Categorical Imperative: A Study in Kant's Moral Philosophy*. London, 1948.

Paulsen, F. *Immanuel Kant: His Life and Doctrine*. Translated by J. E. Creighton and A. Lefevre. New York, 1902.

Pfleiderer, E. *Kantischer Kritizismus und englische Philosophie*. Tübingen, 1881.

Reich, C. *Die Vollständigkeit der kantischen Urteilstafel*. Berlin, 1932. *Kants Einzigmöglicher Beweisgrund zu einer Demonstration des Daseins Gottes*. Berlin, 1932.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التأليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Souriau, M. Le jugement réfléchissant dans la philosophie critique de Kant. Paris, 1926.

Specht, E. K. Der Analogiebegriff bei Kant und Hegel. Cologne, 1952.

Stuckenberg, J. H. W. The Life of Immanuel Kant. London, 1882.

Teale, E. Kantian Ethics. Oxford, 1951.

Tönnies, I. Kants Dialektik des Scheins (dissert.). Wftrzburg, 1933.

Troilo, E. Kant. Milan, 1939.

Vaihinger, H. Kommentar zur Kritik der reinen Vernunft. 2 vols. Stuttgart, 1922 (2nd edition).

Vanni-Rovighi, S. Introduzione allo studio di Kant. Milan, 1945.

Vleeschauwer, H. J. de. La deduction transcendente dans l'œuvre de Kant. 3 vols. Antwerp, 1934-7.

L'évolution de la pensée kantienne. Histoire d'une doctrine. Paris, 1939.

Vorländer, K. Immanuel Kant. Der Mann und das Werk. Leipzig, 1924.

Vuillemin, J. L'héritage kantien, et la révolution copernicienne. Paris, 1954.

Physique et métaphysique kantienne. Paris, 1955.

Wallace, W. Kant. Oxford, Edinburgh and London, 1882.

علينا الآن أن نسوق كلمة سريعة عن هذا الكتاب:

كتابنا الحالي - المجلد السادس - يقسمه المؤلف "فردريك كوبلستون" أربعة أجزاء تسيّر على النحو التالي:

يعالج الجزء الأول عصر التنوير في فرنسا في أربعة فصول، يعرض في فصلين - الأول والثاني - لعصر التنوير في فرنسا بصفة عامة: النزعة الشكية بصفة خاصة، والموسوعة وفلاسفتها. ثم يخصص فصلين كاملين - الثالث والرابع - للفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو": حياته ومؤلفاته وفلسفته: أصل الثقافات، والإرادة العامة، والعقد الاجتماعي، والسيادة، والحرية، والحكومة... إلخ.

أما الجزء الثاني فيعرض فيه لعصر التنوير في ألمانيا في ثلاثة فصول، يجعل الفصل الأول منها عن فولف ومدرسته، والثاني عن فردريك الأكبر، ومذهب التآليه، ومندلسون، ولسنج... إلخ.

أما الفصل الثالث والأخير فهو انسلاخ عن عصر التنوير يتحدث فيه "كوبلستون" عن فلسفة العاطفة والشعور والتصوف: هامان، وهردر، وياكوبى.

أما الجزء الثالث فيخصصه المؤلف.. "لفلسفة التاريخ" - فى فصلين، يستعرض فى الفصل الأول: "فلسفة التاريخ" منذ بدايتها عند اليونان، ثم القديس أوغسطين، وفيكو، وأخيراً عند مونتسكيو.

أما الفصل الثاني فيخصصه لفلسفة التاريخ عند فولتير، وكوندرسية، وهردر.

فى حين أن الجزء الرابع والأخير - وهو يزيد عن نصف الكتاب. بل يكاد يكون كتاباً مستقلاً - فى سبعة فصول، فيخصصه كوبلستون للفيلسوف الألماني العظيم إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - الفصل الأول [وهو الفصل العاشر بترتيب الكتاب] يخصصه المؤلف لحياة كانط: شخصيته وكتاباتة الأولى - أما الفصل الثاني فهو يدور حول كتابه "نقد العقل الخالص" وما يتضمنه من مشكلات مثل: مشكلة المعرفة، ومشكلة الميتافيزيقا - وثورة كانط الكوبرنيقية - وبناء الكتاب نفسه... إلخ.

Professors Paton and N. K. Smith those of de Vleeschauwer are highly recommended.

المؤلف فى سطور:

فردريك كويلستون

فيلسوف إنجليزى، وعالم لاهوت، درس فى كلية «مارلبورو» ثم فى كلية القديس يوحنا بجامعة أكسفورد، وانتظم بعد ذلك فى سلك الكنيسة الكاثوليكية عام ١٩٣٠، وأصبح أستاذًا لتاريخ الفلسفة فى كلية «هيشروب». ثم عمل بعد ذلك أستاذًا زائرًا فى جامعة «سانتا كلارا» فى كاليفورنيا (١٩٧٤ - ١٩٧٥) وفى جامعة هاواى عام ١٩٧٦، ألّفى مجموعة من المحاضرات ضمن سلسلة جيفورد فى جامعة «أبردين» عام (١٩٧٩ - ١٩٨٠) كما كان أستاذًا زائرًا أيضًا فى «السويد» و«سانت أندروز».

مؤلفاته:

موسوعته الكبرى «تاريخ الفلسفة» التى تضم تسعة أجزاء . و«الفلسفة والفلاسفة» و«حول تاريخ الفلسفة» و«الفلسفة والثقافة» و«الفلسفة فى روسيا» و«نيتشه .. فيلسوف الحضارة» و«القديس توما ونيتشه».

المترجمان في سطور:

حبيب الشاروني:

عمل أستاذًا للفلسفة في جامعة الإسكندرية .

من أهم مؤلفاته:

الحرية بين برجسون وسارتر، فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، الوجود والجدل في فلسفة سارتر. وله مجموعة من الترجمات، منها: المرئي واللامرئي، موريس ميرلوبونتي، فلسفة سارتر...

محمود سيد أحمد:

يعمل أستاذًا للفلسفة الحديثة والمعاصرة بجامعة الكويت وطنطا .

من أهم مؤلفاته:

- مفهوم الغائية عند كانط.
- الأخلاق عند هيوم.
- الاعتقاد الديني عند هيوم.
- البرجماتيقا عند هابرماس.
- الحضارة والدين عند هوكنج.
- دراسات في فلسفة كانط السياسية.
- فلسفة الحياة: دلتاي نموذجًا.
- له مجموعة من البحوث والترجمات.

المراجع فى سطور:

إمام عبد الفتاح

أستاذ الفلسفة الحديثة (حاليًا أستاذ غير متفرغ فى جامعتي عين شمس والمنصورة) تخصص فى فلسفة هيجل فى بداية حياته الأكاديمية ، وانتقل منها إلى أعلام الفلسفة الحديثة، خصوصًا الذين تميزوا بإنجازاتهم التى أسهمت فى تغيير المشهد الفلسفى العالمى.

ومن أهم مؤلفاته:

- المدخل إلى الفلسفة.
- مدخل إلى الميتافيزيقا.
- سلسلة الفيلسوف والمرأة.
- كيركجور.
- الطاغية.
- توماس هوبز: فيلسوف العقلانية.

ومن أهم ترجماته ضمن المشروع القومى للترجمة:

- الجمال ، وحكاية إيسوب، ومعجم مصطلحات هيجل.
- كما أشرف - فى إطار المشروع القومى للترجمة - على ترجمة سلسلة «أقدم لك»، وشارك فى ترجمة بعضها.

تاريخ الفلسفة

(المجلد السادس)

الفلسفة الحديثة

من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط



هذا هو المجلد السادس من موسوعة كويلستون الكبرى في تاريخ الفلسفة الغربية، ويتناول هذا المجلد الفلسفة الحديثة: من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط. وهو عبارة عن أربعة أجزاء؛ يتناول الجزء الأول "عصر التنوير في فرنسا"، ويعالج النزعة الشكية عند بيل، ثم ينتقل إلى فونتينيل، ومونتسكيو، وموبرتوي، وفولتير، وفورفينارج، وكوندياك، وهلفسيوس، والموسوعيين، والفيزوقراطيين، ورسو. ويتناول الجزء الثاني "عصر التنوير في ألمانيا"، ويعالج كرسيتيان توماسيوس، وكرسيتيان فولف، وفردريك الأكبر، وأنصار الدين الطبيعي. ويتناول الجزء الثالث "نشأة فلسفة التاريخ". أما الجزء الرابع فهو مخصص لكانط، ويعالج حياته وكتابه الفلسفية في مرحلة ما قبل النقد، ومشكلة كتاب نقد العقل الخالص، والمعرفة العلمية، والهجوم على الميتافيزيقا، والأخلاق والدين، والاستاتيكا والغائية، وملاحظات على الأعمال التي نُشرت بعد وفاة كانط.